THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

مقالات فهمي المدرس

الجزء الثالث

جمعه وقدم له وعلق حواشيه

عبد الحميد الرشودي خالد محمد اسماعيل

الناشـــر
مكتبة الاندلس - بغـداد

مقالات فهمي المدرس

الجزء الثالث

جمعه وقدم له وعلق حواشيه

عبد الحميد الرشودي خالد اسماعيل

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

مطبعة اسعد - بغداد

١٩٧٠

AC
106
.F28

MR FEB 1 1973 29848 F

فهمي المدرس
١٨٧٣ ـ ١٩٤٤

فهمي المدرس

يعتبر المرحوم الاستاذ محمد فهمي المدرس من المع الكتاب السياسيين العراقيين الذين برزوا في الميدان السياسي منذ اعلان الدستور العثماني الى ما بعيد اندلاع الحرب الكونية الثانية ، فقد حاز مركزا ممتازا بين الكتاب السياسيين والمصلحين الاجتماعيين بما ألف من كتب وما دبج من مقالات كان يرفد بها الصحف العربية والتركية على حد سواء . وعلى الرغم من كثرة ماكتب عن المدرس فان هناك جوانب اخرى تستحق الدرس والتحقيق ، ولنا وطيد الامل في أصدقاء المدرس المخلصين وتلاميذه الاوفياء ان ينبروا لملء هذا الفراغ وفاء المرجل الذي كرس أدبه لخدمة وطنه وأمته [1] .

مولده :

ولد فهمي المدرس في بغداد سنة ١٨٧٣م[2] في بيت علم وفضل وأدب ، حيث كان والده عبدالرحمن أفندي بن سليم المدرس قاضيا شرعيا دائميا في محكمة بغداد التجارية .

---

(١) في كتابنا « ذكرى فهمي المدرس » المعد للطبع استقصاء لما كتب عن المدرس .

(٢) تعددت الروايات في تاريخ ميلاد فهمي المدرس ، فقد ذكر الاستاذ رفائيل بطي في جريدة « البلاد » العدد ٢٣٠١ الصادر في ١٥ آب ١٩٤٤ ، والاستاذ خيري العمري في جريدة « صدى الاخبار » العدد ١٢٤ الصادر في ١٧ آب ١٩٥٤ أن المدرس ولد ببغداد سنة ١٨٦٩م . وذكر الاستاذ محمد ناجي القشطيني في مقال له عن فهمي المدرس لم ينشر بعد ان تاريخ ولادة المدرس هو سنة ١٨٧١م ، وذكر الشيخ هاشم الاعظمي في الجزء الاول من كتابه « تاريخ جامع الامام الاعظم » ان ولادة المدرس كانت سنة ١٨٧٢م (١٢٨٩هـ) . وذكر المرحوم محمود فهمي درويش في جريدة « الاخبار » العدد ١١١٠ الصادر في ١٥ آب ١٩٤٤ ، والدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ ، وجريدة « الزمان » العدد ٢٠٩٩ الصادر

وتنسب عائلة فهمى المدرس الى قبيلة خزرج القاطنة فى الموصل وكان جده الشيخ سليمان اول من نزح من هذه العائلة الى بغداد فأتخذها سكنا ومقاما[٣] . وكان أول من لقب بلقب المدرس من هذه العائلة أحمد الحافظ مدرس مدرسة السليمانية ببغداد اذ كان اول « مدرس » فيها ، وقد عرف افراد هذه الاسرة فيما بعد « بآل المدرس »[٤]

دراسته :

تلقى الاستاذ المدرس بادىء ذى بدء مقدمات العلوم والقرآن الكريم عن والده ، ثم أخذ سمته الى المدارس العلمية التى كانت تعقد فى المساجد فتتلمذ على جلة علماء عصره كالعلامة عبدالسلام الشواف[٥] والعلامة الشيخ عبدالرحمن القرەداغى[٦] والعلامة الشيخ اسماعيل الموصلى[٧] والعلامة

فى ١٥ آب ١٩٤٤ ، وكتاب « تاريخ الادب العربى الحديث للدراسة المتوسطة » بطبعتيه للسنتين ١٩٤٩ و ١٩٦٢ ، ذكر هؤلاء جميعا ان المدرس ولد سنة ١٨٧٣ ، وقد وجدنا فى مقدمة الجزء الاول من « مقالات فهمى المدرس » ، وفى الجزء الثانى من كتاب « لب الالباب » لمحمد صالح السهروردى ان ولادة المدرس كانت سنة ١٢٨٨ رومية ، التى توافق سنة ١٢٩١ هـ و ١٨٧٣ م .

(٣) عبدالمنعم الغلامى : الانساب والاسر ـ الجزء الاول ص١٢٤ .

(٤) عباس العزاوى : ذكرى أبى الثناء الآلوسى ص١٣ .

(٥) عبدالسلام الشواف : ولد ببغداد سنة ١٢٣٤هـ ، وتوفى سنة ١٣١٨هـ ودفن فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى ببغداد . كانت له مؤلفات كثيرة ذهبت بها الايام . (لب الالباب) .

(٦) عبدالرحمن القرەداغى : ولد فى (قرەداغ) يوم الجمعة لست عشرة خلت من شوال سنة ١٢٥٣هـ . وجاء بغداد عام ١٣٠٣هـ وعين مدرسا فى مدرسة ابى يوسف فى الكاظمية . توفى رحمه الله فى اليوم الاول من شعبان سنة ١٣٣٥هـ ودفن فى مدرسة (بابا كركر) الدينية عند مدخل باب المصلى . ترك آثارا كثيرة . (لب الالباب) .

(٧) اسماعيل الموصلي : توفى ببغداد فى ٢٨ ذى الحجة ١٣٠٢هـ ، ودفن فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى ، بعد ان عاش أربعا وستين سنة . (لب الالباب) .

نعمان أفندى الآلوسى[٨] والعلامة الشيخ محمد سعيد افندى[٩] ، ثم أخذ فنون الخط عن العلامة السيد محمود شكرى الآلوسى[١٠]

ولما كانت ثقافة العصر أمشاجا من العربية والتركية والفارسية فقد عكف فهمى المدرس على اتقان هذه اللغات ، فتعلم التركية باعتبارها لغة الدولة ، وأتقن الفارسية[١١] باعتبارها لغة أدب وشعر ، كما أصاب بسهم من اللغة الفرنسية[١٢] التى أتاحت له اطلالات واسعة على آداب الامم الغربية ، فحصل تلاقح فكري بين ثقافته العربية الاسلامية والثقافة الغربية الحديثة مما ظهر أثره جليا فى كتاباته وتحليلاته فيما بعد .

وظائفه :

وقد شاع فضله وذاع ذكره ولما يبلغ الحادية والعشرين فاختير مديرا

---

(٨) نعمان الآلوسى : هو نجل ابى الثناء الآلوسى ، ولد فى ١٢ محرم سنة ١٢٥٢هـ ، وأخذ العلم عن والده ، وبرز فيه ، وتقلب فى المناصب العالية ، وله مؤلفات كثيرة. توفى يوم الاربعاء ٧ محرم ١٣١٧هـ.

(٩) محمد سعيد النقشبندى : ولد فى اليوم السابع عشر من رجب سنة ١٢٧٧هـ فى محلة الفضل ببغداد وكانت وفاته فى سنة ١٣٣٩هـ ودفن فى جامع الفضل . (لب الالباب) .

(١٠) محمود شكرى الآلوسى : علامة العراق المشهور ، ولد فى اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة ١٢٧٣هـ فيمحلة العاقولية برصافة بغداد . وتوفى ظهر اليوم الرابع من شوال سنة ١٣٤٢هـ ودفن فى مقبرة الشيخ الجنيد البغدادى فى كرخ بغداد . (أعلام العراق : للاثرى) .

(١١) حدثنا السيد ناصرالدين الكيلانى ان الذى ساعد المدرس على تعلم الفارسية وحببها اليه هو « ميرزا موسى بن ميرزا هادى » أحد الامراء القاجاريين الذين نزحوا الى بغداد اثر اضطرابات وقعت فى ايران واستوطنوا فى بغداد قرب خان دلة .

(١٢) روى لنا السيد مهدى الرحال ان المدرس قد تعلم الفرنسية على يد القنصل الالمانى فى بغداد المدعو « ريتشارد » حيث كان المدرس يعلمه العربية .

لمطبعة الولاية فى بغداد مع تكليفه بتحرير القسمين العربى والتركى من جريدة « الزوراء » التى أنشأها الوالي مدحت باشا[١٣] فى بغداد ، كما عهد اليه فى الوقت ذاته تدريس العربية والتركية والفارسية فى المدرسة الاعدادية الملكية . وكان بالاضافة الى ذلك يتولى الوعظ والارشاد فى مساجد بغداد ، ومما يؤثر عنه انه أول واعظ تولى وعظ الناس بغير كتاب اذ كان يعتمد حافظته وذاكرته الوقادتين ، ومن أشهر المساجد التى شهدت وعظه وارشاده جامع الوزير[١٤] وجامع السراى[١٥] .

ولقد استمر فهمى المدرس فى الاشراف على تحرير جريدة « الزوراء »[١٦] الرسمية بقسميها العربى والتركى فترة تنوف على خمس

---

(١٣) مدحت باشا ١٨٢٢ - ١٨٨٣ من ولاة بغداد المصلحين الذين لا تزال تتعطر بذكر جميل أعمالهم الايام ولي منصب ولاية بغداد سنة١٨٦٩ وأسس فيها أول مطبعة باسم مطبعة الولاية وأصدر أول صحيفة فى بغداد هى جريدة الزوراء ووطد الامن ووطن العشائر واصلح نظام الادارة وقد اسند اليه فيما بعد منصب الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) ثم قلب له الدهر ظهر المجن فنفى مغضوبا عليه الى الطائف حيث مات هنالك غريبا ميتةغامضة يغلب عليها الاغتيال غدرا سنة ١٨٨٣ رحمه الله رحمة واسعة.

(١٤) جامع الوزير : يقع هذا الجامع فى وسط سوق السراى وهو مطل على نهر دجلة وقد جاء فى تاريخ مساجد بغداد تأليف السيد محمود شكرى الآلوسى وتهذيب الاستاذ محمد بهجة الاثرى : ان هذا الجامع قديم العهد وقد جدد وعمر مرارا وممن عمره حسن باشا أحد ولاة بغداد السابقين سنة ١٠٠٨هـ . وقد قامت مديرية الاوقاف العامة بتجديده بعيد الحرب العالمية الثانية بعد أن نقضت بناءه القديم باستثناء المدخل والمئذنة .

(١٥) جامع السراى (جامع حسن باشا) : ويقع مقابل وزارة الداخلية وكان يعرف بين الناس باسم مجدده وموسعه (حسن باشا) وهو جامع كبير تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الصلوات (مساجد بغداد للالوسى) .

(١٦) سألنا الاستاذ عباس العزاوى عن فهمى المدرس وعمله فى جريدة الزوراء فافادنا بما يلى :

« ولى فهمى المدرس تحرير الزوراء بصفة مترجم ، ومحرر ، ومدير

سنوات موزعة على فترتين ، الاولى من سنة ١٣١٩هـ - ١٣٢١هـ والثانية من سنة ١٣٢٣هـ - ١٣٢٦هـ كما كان في الوقت ذاته يحرر بعض فصول الجريدة[١٧] .

واختير عضوا في مجلس معارف بغداد ، وبذلك يكون قد دخل في عداد « خلفاء قلم المكتوبي[١٨] » ، كما عين ناظرا لمدرسة الصنائع اضافة الى وظائفه الاصلية .

الى سنة حازم بك ، وفي أيامه ذهب الى استنبول ، ثم حدث الانقلاب . وكانت مدة بقائه في التحرير ١١ سنة . وصار - بعد الانقلاب التركي - مدرس الكتابة التركية والعربية في شعبة الالهيات من دار الفنون ، وبعد أشهر درّس (تاريخ الاداب العربية) و (حكمة الحقوق) في المدرسة الملكية ، و (الآداب العربية) في مدرسة الواعظين ، و (اللسان العربي) في شعبة اللسانيات في دار الفنون . وبقي هناك نحو ١٣ أو ١٤ سنة وعاد الى بغداد سنة ١٩٢٠ . وكان قد ولي ادارة الزوراء في أيام سري باشا ودام فيها مدة طويلة مديرا ولكن الاسم لمصطفى أفندي . وقد علمت منه الشيء الكثير عن هذه الجريدة وهو أعرف الناس بها . وتاريخ هذه الجريدة مهم » .

أما جريدة « الزوراء » فيقول عنها الاستاذ عبدالرزاق الحسني في الجزء الاول من كتابه « تاريخ الصحافة العراقية » ما يلي :

« أنشأها الوالي مدحت باشا في بغداد ، وجلب لها مطبعة آلية من باريس سماها مطبعة الولاية ، فكانت أول جريدة صدرت في العراق ، برز عددها الاول في يوم الثلاثاء الموافق ٥ ربيع الاول سنة١٢٨٦ الهجرية (١٦ حزيران ١٨٦٩ الميلادية) ، واستمرت تصدر بانتظام مدة (٤٩) عاما أي الى ان احتل الجيش البريطاني مدينة بغداد في فجر اليوم الحادي عشر من شهر آذار ١٩١٧م فتوارت عن الانظار ، وكان مجموع ما صدر منها ٢٦٠٦ أعداد » .

(١٧) رزوق عيسى : تاريخ الصحافة في العراق - مجلة الحرية الجزءان الثامن والتاسع ١٥ شباط ١٩٢٤ .

(١٨) خلفاء قلم المكتوبي أو المكتوبجي : السكرتير العام للولاية ، ودائرته قلم المكتوبي ، وهي دائرة ممتازة يختار لها أحسن الموظفين من

لقد كان المدرس ـ رحمه الله ـ ميالا بطبيعته الى حب الاصلاح وكان كثيرا ما يطلق لسانه فى نقد اعمال الولاة ويجرح تصرفاتهم المضادة لاماني الامة ، وكان يغشى مجالس الوجوه والاعيان المعروفين بميولهم المعادية للسلطة مما جعل عيون الولاة تترصده وتراقب حركاته وسكناته ، زد على ذلك ان المدرس كان يندفع فى تلك المجالس بحماس الشباب المتعطش للاصلاح فيطلق العنان للسانه مما حمل جواسيس السلطة على الوشاية به وانهاء خبره الى السلطان عبدالحميد[١٩] ، فاغتاظ السلطان منه وأصدر ارادته السنية بتاريخ ١٠ تشرين الاول ١٣٢١ رومية (١٩٠٥م) بنقله الى جزيرة « رودس » لاشغال وظيفة مدير مطبعة الولاية هنالك ، وقد استطاع المدرس بذكائه ودهائه من التقرب والتودد الى الوالي وذلك بتطوعه لتدريس أبنائه وكسب رضائه مما حمل الوالي على ان يحسن الظن به فظهر ذلك فى التقارير السرية التى كلف برفعها عن المدرس الى الاستانة فكان يثني على سلوكه وكفاءته واخلاصه للسلطة وولائه للسلطان مما جعل السلطان يصدر ارادته فى ٩ تشرين الثانى ١٣٢٢ رومية (١٩٠٦م) القاضية بأرجاعه الى بغداد واعادته الى وظائفه السابقة التى كان يتولاها قبل نقله منفيا الى جزيرة « رودس » .

وبعد عودته الى بغداد انتخب عضوا فى مجلس اصلاح المعارف واستمر فى وظائفه هذه الى تاريخ ٢٠ نيسان ١٣٢٤ رومية حيث سافر مجازا الى « فروق[٢٠] » وكان يحمل معه كتاب توصية الى أبي الهدى

خريجى (الملكية الشاهانية) ـ وهى كلية لاعداد الموظفين ـ . وبعد ان يعين فى قلم المكتوبى ثلاث سنوات يعين بوظيفة قائم مقام بدرجة ثالثة . (فهمى المدرس ـ يوسف عزالدين) ص ٩٩ .

(١٩) السلطان عبدالحميد : ولد سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م وتولى الحكم سنة ١٢٩٣ / ٣١ آب ١٨٧٦ وخلع فى ٧ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ / ٢٧ نيسان ١٩٠٩ . وتوفى الى رحمة الله فى ١٠ شباط ١٩١٨ .

(٢٠) فروق : هى الاستانة .

الصيادى[٢١] ليستعين بنفوذه وجاهه الواسعين فى الحصول على منصب يليق بفضله وعلمه وكماله . فلم يمض على وجوده فى الاستانة شهران حتى قامت الحركة الدستورية فى ١٠ تموز ١٩٠٨ وخرجت الجماهير الغاضبة صباح ذلك اليوم الى الشوارع والساحات تخطب وتهتف ، فالتقى بها فهمى المدرس ..

وقد روى المرحوم ناجى الاصيل[٢٢] هذا الحادث الطريف الذى عرض للمدرس فى سفرته هذه فقال :

« وقد روى لي الاستاذ فهمى المدرس انه بعد وصوله الى استانبول بأيام قليلة خرج قاصدا دار أبي الهدى الصيادى ، وكان فى العاشر من تموز سنة ١٩٠٨ وفى جيبه التوصية التى ستوصله الى تحقيق أمانيه عن طريق أبي الهدى ، بيد أنه رأى شيئا عجيبا فى الطرقات .. رأى جماهير الشعب حانقة ثائرة تهتف من أعماق نفوسها .. يشاسون حريت ..

---

(٢١) ابو الهدى الصيادى : (١٨٤٩ ـ ١٩٠٩) ولد فى قرية خان شيخون وهى قرية من قرى حلب وبدأ حياته منشدا صوفيا شهدته خانات الاستانة وهو ينقر بالدف وينشد الشعر الصوفى .

لقد استطاع محمد بن حسن بن وادى الذى عرف فيما بعد بابى الهدى الصيادى بطريقته الخاصة ان يصل الى ارقى مناصب الدولة وظل المهيمن الاول على السلطان عبدالحميد زهاء ثلاثين سنة وعندما قامت حركة الاتحاديين كان يعانى من آلام المرض فنقل على سريره الى جزيرة (الامراء) فلم تمض بضعة اشهر حتى لفظ انفاسه الاخيرة بعد حياة حافلة اختلف فيها المؤرخون ايما اختلاف فمنهم من يسلكه فى عداد الصوفية والزهاد ومنهم من يعده فى جملة الدجاجلة والمشعوذين .

(٢٢) ناجى الاصيل : ولد في الموصل سنة ١٨٩٧ ودرس الطب فى الجامعة الامريكية ببيروت ثم اشترك فى الثورة العربية ومثل الملك حسين فى لندن ثم عاد الى العراق فاشغل عدة مناصب منها مديرية الخارجية العامة ورئاسة التشريفات فى البلاط ثم اسندت اليه وزارة الخارجية بعد الانقلاب البكري وبعد ذلك عين مديرا عاما للاثار القديمة واخر منصب أشغله هو رئاسة المجمع العلمي العراقى . توفى فى شباط سنة ١٩٦٣

يشاسون عدالت .. يشاسون قانون أساسي ، ومعناها تحيا الحرية ، ولتحيا العدالة ، وليحيا الدستور ..

كان الاستاذ فهمي يحمل التوصية في جيبه فوجد نفسه في دوامة فهو لم يكن يصدق ان مثل هذا الهتاف يخرج ونصف استانبول جواسيس السلطان كما كان يظن سابقا ، وبهدوء انسلت يده الى جيبه يتحسس التوصية التي كانت معقد آماله فيرميها بعد أن يمزقها وينغمر بلا شعور وسط هتافات الحرية والمساواة والعدالة بروح الشباب يهتف مع الهاتفين بحياة الحرية والعدالة والدستور .. وبسقوط الاستبداد ويعتلي أول منصة للخطابة فيهاجم عهد السلطان وطغيانه وجبروته[٢٣] » .

وفي الاستانة يبدأ المدرس حياة جديدة ، فيغير زيه ويرتدي البدلة الافرنجية والطربوش بدلا من الجبة والعمة ويحلق لحيته ويحمل في يده العصا ، ثم ينخرط في سلك التعليم العالي « فانتخب استاذا لاصول الكتابة في اللغتين العربية والتركية في (كلية الالهيات) من جامعة الاستانة ، فأستاذا للآداب العربية في كلية الآداب ، وللغة العربية في كلية الالسنة من الجامعة المذكورة في عين الوقت ، وعلاوة على ذلك عهد اليه بكرسي استاذ « حكمة التشريع الاسلامي » في « ملكية شاهانة » مع تعليم اللغة العربية وآدابها فيها ، وانتخب استاذا لتاريخ الآداب العربية في جامعة الاستانة ، وللآداب العربية في مدرسة الواعظين العالية ، واستمر على التعليم في هذه المدارس العالية اثني عشر عاما من غير انقطاع[٢٤] » .

---

(٢٣) ناجي الاصيل : جريدة الايام العدد ١٠٣ الصادر في ١٦ آب ١٩٦٢ .

(٢٤) مقدمة الجزء الاول من مقالات المدرس ص ٤ (مطبعة الشعب ١٩٣١ بغداد)

مكانته في الاستانة :

لقد حظي المدرس بمكانة مرموقة في الاستانة[٢٥] مما جعله محط انظار العراقيين الذين وفدوا الى الاستانة يلتمسون الاقامة أو الدراسة أو الوظيفة ، فكان المدرس خير معين لهم فيما كانوا يبتغون . ومما ينبيء عن نبل المدرس وكرم اخلاقه : ان الرصافي قد هبط الاستانة بعيد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ بدعوة من صاحب جريدة « اقدام » ليرأس تحرير قسمها العربي ، الا ان ذلك لم يتحقق ، فوجد الرصافي نفسه بحاجة الى مورد للرزق يستعين به في غربته ، وحز في نفس المدرس ان يرى أحد مواطنيه وقد ضاقت به سبل العيش فتنازل عن بعض محاضراته في دار الفنون ليتيح المجال لزميله ومواطنه معروف الرصافي ، وقد تم ذلك بالفعل من غير ان يشعر الرصافي بشيء قد يؤذي كرامته سوى ان مكانا في دار الفنون كان شاغرا فملأه[٢٦] .

وهكذا ظل فهمي المدرس يرتقي معارج التقدم ومدارج الكمال في الاستانة فشارك في مجلس مدرسي جامعة الاستانة ، وكان هذا المجلس يضم اساتذة الجامعة وبعضهم من الالمان ، وكانت مهمته وضع تخطيط جديد لمناهج التعليم العالي في الدولة العثمانية بما يلائم تطورات المناهج والنظريات التربوية الحديثة .

ولم يقف نشاط المدرس العلمي عند حدود الاستانة بل تخطاه الى خارجها ، فاوفدته الحكومة العثمانية سنة ١٩١٣ الى بيروت ودمشق للنظر في وضع حلول لمشاكل المؤسسات العلمية هناك وبخاصة كلية الحقوق ومدرسة الصنائع والكلية الوطنية في بيروت والوقوف على اتجاهات الكلية

---

(٢٥) روى لنا الاستاذ محمد ناجي القشطيني ان حياة المدرس في الاستانة كانت مترفة جدا ، اذ كان يتقاضى راتبا ضخما ينفقه كله على داره وصالونه وملبسه ، وهو يومذاك وحده لا زوج له ولا ابناء ولا من يعيل .

(٢٦) رواية السيد ناصر الدين الكيلاني .

الاميركية والتحقق من موقفها قبل الحكومة العثمانية ، وكذلك دراسة حالة المعارف فى دمشق • لقد وقف المدرس على مشاكل هذه المؤسسات عن كثب وقام بدراستها بروح علمية مجردة فوضع لكل مشكلة حلها ولكل علة دواءها ثم رفع بذلك تقريرا الى المسؤولين فى الاستانة •

وبعد عودته الى عاصمة دولة الخلافة أثير نزاع فى جامعة الاستانة حول جعل التعليم فى البلاد العربية بلغة أهلها وتزويد المدارس السلطانية بالمؤلفات المصرية ، فاختير المدرس عضوا فى المجلس الذى عقد فى دار الفنون فى الاستانة لحسم هذا النزاع •

ورغم كثرة مشاغله وتعدد وظائفه فانه كان يزود الصحافة التركية بشتى المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ، ومن الصحف التى كان يؤثرها بمقالاته « شهبال » و « ثروت فنون » •

الى الشام :

لقد استمر فهمى المدرس فى الاستانة ـ كما قدمنا ـ اثنى عشر عاما لم يبرحها الا بعد قيام حكومة الشام وتسلمه خطابا شخصيا من تلميذه فى دار الفنون فيصل بن الحسين يستقدمه فيه الى الشام للافادة من خبرته فى شؤون التربية والتعليم فى الحكومة الجديدة ، فيستجيب المدرس ويخف في ١٨ حزيران ١٣٣٥ رومية (١٩٢٠) متوجها الى الشام • وكان فى نيته الاقامة هناك فقد جلب معه ـ فيما جلب ـ مكتبته الضخمة الكبيرة [٢٧] ولكنه بعد سقوط حكومة الشام وتفرق رجالها على ايدي سبأ ترك المدرس الشام في ٢٤ أيلول ١٣٣٥ رومية متوجها الى البلاد الاوربية حيث سلخ عاما

---

(٢٧) روى لنا السيد محمد الخضير انه بعد سقوط حكومة الشام استدعاه المرحوم الحاج عبد اللطيف المدلل وطلب اليه التوجه الى الشام والاتصال بالسيدين محمد عبدالله البسام وياسين الهاشمي لجلب كتب فهمى المدرس من هناك حيث كانت فى عهدة محمد البسام • فقام بجلبها على اربعة جمال واستوفى ١٦٠ ليرة اجرة نقلها • وسلمها الى الحاج عبداللطيف المدلل فى بغداد •

ونصف عام متنقلا بين مدريد ولندن وباريس . وقد ذكرت الأستاذة « بتول المدرس » نجلة المرحوم فهمي المدرس ان والدها قد أفاد كثيرا من رحلته هذه الى البلاد الاوربية حيث « درس فيها عادات وتقاليد الدول التي زارها وتعمق في دراسة حضارتها عن طريق المتاحف والآثار » (٢٨)

وفي كتاب الترشيح الذي رفعه المرحوم صالح باش أعيان (٢٩) وزير الاوقاف يومذاك الى مجلس الوزراء لاختيار فهمي المدرس امينا لجامعة آل البيت اشارة اخرى الى افادة المدرس من هذه الرحلة ، جاء فيه :

« ولقد تضاعفت مقدرته بمناسبة اقامته سنة ونصف في اشهر بلاد اوربا كباريس ولندن وغيرهما حيث اطلع على وضع اشهر الجامعات ك (الصوربون) و (كيمبريج) و (اوقسفورد) واجتمع باساتذتها ووقف على انظمتها ، وكذلك في القاهرة اثناء سفره الى الديار المصرية بمقابلة علمائها واطلاعه على جامعتها ونظامها » (٣٠)

عودته الى الوطن :

لقد مكث المدرس في البلاد الاوربية قرابة العام ونصف العام ثم عاد الى العراق قبيل تأسيس الحكم الوطني في ٢٣/آب ١٩٢١ ، حيث اختير رئيسا للامناء في البلاط الملكي ، الا انه لم يمكث في وظيفته هذه اكثر من سنة واحدة بسبب تهمة لفقت ضده عند زيارة المندوب السامي البريطاني « بيرسي كوكس » للملك فيصل الاول مهنئا بعيد التتويج الاول ، ذلك انه تجمعت في ساحة البلاط الملكي في ٢٣ آب ١٩٢٢ تجمعات

---

(٢٨) جريدة المنار البغدادية العدد ٣١٣٤ الصادر في ٢٢ آب ١٩٦٥

(٢٩) صالح باش أعيان : وزير سابق اشترك في وزارة عبد المحسن السعدون بصفة وزيراوقاف خلال الفترة (٢٠-١١-٩٢٢ - ١٦-١١-٩٢٣) ثم اختير عضوا في مجلس الاعيان خلال ست دورات . توفي في ١١ شباط ١٩٤٦ في البصرة ودفن فيها .

(٣٠) فهمي المدرس : بيان موجز عن جامعة آل البيت ، مطبعة الاداب - بغداد ١٩٣٠ ص ٣٢

واسعة قادها الحزبان القائمان يومذاك وهما الحزب الوطنى العراقى [٣١] وحزب النهضة [٣٢] بمناسبة الذكرى الاولى للتتويج ، ثم لم يلبث ان صعد وفد يمثل قادة الحزبين لتهنئة الملك واسماعه مطاليب الشعب ، وقد استقبلهم الملك غير انه اعتذر عن سماع كلماتهم وخطبهم لارتباطه بموعد مسبق مع المندوب السامى البريطانى ، وأمر رئيس الامناء الاستاذ فهمى المدرس بالتوجه مع الوفد الى الجمهور والاستماع الى خطبهم ومطاليبهم وابلاغها اليه ، وفعلا انسحب الوفد يتقدمه رئيس الامناء وخرجوا الى الشرفة المطلة على ساحة البلاط حيث الجموع المحتشدة ، وبدأ الخطباء يستعرضون اوضاع البلاد واطماع الانكليز وموقف الشعب من امانيه الغالية .. وفى غمرة هذا الجو المشحون ، حضر المندوب السامى الى البلاط ، وما كاد يرى ما يرى حتى اضطرب وامتقع لونه وتغيرت ملامحه، وشقت سيارته ـ بصعوبة ـ طريقها بين صفوف الجمهور ، ولولا اسراع حرس البلاط واحاطتهم بالسيارة وصاحبها لاعتدى الشعب عليه ، وما كاد المندوب السامى البريطانى يترجل من سيارته ويرتقى السلم متوجها لمقابلة الملك حتى دوت هتافات تعلن سقوط الانتداب والانكليز والاستعمار ،[٣٣] واختفى المندوب السامى لحظات ثم لم يلبث ان خرج ـ بعد تهنئة الملك ـ وهو بادى الاضطراب وركب سيارته وقفل عائدا الى دار الاعتماد .. حدث كل هذا والخطيب يخطب [٣٤] والجماهير تهتف وفهمى المدرس يستمع ويرى ليوافى الملك بما سمع ورأى ..

---

(٣١) الحزب الوطنى العراقى : اسسه محمد جعفر ابو التمن فى ٢ آب ١٩٢٢ ـ ١٩٣٣

(٣٢) حزب النهضة : اسسه محمد امين الجرجفجى فى ١٩ آب١٩٢٢

(٣٣) أخبرنا الاستاذ محمد بهجة الاثري ان صاحب الهتافات هو السيد حسون ابو الجبن .

(٣٤) خطب فى هذا اليوم الشيخ (الدكتور) محمد مهدى البصير والشيخ محمد حسن كبة .

ويبدو ان المندوب السامى وجدها فرصة طالما انتظرها بغيظ دفين ، فما كاد يعود الى مقر عمله حتى حرر كتاب احتجاج شديد ارسله الى الملك فى اليوم التالى للحادثة وهذا نصه : (٣٥)

سعادة رئيس الديوان الملكى المحترم

نرجو ان تخبروا جلالة الملك بان فخامة المندوب يحتج بعنف ضد ما لاقاه من المعاملة فى آن كان فخامته يمثل حكومة بريطانيا العظمى مارا بباب غرفة الاستقبال ليؤدى مراسيم التبريك ، وان فخامته اخبر لندن عن هذه الحادثة ويطلب ان يعتذر اليه وعزل فهمي المدرس اذا(٣٦) كان هو المسؤول رسميا ، ويطلب فخامته بيانا عن الاجراءات التي نوى جلالة الملك اتخاذها ضد الخطيبين اللذين حقرا مقام الملك بالقائهما خطبا مهيجة .

٢٤ أوكست ١٩٢٢ جانين بيرسى

نائب سكرتير المندوب السامى

فلما وقف الملك فيصل الاول على كتاب المندوب السامى البريطانى امر سكرتيره الخاص رستم حيدر (٣٧) بكتابة الرد التالى : (٣٨)

---

(٣٥) عبد الرزاق الحسنى : العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ـ الجزء الثانى ص ١٢

(٣٦) ورد فى كتاب « العراق من الاحتلال الى الاستقلال » نص هذا الاحتجاج باختلاف طفيف ولكنه جدير بالملاحظة حيث وردت العبارة هكذا « اذ كان هو المسؤول ... »

(٣٧) رستم حيدر : ولد فى بعلبك سنة ١٨٨٩ وتخرج فى المدرسة الملكية فى استانبول ثم أتم دراستهفى السوربون ومدرسة العلومالسياسية فى باريس . تقلد عدة مناصب فى حكومة الشام وفى الحكومة العراقية آخرها منصب وزارة المالية . وقد قتل فى مكتبه الرسمى سنة ١٩٤٠ من قبل مفوض شرطة يدعى حسين فوزى

(٣٨) عبدالرزاق الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج ٢ ص ١٣ .

عزيزي المستر جانين بيرسي

اخذت كتابكم المؤرخ ٢٤ اوغست ١٩٢٢ وقد عرضته لانظار جلالة الملك وان كانت صحته غير ملائمة ، وقد تاثر جلالته كثيرا من الحادثة التي تشيرون اليها وقد امرني حالا لارجو منكم ان تخبروا فخامة المندوب السامي اسف جلالته العظيم ، وان جلالته سيعمل كل ماهو اللازم ويصلح الحادثة حسب رغائب المندوب السامي ، ويرجو جلالته ان لا يبقى اثرا في ذاكرته لهذه الحادثة التي لم توجه اليه شخصيا .

٢٤ أوكست ١٩٢٢ رستم حيدر

وهكذا تم للانكليز ما ارادوا ، فقد استطاعوا ان يبعدوا فهمي المدرس عن البلاط « لانهم وجدوا بقاءه في البلاط خطرا يعرقل مصالحهم ويخلق العثرات أمام سياستهم »[٣٩] ، كما هيأ عملهم هذا الجو الملائم لشن حملة اعتقالات واسعة ضد المواطنين المعروفين بنشاطهم السياسي المضاد لهم ولمشاريعهم الاستعمارية لتمرير معاهدة ١٩٢٢ .

وبذلك انقطعت صلة المدرس بالبلاط منذ ١/ايلول ١٩٢٢ .[٤٠]

المدرس وجامعة آل البيت :

لقد اختير المدرس بتاريخ ١١/كانون الثاني ١٩٢٢ عضوا في لجنة التأسيس لجامعة آل البيت للنظر في وضع اسس اول جامعة في العراق واختيار المناهج الدراسية الملائمة لها ، وفي ١٣ نيسان ١٩٢٤ انتخب المدرس

---

(٣٩) خيري العمري : مجلة الاقلام ـ العدد الرابع ، كانون الاول ١٩٦٤ ص ٧٨ .

(٤٠) آثرنا اثبات هذه الحادثة كاملة لسببين :
الاول : بيان موقف الانكليز من فهمي المدرس .
والثاني : تصحيح الروايات التي تناقلتها كتب معينة عن هذه الحادثة المشهورة في تاريخ العراق الحديث والتي رواها لنا ـ بتفاصيلها ـ الاستاذ محمد ناجي القشطيني احد شهودها الثقات .

أمينا لجامعة ال البيت .. انتخب امينا للجامعة بعد انزوائه عامين فى عقر داره لاسباب لايعلمها الا الله والراسخون فى العلم .[٤١] وقد افرغ المدرس وسعه واستنفد جهده في سبيل ارساء الجامعة على مناهج علمية رصينة تستمد اتجاهاتها من ينابيع الثقافة الاسلامية ، فخطط للجامعة دروسا علمية ممتازة واختار لها اساتذة فضلاء ، وعمل على اصدار مجلة باسم « الجامعة » حفلت بمحاضرات الاساتذة ودراساتهم التى كانوا يلقونها على الطلبة .

وقد عارض هذا الاتجاه الاسلامى الذى كان يرغب المدرس ان يجعله الطابع المميز للجامعة نفر من رجال السياسة والتربية كانوا يرون وجوب الفصل بين التعليم والدين ، زاعمين ان التعليم علم يستند الى العقل والتجربة وان الدين عقيدة فى القلب ! وقد كان على رأس هذا الاتجاه نوري السعيد وفاضل الجمالي وساطع الحصرى ، فوضعت العراقيل في سبيل الجامعة منذ بدايتها [٤٢] الى ان تم اغلاقها بموجب قرار مجلس الوزراء فى ٢٤ نيسان ١٩٣٠ القاضى بسد الشعبة الدينية سدا مؤقتا .[٤٣]

فى حين كان المدرس حريصا على استمرار الجامعة واتجاهها الاسلامى ، وقد انعكس هذا الحرص فى المقالات والمخابرات الرسمية التى كان يتولى تحريرها بنفسه ، والتى يجد القارىء بعضا منها فى هذاالكتاب .

لقد اثر اغلاق جامعة آل البيت فى نفس المدرس تأثيرا بليغا مما حدا به الى تحرير بيان جامع تناول به الجامعة والظروف التى احاطت بها ..وقد

---

(٤١) فهمي المدرس جريدة العالم العربى ، العدد ١٢٤ الصادر فى ١٩ آب ١٩٤

(٤٢) تأمل اول كتاب رسمى صدر من امانة الجامعة لتعرف مكان « اجهزة الرصد » منها .. !

(٤٣) للاستاذ حسن الدجيلى دراسة مفصلة عن جامعة آل البيت فى كتابه « تقدم التعليم العالى فى العراق » .

نشر في رسالة بتاريخ ١ ـ كانون الثاني ١٩٣٠ . [٤٤]

المدرس والحزب الوطني :

بعد ان تم لخصوم المدرس ما ارادوا من اغـــلاق جامعة آل البيت ـ فلذة كبده ـ وخروجه مغاضبا من جراء هذا العمل المتسم باللؤم والحقد انخرط في صفوف الحزب الوطني المعارض الذي كان يتزعمه المرحـوم جعفر ابو التمن ، وقد ساهم مساهمة فعالة في الحزب حيث انتخب عضوا في الهيئة الادارية المركزية ، وامد جريدة « الاخاء الوطني » [٤٥] بمقالات ضافية تعتبر نموذجا عاليا في الادب السياسي .

ولم يقتصر نشاطه على هذه الجريدة حسب بل امتد الى صـــحف المعارضة الاخرى ، وقد كان لمقاله «الاستفتاء ومصيره» الذي نشرته جريدة « البلاد » بعددها المرقم ٢٩١ الصادر في ٢٦ـ١٠ـ١٩٣٠ اثره المباشر فـي الاوساط السياسية والشعبية مما ادى الى ان يغضب الملك ويوعز الى حكومة نوري السعيد بأن ترفع الدعوى على رفائيل بطي صاحب الجريدة باعتبار ان المقال لم يذيل بتوقيع (المدرس) وان كان الجمهور يعرف كاتبه . « وكان فيصل يحسب ان هذه الاشارة تكفي لتهديد المدرس فلما توالـت مقالاته وكلها سخرية بالوضع وتنديد بسياسته لم يطق صبراً . فأوعز الى رجاله بالبحث عن وسيلة تشل قلم المدرس عـــن مواصـــلة الكتابة ، فابتدعت حكومة نوري السعيد حيلة قانونية ، فطبقت على «فهمي المدرس»

---

(٤٤) يراجع البيان المذكور للوقوف على القصة الحقيقية لاول جامعة عراقية في العصر الحديث بقلم أمينها الأمين .

(٤٥) جريدة الاخاء الوطني : يومية سياسية جامعة لسان حال حزب الاخاء الوطني . صدر عددها الاول في بغداد في يوم الاحد ١٨ ربيع الاول ١٣٥٠هـ/٢ آب ١٩٣١ . (عبدالرزاق الحسني)

و « رفائيل بطي[٤٦] » نظام دعاوي العشائر وأبعدتهما في شتاء عام ١٩٣٢ الى السليمانية[٤٧] .

وقد أثر هذا النفي أثرا بعيدا فى نفسية المدرس ، فقد أخذ يتخيل ان الحكولة ومن ورائها الانكليز يدبرون له مكيدة تأتي على حياته ، يقول الاستاذ خيري العمرى : « وقد حدثني رفائيل بطي الذى نفي معه الى السليمانية عن تلك الوساوس التى استولت على المدرس فقال : كنا نقيم فى ثكنة عسكرية فى السليمانية وكان فهمى المدرس يمضى الليل ساهرا لا ينام خوفا من ان يتعرض خلال نومه الى الغدر وكلما لاح له شبح من النافذة أو سمع وقع أقدام اضطرب وحسب ان ساعة البطش بنا قد دنت[٤٨] » .

وبالنظر لمكانة المدرس فى نفوس العراقيين فقد أثار نفيه موجة استياء شديدة فى الاوساط السياسية انعكس أثرها فى مجلس النواب ، فطالب نواب المعارضة باعادة المدرس من منفاه فى شمالى العراق الى بغداد واطلاق حريته ليزاول عمله السياسى فى جو مليء بالحرية والطمأنينة . وبالفعل استجابت الحكومة ـ تحت تأثير الرأى العام ـ الى طلب المعارضة فأعادت المدرس الى بغداد .. فعاد الى مزاولة نشاطه السياسى والادبى الذى بلغ فيه الذروة حتى رفع استقالته من الحزب الوطنى[٤٩] فى شباط ١٩٣٤

---

(٤٦) روفائيل بطى : ولد فى الموصل عام ١٩٠١ واصدر فى بغداد فى ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٩ مع جبران ملكون جريدة (البلاد) . وقد انتخب مرات عديدة نائبا فى المجلس النيابى . ثم اختير وزيرا للدولة لشؤون الدعاية والصحافة فى ١٨ ايلول ١٩٥٣ . وتوفى فى الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة من صبيحة يوم ١٠ نيسان ١٩٥٦م . له عدة آثار مطبوعة .

(٤٧) خيري العمري : مجلة الاقلام ـ العدد الرابع ، كانون الاول ١٩٦٤ ص ٨٣

(٤٨) المصدر السابق ص ٨٤

(٤٩) تجد نص الاستقالة فى هذا الكتاب .

على أثر الخلاف الذى دب بين زعمائه واعتزال المرحوم جعفر أبو التمن العمل السياسى .

اثنا عشر يوما في المعارف :

وفي ١٥ آب ١٩٣٥ صدرت الارادة الملكية بتعيين فهمي المدرس مديرا عاما للمعارف براتب الدرجة الاولى وقدره (٧٠) دينارا ، وقد باشر المدرس وظيفته الجديدة هذه بتاريخ ١٨ آب ١٩٣٥ ، الا انه لم يستمر فيها مدة طويلة ، فقد وجد فى طريقه من العراقيل والمضايقات ما يجعل من المستحيل عليه الاستمرار وتحقيق المنهج الاصلاحي الذى ينشده ، فاستقال بتاريخ ١٩٣٥/٨/٢٨[٥٠] .

وطفق ينشر مقالات ضافية حول المعرف واصلاحها يكشف فيها للرأى العام العراقى حقيقة الامور فى وزارة المعارف ويشير على المسؤولين - الذين حاربوه - بالوسائل الناجعة لانقاذ معارف البلاد من أعاصير التسيب والانحراف والفساد .

فى دار العلوم :

وبعد وفاة الحاج نعمان الاعظمي[٥١] مدير دار العلوم في سنة ١٣٤٥هـ - ١٩٣٦م أختير المدرس خلفا له ، وقد استمر فى وظيفته الى سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م[٥٢] .

المدرس فى أعوامه الاخيرة :

لقد اصطلحت على المدرس فى أعوامه الاخيرة كثير من الهموم

---

(٥٠) تجد نص الاستقالة فى هذا الكتاب .

(٥١) نعمان الاعظمى : ولد فى الاعظمية سنة ١٢٩٣ هـ وقد اشتهر بالوعظ والارشاد وشارك فى مؤتمر القدس الاسلامى سنة ١٩٢٨م واصدر مع عبدالهادي الاعظمي في ٢٠ شعبان ١٣٢٨هـ مجلة (تنوير الافكار) . وتوفى سنة ١٩٣٦ م - تاريخ جامع الامام الاعظم جـ١ الشيخ هاشم الاعظمى

(٥٢) هاشم الاعظمى : تاريخ جامع الامام الاعظم - الجزء الاول ص١٣٨

والهواجس والاوهام التي كان مبعثها شيخوخته وجهاده الطويل وبوار سعيه ، زد على ذلك ما كان يقاسيه في بيته من مشاكل ومنغصات مردها التفاوت الكبير بين سنه وسن زوجه(٥٣) ، مما جعله يركن الى الصمت في أغلب الاوقات ، فلم يؤثر عنه في هذه السنوات من النشاط الادبي والسياسي شيء يذكر اللهم الا اذا استثنينا ما كان يكتبه بمناسبة المولد النبوي وخطبه الوطنية التي أذاعها من محطة اذاعة بغداد غداة حركة مايس ١٩٤١(٥٤) التي اندفع في تأييدها وتأييد القائمين بها رغم اعتقاده بفشلها الاكيد ، فقد علل هذا التأييد وذلك الاندفاع بقوله «انها فرصة عرضت عليّ لابث مبدئي واذود فيها عن عقيدتي وأهاجم أعداء أمتي وقومي فيجب ان أغتنمها ، وليس الشرط ان تنجح القضايا الوطنية حالا انما المهم التضحية بالقضايا الفردية ، فاذا انتهت حركة رشيد عالي سنعود ثانية الى عراكنا مع نوري السعيد لاني واثق من نصرهم لان قواعدهم في البلد ، وهذه الاردن قريبة بجيشها لنصرة الانكليز ، فلم لا أشارك في الدفاع عن كرامة وطني وقومي وأمتي وليكن ما يكون بعد ذلك(٥٥) » .

وبعد فشل حركة مايس ١٩٤١ أغلق فهمي المدرس مجلسه وأوصد بابه دفعا لجواسيس السلطة المتواطئة مع الانكليز ، الا ان بعض أصفياء المدرس ومريديه لم يثنهم ذلك عن زيارته والاستفسار منه عما يجري في البلد ، فكانوا يدلفون اليه من بوابة خلفية بعيدة عن عيون الجواسيس

---

(٥٣) تزوج فهمي المدرس في شهر آذار ١٩٢٦ من الآنسة فاطمة ابراهيم فأعقبت له اولاده : بتول ، وأنور ، ومؤيد .

(٥٤) ذكر الاستاذ كمال ابراهيم في مقاله عن فهمي المدرس المنشور في جريدة « البلد » بعددها المرقم ٣٨٨ الصادر في ٢٩-٨-١٩٦٥ ان المدرس ظل يواصل خطبه الحماسية حتى بعد قصف محطة الاذاعة الحالية ونقل المرسلات سرا الى دار في ضاحية الاعظمية .

(٥٥) ناجي الاصيل : جريدة «الايام» العدد ١٠٣ الصادر في ١٦ آب ١٩٦٢

ويتداولون معه أوضاع الشعب واحداثه . وكان رحمه الله رغم كل ذلك ذا ثقة وأمل فى مستقبل بلاده ، فقد كان يعتقد «ان هذه حلقة من سلسلة كفاح طويل على الشعب ان يحتمله ويصطبر حتى يبلغ أمانيه الوطنية[٥٦]».

وهكذا استمر المدرس فى عزلته وصمته لم يخرج على الناس بمقال أو حديث حتى قامت الضجة حول كتاب « رسائل التعليقات » الذى أصدره المرحوم معروف الرصافي ، فقد تسلم المدرس من مديرية الاوقاف العامة كتابها المرقم ٢٢٧٨ والمؤرخ ١٩٤٤/٢/٢٦ والذى رجته فيه ان يبدى رأيه فى كتاب الرصافي ، فاستجاب المدرس وأرسل اليها بجوابه فى ١٩٤٤/٣/٦ وطلب الى المديرية المذكورة الا تنشره[٥٧] .

وفاتـــه :

لقد أصيب المدرس فى آب ١٩٤٤ بمرض ألزمه الفراش ، وقد حاول كثير من أصدقائه وتلاميذه حمله على مراجعة المستشفى ولكنه رحمه الله أبى ان يفعل خوفا من غدر الطبيب الانكليزى فى المستشفى ! وقبل أن تنسلخ ليلة الاثنين الرابع عشر من آب ١٩٤٤[٥٨] فاضت روح

---

(٥٦) كمال ابراهيم : جريدة «البلد» العدد ٣٨٨ الصادر فى ٢٩ آب ١٩٦٥

(٥٧) تجد نص الجواب فى هذا الكتاب .

(٥٨) من الغريب ان تتسرب عدوى اختلاف المؤرخين الى تاريخ وفاة المدرس بعد ان تسربت الى تاريخ ولادته ! فقد ذكر المرحوم ابراهيم الدروبى فى كتابه « البغداديون اخبارهم ومجالسهم » فى الصفحة ١٤٠ ان وفاة المدرس كانت سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م ، وكذلك حدد الاستاذ عبد المنعم الغلامى فى الجزء الاول من كتابه « الانساب والاسر » الصفحة ١٢٤ سنة ١٣٦٧ هـ تاريخا للوفاة ، وذكر الشيخ هاشم الاعظمى فى الجزء الاول من كتابه « تاريخ جامع الامام الاعظم » الصفحة ١٧٩ ان الوفاة كانت سنة ١٣٦٤ هـ ، أما شاهد القبر الرابض فى مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلانى فيقول : « هو الباقى .. انتقل الى جوار ربه المغفور له أمين جامعة آل البيت سابقا الاستاذ الكبير فهمى بك المدرس وذلك ليلة الاثنين ١٤ آب ١٩٤٤ الموافق ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٣ .. الى روحه الفاتحة » .

المدرس الى بارئها .. فطويت صفحة ناصعة نظيفة من الخلق الرضي والادب الجم والعلم الغزير ..

وفى اليوم التالى خرجت ثلة من أصدقاء المدرس وتلاميذه وعارفي فضله تشيعه الى مثواه الاخير فى مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلانى فى الجانب الشرقي من بغداد .

مؤلفاتـــه :

تقسم مؤلفات فهمى المدرس الى قسمين :

القسم الاول ـ مؤلفاته باللغة التركية : وتشمل ما كتبه فى العهد العثمانى وهى :

١ ـ تاريخ أدبيات عربية ـ الجزء الاول خاص بالعصر الجاهلى ، وهو مجموعة المحاضرات التى ألقاها على طلاب دار الفنون فى استانبول ، ويقع في ألف صفحة ، وقد طبع في مطبعة العامرة[٥٩] في الاستانة سنة ١٣٣٢هـ ، ومما يجدر ذكره ان المؤلف كتب الشروح والتعليقات باللغة التركية أما النصوص الشعرية والنثرية فقد أبقاها بنصها العربى ، وقد يعمد بعض الاحيان الى ترجمتها الى اللغة التركية .

٢ ـ حكمت حقوق اسلامية ـ وهو مجموع محاضراته في تاريخ التشريع الاسلامي وحكمته التي ألقاها على طلبة دار الفنون في الاستانة ، ويعد من مؤلفاته المفقودة .

٣ ـ مقالاته فى الصحف التركية ـ لقد كان نتاج المدرس الادبى والسياسى ثرا ثجاجا ، فرغم انهماكه فى التدريس الجامعى ، فقد كان يتحف الصحف التركية بالطريف المبدع مما يدبجه يراعه كـ «شهبال»

---

(٥٩) مطبعة العامرة مطبعة خاصة بجامعة الاستانة .

و «ثروت فنون[٦٠]» وجريدة « بغداد[٦١] » التي أصدرها حزب الاتحاد والترقي في بغداد لتكون لسان حاله ، وقد رأس تحريرها المرحـــوم مراد سليمان .

القسم الثاني ـ مؤلفاته باللغة العربية : وتشمل ما كتبه في الصحف العراقية والعربية وما حاضر به طلاب جامعة آل البيت وهي :

١ ـ مقالاته ـ وهي مجموعة مقالات في السياسة والاجتمـــاع والتاريخ ، وقد قامت بجمعها لجنة مؤلفة من الاساتذة : محمد ناجـــي القشطيني ، ورفائيل بطي ، وعبدالقادر الزهاوي ، وعبدالغفور البدري ، وطبع الجزء الاول منها في مطبعة الشعب ببغداد سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م ، كما طبع الجزء الثاني منها سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م في المطبعة ذاتها .

٢ ـ محاضراته في جامعة آل البيت ، وتتضمن :

أ ـ فلسفة المواريث في الاسلام : وتقع في حوالي ستين صفحة كان قد ألقاها على طلبة الصف المتقدم ـ وقد نشر بعضها يومذاك في مجلـــة « الاقلام[٦٢] » ـ ويجدها القارىء في ثنايا هذا الكتاب .

---

(٦٠) يقول الاستاذ عباس العزاوي في كتابه « تاريخ العراق بـين احتلالين » الجزء الثامن ص ٨ عن مجلة « ثروت فنون » ما يلي :
« مجلة مهمة جدا تعرضت لبعض ولاة بغداد وفصلت أحوالهم وتصدت لنواح مهمة من العراق ، وهي من الصحف المعتنى بما تكتب في تقديـــر القيمة العلمية والادبية » .

(٦١) صدر العدد الاول من هذه الصحيفة في ٦ آب ١٩٠٨ وكتب في ديباجتها انها (جريدة سياسية علمية ادبية اسبوعية واسطة لنشر افكار جمعية الاتحاد والترقي) .

(٦٢) مجلة شهرية اصدرها المرحوم علي ظريف الاعظمي ، وقد صدر العدد الاول منها في شعبان ١٣٤٦ (شباط ١٩٢٨) ولم تعمر طويلا اذلم يصدر منها سوى عشرة اعداد .

ب ـ بحث فى الديانة الزردشتية : لقد وجد المدرس رحمه الله ان ما ألقاه المرحوم طه الهاشمي في موضوع الديانات الفارسية القديمة مبتسر فقام بكتابة بحث تكميلي فى نشأة الديانة الزردشتية وأصولها[٦٣] .

٣ ـ بيان موجز عن جامعة آل البيت والشعبة العالية الدينية : فـى دورين من حياتها دور التأسيس ودور الجهاد العلمي وهو يقع في (٥٦) صفحة من القطع الكبيرة وقد تم طبعه بتاريخ ١ كانون الثانى سنة ١٩٣٠م فى مطبعة الآداب ببغداد .

٤ ـ الجزء الثالث من مقالاته ـ ولما كان الجزءان الاول والثانى من « مقالات » المدرس المطبوعان ببغداد قبل ما يقرب من الاربعين سنة لـم يضما جميع مقالاته فقد قمنا باستقصاء آثار المدرس المنشورة فى الصحف العراقية وبعض الصحف العربية على مدى اربعـين عاما ما وجـدنا الى الاستقصاء سبيلا ، وكان حصيلة ذاك الجهد المتواصل .. هذا الكتاب . مع العلم باننا لم نقصر تتبعاتنا على الصحف وحدها بـل استنطقنا الملفات والوثائق الرسمية واتصلنا بجمهرة فاضلة من أصدقاء المدرس وتلاميـذه ودارسيه ممن خالطـه أو زامله أو تتلمذ لـه أو تتبع آثـاره ووقف على سيرته ، كل ذلك من أجل القاء أضواء جـديدة على شـخصية المدرس رحمه الله .

ونحن لا نجزم بان هذا الكتاب قد أتى على جميع ما دبجته يراعـة المدرس من مقالات وبحوث مما لم يضمه الجزءان الاول والثانى ، فمـن المحتمل جدا ان تكون له مقالات أخر لو سمحت الظروف وواتت الفرص لكونت جزءا رابعا لمقالاته ، بل اننا عمدنا فى بعض الاحايين الى استبعاد

---

(٦٣) أعلمنا الاستاذ كمال ابراهيم ان المدرس قد استدعاه ذات يوم واعطـاه هذا البحث وطلب اليه ان يستنسخه ثم يقدمه للطلاب ليقوموا باستنساخه من غير علم المرحوم طه الهاشمى .

بعض المقالات لسبب او لآخر ومن تلكم المقالات المقالة المطولة (جامعة آل البيت وساطع بك الحصرى) المنشورة فى العدد ١٢٤ من جريدة « العالم العربى » الصادر بتاريخ ١٩ آب سنة ١٩٢٤ • ولمن يروم الوقوف عليها فليراجعها في كتاب « فهمي المدرس – من رواد الفكر الحديث » للدكتور يوسف عزالدين ، من مطبوعات جامعة الدول العربية – قسم الدراسات العليا – القاهرة سنة ١٩٧٠ •

تواقيعه :

لقد كان الاستاذ المدرس ينشر مقالاته في الصحف العراقية بنوعين من التواقيع :

الاول : اسمه الصريح •

والثانى : التواقيع المستعارة التى تواترت فى ذكرها الاخبار وأجمع المتصلون به والمتتبعون لآثاره على معرفة صاحبها حتى غدت وكأنها الاسم الصريح له ، وهى : حارث ، الحارث[٦٤] ، عراقي ، العراقي ، الكاتب الكبير (العراقي) ، ومن المحتمل ان المدرس كان ينشر بعض مقالاته بغير هذه التواقيع •

وقد ذكر الاستاذ كمال ابراهيم ان المرحوم أحمد عزة الاعظمى[٦٥]

---

(٦٤) : أفادنا الاستاذ عبد الآله حافظ ان المرحوم يوسف غنيمة كان يذيل بعض مقالاته بتواقيع « ابو الحارث » •

(٦٥) أحمد عزة الاعظمى : ولد ببغداد سنة ١٨٨٠ ، واكمل دراسته فى مدارس الاستانة ، ثم اصدر هناك فى ١١ آذار ١٩١٣ مجلة (لسان العرب) و (المنتدى الادبى) فى ٢٧ شباط ١٩١٤ ، كما اصدر فى بغداد (اللسان) سنة ١٩١٩ و (المعرض) سنة ١٩٢٥ • وقد اشتهر بمواقفه الصلبة فى الجهاد الوطنى والثورة العربية ، وقد اخرج عن الثورة كتابه المهم (القضية العربية) فى ستة اجزاء مابين عامى ١٩٣١ – ١٩٣٤ • توفى يوم الاربعاء ٢٢ تموز ١٩٣٦ •

صاحب جريدة « لسان العرب[٦٦] » كان ينشر للمدرس مقالات بأسماء مستعارة ولكننا لم نقف عليها .

مجلســـه :

ولن نكوّن للمدرس صورة متكاملة فى الاذهان ما لـم نومىء الى مجلسه الفريد .. أحد مجالس بغداد الشهيرة . فلقد أجمع الذين حظوا بمجالسة المدرس والاستماع الى أحاديثه وأسماره على انه رحمه الله كان محدثا نادر النظير .. فقد كان ذلق اللسان بليغا الى حـد الاعجاز طلي الحديث الى درجة السحر ، يستأثر باعجاب جلسائه فيشدهم اليه شدا ، وكان اذا خاض في جدال أو مناقشة كان لـه القدح المعلى .. فهو بليغ منطيق قد أوتي من الحكمة وفصل الخطاب ما يجعـل سامعه أو محدثه يهيبه ويحسب له كل الحساب ..

ويصف الاستاذ أحمد حامد الصراف مجلسا مع المدرس فيقول : «.. واذكر انه حدثنا فى أمسية من أمسيات تشرين الثاني والبدر مطل والنسيم السجسج العليل يهب فيحمل الينا شذا الورود المحيطة (بالحوض) الصغير ، حـدثنا عن نفيه الى جزيرة (رودس) فوصـف لنا الجزيـرة وقلاعها وبساتينها وأرباضها ورياضها والبحر المحيط بها حتى خيل لنا ان أمواج البحر حول أقدامنا فادخلنا فى عالم اخر .. عالم (وجد واستغراق) عالم (اليوكى) الناسك الهندى ، وقد مر الزمن مرور البرق ولو لم تخبرنا (الساعات) انها الحادية عشرة من الليل لما تركنا المجلس ، ولـم ينتبه صديقى الراشد[٦٧] من عالم وجده الا عندما كوته جمرة سيكارته فانتفض فصحا »[٦٨]

---

(٦٦) مجلة (لسان العرب) : مجلة شهرية اصدرها احمد عـزة الاعظمى فى الاستانة ، وقد ابدل اسمها فى سنتها التالية الى (المنتدى الادبى) .

(٦٧) هو المرحوم اسماعيل الراشد .

(٦٨) احمد حامد الصراف : جريدة الايام ـ العدد ١٢١ الصـادر في ٦ أيلول ١٩٦٢ .

لقد كان المدرس يعقد مجلسه فى داره الكائنة في محلة البارودية أو في حديقته الخاصة فى الاعظمية ، وكان يرتاد مجلسه أعيان البلد ، وعلية القوم من رجال الفكر والادب والسياسة ، وكان المدرس رحمه الله يتخذ من مجلسه كوة ينفس بها عن همه وكربه ، فكان يسلق رجال الحكم وينتقد أعمالهم ويكشف عن سوءة الحكم ومناكبته لمصالح الامة ، فكأنما كان مجلسه ندوة برلمانية تمثل جناح المعارضة فى البلد ، فلا غرو اذا ما كان للحكومة فى مجلسه أكثر من عين وأكثر من أذن !

وبعد ..

فقد كان فهمي المدرس أمة وحده ، فى علمه وأدبه ، في خبراته ومعرفته ، في شخصيته ومجلسه ، منح وطنه أغلى مايملك .. شبابه وفكره وحبه . ونأمل ان يحفز جهدنا هذا همم الباحثين والمعنيين بالادب العراقي وأعلامه ليكرموا فهمي المدرس ، ويحيوا آثاره ، ويحتفلوا بذكراه ، تلبية لداعى الوفاء وخدمة للجيل المعاصر المتلفت يمنة ويسرة للبحث عن القدوة الصالحة والاسوة الحسنة .

وختاما نتقدم بجزيل الشكر ووافر الاحترام الى المجمع العلمي العراقى الموقر لاحتفائه بالكتاب وتقديم المساعدة على نشره .. أبقاه الله حاميا للعلم ونصيرا للادب .

عبدالحميد الرشودي خالد محسن اسماعيل

الكرخ ١٤-٨-١٩٦٩

المقـالات

التجنس العراقي

والتوظف

لقد ذهبت الصحف في أمر التجنس بالجنسية العراقية مذاهب كثيرة ، بحسب ما اقتضته مبادىء أصحاب الاقلام .. وان تلك المذاهب وان كانت متفاوتة فى الشكل لكنها متحدة فى الغاية .. وهى – على ما ظهر لنا – حرص الباحثين فى القضية على الوظائف من أن تكون من مطاعم الغرباء بهذه الطريقة الحديثة .

فمن مستقرىء قوانين الدولة ومستخرج منها اراء علمية وقواعد تشريعية تناسب الحال ، وتنطبق على روح الاجتماع ، ومن مفكر في وجوب اقامة غير العراقيين فى العراق مدة عشر سنوات أو أزيد من ذلك أو أقل ليبرهن أولا على صدقه واخلاصه لهذا الوطن ، وارتباطه به ارتباطا يخوله حق التمتع بالمناصب ، ومن قائل بالتأجيل الى انعقاد المجلس النيابى حذر البت به فيأخذ كل غريب مقعده ، ولات حين مناص .. ومنهم من اباح للغرباء ان يتقلدوا قسما من الوظائف الثانوية دون الرئيسية .. وقد منع البعض ذلك القسم القليل ايضا خشية ابعاد العراقيين عن الوظائف ابعادا تدريجيا فتصبح الدولة يوما فى أيدى الغرباء ، وفيه من الخطر ما أثبته التاريخ بالوقائع .. لاسيما وان البلاد في دور الانتقال والتجربة ، وفي مثل هذه الادوار لا يحرص على المصلحة العامة ولا يتفانى في سبيلها الا ابو المصلحة وابن المصلحة ، والغريب لا يهمه الا نفسه وصالحه ، واذا ما دنا الاجل ابحر ، أو اقفر او طار .. وكم من غريب فعل فعلته هذه ولم يخش عاقبة أمره ، وما عهد الغرباء ببعيد ..

اما المسألة فهى من أهم المسائل الحيوية ، وهى مسألة لا تقبل التقليد أو القياس لانها من المسائل المقيدة بشروط ربما توجد في محل ، وتفقد في آخر ، لاسيما في مثل دولتنا الحديثة المفردة في شكل ادارتها .. فمن

الواجب تفريقها الى قضيتين : قضية التجنس ، وقضية التوظف ، والثانية منهما تهم كل عراقي لما فيها من التعرض بحقوقه الموروثة والمكتسبة معا ، وما من أحد الا ويعذرنا على دفاعنا عن حقوقنا ، كما انا لا تأخذنا في الحق لومة لائم .. ولا عذر لمن يعرف حقه ولا يدافع عنه ، وان من واجبات الفرد فى المجتمع ان يعرف ماله وما عليه ، والحق احق ان يتبع ..ولابد لكل حق من علل واسباب تحققه ..

فأنا اذا عللنا توظيفنا البريطانيين لافتقارنا الى الاختصاصيين فبماذا نعلل توظيفنا غيرهم من الشرقيين الذين لايفوقوننا علما ومقدرة ؟ أما نكون قد أقمنا على أنفسنا حجة بانا لا نصلح لعمل من الاعمال ؟ وكيف يصح حينئذ للامم ، بل وكيف يصح لنا ايضا القطع بأننا قادرون على ان نحكم انفسنا بأنفسنا ، ومن يتعهد بأستقلالنا اذا اصبحنا تحت وصاية كل امة من امم العالم غربية كانت أو شرقية ، مستقلة أو غير مستقلة ، وكيف تتمكن حليفتنا من ترك الحكم لنا بعد أربع سنوات اذا لم نكن من الان قد استلمنا زمام الادارة واثبتنا كفاءتنا فى كل شعبة من شعبها وفى كل عمل من الاعمال جزئيا كان او كليا . ومن يضمن لنا نجاح حليفتنا فى عصبة الامم يوم العرض اذا لم نكن قد اقمنا البراهين على استغنائنا عن المساعدة وهل يثبت ذلك الا بالتجربة وهل التجربة الا باستلام الادارة ؟

ولسنا نريد بقولنا (الغرباء) العرب من ضيوفنا أو السوريين كما ذهب اليه البعض ، فجعل يحدث فى الامر منافرة بل انا نقصد بالغريب كل من يطلق عليه (غير عراقى) بعد الموظفين البريطانيين ..

نصرح بذلك لئلا يبقى محل للمغالطة او سوء الظن ، وليشهد العالم بأنا لانفرق بين احد منهم ، مهما كانت جنسيته ، ومهما كانت نزعته ، وعقيدته .. كما انا لانخص غير القديرين منهم ، بل القديرين ايضا، لان مقدرة الغريب لاتخوله حق الحكم فى بلد هو غريب عنه فالغريب غريب

ولو كان اقدر اهل الارض .. والغريب عدا كونه لا يشفق على المصلحة كالوطني المرتبط بوطنه بروابط لاتزعزعها الحادثات فانه لايعرف حاجة البلاد ولا عاداتها ولا ذهنيتها ، ولا (عنعناتها) فيضطر الى ان يسلك طرق التجربة فيمحو ، ويثبت ، ثم يثبت ويمحو الى ان تفوت الفرصة ويضيع الوقت ويخسر المال ويقضى على المصلحة وحبله على غاربه . هذا اذا كان حسن النية .. اما اذا كان الامر بالعكس ، فكيف يرجى من رجل مرتزق دفعته صروف الدهر الى ان يلقى رحله فى بلد لا ناقة له فيه ولا جمل فزاحم أهله ، فتحكم وتسيطر ، ثم عتا واستكبر ، ان يفسح المجال لاعمال من شأنها توليد أمثال له فيكون كالباحث بظلفه عن حتفه ؟ وان قانون تنازع البقاء يدفعه الى ان يقضى على حياة كل قدير ، وعلى تحطيم كل عمل من شأنه توليد القدرة لتبقى البلاد فى حاجة اليه فيحيا بها حياة ابدية !

على ان فى المسألة امراً آخر يرجع الى عز النفس ، فان العراقى اذا منع حق التوظف فى بلاد الغرباء بمقتضى القوانين المسنونة هنالك ، ومنح غير العراقى حق التوظف فى العراق بحسب القوانين الموضوعة هنا ، افلا يظهر من هذا المنع ، وهذا المنح ان العراقى أقل منزلة من غيره ؟

فان قيل : ان السلطة هى التى منعته هناك وان سلطة أخرى سمحت به هنا ، ولا رأى للشعبين فى الامرين ـ ولا نعتقد ذلك ـ فعندئذ يجب على العراقى ان يفكر فى جنسية تضمن له حقوقا عوض التكاليف التى يفرضها عليه قانون التابعية والا يصدق عليه المثل (يتعب ابو كلاش ياكل أبو جزمة)[1] .

---

(١) (يتعب ابو كلاش ياكل ابو جزمه) : مثل شعبى يضرب للجهد الضائع الذى يستولى عليه غير صاحبه ومنه المثل الفصيح : (رب ساع لقاعد) . وقول الشاعر :

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

وان قيل : ان ذلك من كرم الاخلاق فليكن العراقى محروما من هذا الحق فى غير العراق ، وليكن غير العراقى ممتعا به فى العراق ،

قلنا : ان القضية ليست من القضايا الاخلاقية وانما هى من المسائل الحقوقية ، فالحق شىء والكرم شىء آخر فهل يجوز لرب البيت أن يترك اهل بيته يتضورون جوعا ، وينفق على غير اهله اموالا استقرضها بالفائض المضاعف ؟!

أم هل يجوز لرب البيت ان يكل أمور بيته الى من هو غريب عنه ، وعن أهله، وهو حى يرزق، وهو يسمع ويرى، وهو ليس بالمقعد، ولا بالمفلج ؟! وبما ان الوظائف حق من حقوق العراقيين وحدهم ، فالعراقيون لا يريدون ان يزاحمهم فيها مزاحم ماعدا الموظفين البريطانيين المحدودين ولا يريد العراقى ان يعود نفسه على التأخر فى كل شىء حتى عن حقه الصريح .. وهو اذا لم يتوغل بالعمل ولم يتطبع عليه يصبح خائفا وجلا من كل أمر كالطفل الذى يجفل عندما يجابهه أقل حادث ، فلا يقدم على شىء مالم يستند الى غيره ، ويكون حينئذ قانعا من نعم بلاده بالاعمال الخسيسة ، والامثلة فى هذا الباب كثيرة ..

وان قيل فيما يخص العرب من ضيوفنا : ان ذلك مما يؤيد الوحدة العربية ، قلنا نعم انا من دعاتها وانا من المتفانين بحبها .. ولكن الوحدة العربية أجل من ان تباع وتشترى ، الوحدة العربية شعور يشعر به العربى بدافع القومية ، لا بتأثير المؤثرات ، فالعربى يحب العربى مثلما يحب نفسه ، والعربى يذب عن العربى كما يذب عن نفسه ، وذلك بدافع الفطرة لا بحكم القوانين وإنا لا نرضى لضيوفنا العرب ان يكونوا من المؤلفة قلوبهم ، كما انهم لا يرضون ذلك لانفسهم ..

ولنا في الوحدة العربية كلمة نوردها على سبيل الاستطراد .. كان

الواجب على العرب قبل ان يحل بهم ماحل ان يوحدوا كلمتهم ، ويجمعوا أمرهم ويؤلفوا دولتهم على اساس الوحدة العربية .. فلم يفعلوا ، بل اندفعوا بدافعي الجهل والطمع الى ان يتفرقوا شيعا ويفتوا في ساعد القائمين بالحركة حتى وقع ما كنا نحذره ، وقضي الامر واصبحوا على ما فعلوا نادمين ..

أما وقد سبق السيف العذل ، فلم يبق لتكوين الوحدة الا أمر واحد وهو تكوين الوحدات التي تتكون منها الوحدة العمومية .. ولا تتكون الوحدات مالم تتكون كل وحدة منها على حدة ، ولا تتكون كل وحدة مالم تتحد اجزاؤها التي تتألف منها .. والوحدة العراقية هي من جملة الوحدات التي تتكون منها الوحدة العمومية وهي لم تتكون بعد بل هي في حالة التكون .. فمن المروءة ان نترك وشأننا ، لنجمع شملنا ونلم شعثنا ونأسو قروحنا ونقوى على تكوين وحدتنا ، ثم لندع الى تكوين الوحدة العمومية .. فان ابينا فعند ذلك يحق القول علينا .. واذا قالوا : انما جئنا لنقوى وحدتكم قلنا : ان وحدتكم ـ على ما ترون لنا ـ أحوج الى التقوية ، فقووا اولا وحدتكم ، وكفى ما قاسيناه ، وقاسته الامة العربية من الاغلاط ، ودعونا نقوّ وحدتنا وعندما نقوى جميعا ندعوكم وتدعونا ونجمع قوانا على تكوين الوحدة المطلوبة ان شاء الله .. والا نخسر وحدتنا وتخسروا وحدتكم ، و ﴿ ذلك هو الخسران المبين ﴾[٢] .

حارث*

---

(٢) الحج : ١١

(*) جريدة «العالم العربي» العدد ١٤٥ الصادر في ١٢ أيلول ١٩٢٤

الوحدة والحكم المطلق

[أما وقد اتيح لنا الحصول على حكم دستورى قائم على اساس العدل والاخاء فعلينا ان نسعى الى اصلاح كل ما أفسدته يد الاستبداد المتأصلة روحها فينا منذ قرون والى جمع الكلمة وتاليف البين اذا كنا نريد حقا الوحدة التى ننشدها] .

ضدان لا يجتمعان ، الوحدة والحكم المطلق .. فحيثما يكون الحكم المطلق فهناك تقوم قيامة الخلاف بين العناصر ، وبين الطوائف والجماعات بل وبين الشخصيات البارزة ، وبين الافراد أنفسهم ..

فتارة يظهر الخلاف اولا بين الافراد ثم يتسرب الى روح الجماعات فينتقل الى الطبقات العالية . وتارة بالعكس وذلك بحسب ما تقتضيه مشارب الحكام المطلقين ..

والحكومات المطلقة فى ذلك على حد سواء ، لا فرق بين شرقيتها وغربيتها . وما من حكومة مطلقة الا وقضت على كل ما من شأنه تكوين الوحدة ، وجمع الكلمة .. فالتفريق والحكم المطلق رضيعا لبان ، وفرسا رهان ، وقرينان لا يفترقان ..

يسود الحكم المطلق على اثر التفرقة ، وتدوم التفرقة مادام الحكم المطلق ، وما اجتمعت الكلمة الا وزال الحكم المطلق . والاجنبى احرص من غيره على التشتيت والتفريق لاسيما اذا كان أجنبيا من وجوه شتى .. كأن يكون اجنبيا فى الدين والجنس ، وفى اللغة ، وفى غير ذلك ، فان لكل من هذه المؤثرات ما يشجعه على تفكيك عرى الوفاق فيجعل له قلبا كالحجارة ، او أشد قسوة ..

وان شعبا لا يدرك هذه الحقيقة لحرى بان يهزأ به ، ولن يـــدرك الشعب هذه الحقيقة مادام الحكم المطلق مسيطرا عليه ، لان الادراك يولده العلم ، والعلم انما تحققه الوحدة ، والوحدة يعارضـــــها الحكم المطلق ، فحيثما يحل الحكم المطلق يخيم هنالك الجهل المطبق ..

فكيف يرجى من شعب تعاقب عليه الحكم الاجنبى قرونا اثر قرون ان يدرك حاجته الى جمع كلمته ، وتكوين وحدته ، وهو لم يصبه من الاجيال السالفة غير ماكان ينتقل اليه فى البطون والارحام من جراثيم الجهل؟!

وان من الحقائق ما تلجلج لها الالسن ولا تجرى بها الاقلام ، ولكنها من حيث انها حقيقة يجب التصريح بها لتعالج معالجة حذق فلعل هنالك ما يصلح للمعالجة ..

اني لا انكر على الذين يهزأون بنا ويسخرون منا هزءهم وسخريتهم، بل اني ارى ان نهزأ بأنفسنا قبل كل هازىء ، فلربما نتوصل الى ما يجعل الهازئين بنا والساخرين منا يفكرون فى احترامنا كما تحترم الشـعوب .. وكيف يحترمنا الغير ونحن على ما يعلمه منا من التشتت الذى ادى بنا الى ألا نحترم أنفسنا ، والا نعرف لها حقا ، ولا شأنا ، ولا موقعا ؟!

نتزاحم على اللا شيء ، ونتباغض على اللا شيء ، وان الذى تزاحمنا وتباغضنا عليه هو جزء من ألف جزء مما ناله الغرباء من خيرات بلادنا ، بدون مزاحمة ، وبدون مشاحنة .

ولا نتعـظ بالذين جاؤا هـذه الديار من مشارق الارض ومغاربهـا متفرقين ، متباينين فى الجنسية ، وفى الدين ، وفى النزعة ، وفى اللغـــة فأصبحوا اخوانا على سرر متقابلين . واذا ظفر أحدنا بشيء من ماله ـ كما يظفر لاعب اليانصيب ـ حنق عليه بنو جلدته ، فوشوا به ، وشددوا عليه النكير ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ..

وفاتهم ان الغريب المتأصلة روحه فى هذه البلاد منذ اجيال يسره ان تقع بينهم العداوة والبغضاء ليختلفوا ، فيتنازعوا ، فيفشلوا ، فتذهب ريحهم، فيكون له الفضل على من يعطف عليه عطف السيد على مولاه بتوليته أمرا من جزئيات الامور على ان يكون بين الخوف والرجاء منتظرا فى كل لحظة أجله الذى يستغنى به عنه فيصبح هو وأهله فى داره من الجائمين ..

فهل كان من العقل ان نطلعهم على ما فى قلوبنا فنفسح لهم المجال لان يتسنموا أعلى المساند ، ونبقى على فضالتهم ـ كما تشتهي أنفسهم متحاسدين ، متباغضين فيصبحوا هم الاولين ، ونصبح نحن الآخرين ، وتكون يدهم هى العليا ، وتكون يدنا هى السفلى ، ويكونوا هم المتفضلين ونكون نحن المتطفلين ، ويعيشوا هم وعترتهم عيشة راضية ، ونعيش ومن معنا عيشة القانع والمعتر ؟!

نعم ذلك مما غرسه الاجنبى ومما جنته يد الاباء والاجداد من ثمرات الحكم المطلق ، فورثها ابناء لا ذنب لهم غير انهم من نطفة كونتها جراثيم الجهل الذى كان ينتقل فى الاصلاب منذ قرون ..

فلقد حكم هذه الديار أقوام مختلفة جنسياتهم متفاوتة دياناتهم ، متضاربة سياستهم : فمن الكلدان ، الى الآثور ، الى الرومان ، الى اليونان، الى العجم ، الى العرب ، الى التاتار ، الى الترك ، الى الانكليز ..

ولقد ترك كل حكم له أثرا في النفوس ، وبقية باقية في طبقات المجتمع ، تعزز بهما الحكم المطلق ، وتمهدت السياسة الاجنبية ، ولم تسمح الاقدار بفرصة تمكن الشعب من ان يفكر فى تأليف وحدته فيكون شعبا متضامنا ، فيأخذ نصيبه من الحياة ، لان الحكم كان يستلمه أجنبى عن أجنبى ، والاجنبى لا يمكّن من ذلك .

ولقد بلغت حذاقة الاجنبى فى سياسة هذه البلاد ما جعل الخلف يأخذ عن السلف ، والسلف عمن قبله .. فمن خلاف الى نزاع ، الى نضال ،

الى نقص فى الاموال والانفس ، الى قهر ، الى عظمة الى جبروت ، الى دمار ، الى خراب .. والحبائل ممدودة لاقتناص الشعب ، فدسيسة كانت تجذبه واخرى تدفعه ، وهو ما بين هذه وتلك ينازع حالتي جهل،وشقاء ..

فلكم خسر مالا ، ولكم فقد رجالا بما كان يعده لقتال ذوي القربى ، واطماع الاجنبى فى سبيل الانتصار .. وهو لم يخسر ما خسره ولم يفقد ما فقده باختياره ، وانما كانت تضطره سياسة الحكم الاجنبى الى ذلك ، سياسة التفرقة وتشتيت الشمل ..

وهذه التفرقة هى التى جعلت الشعب مفطورا على حب الغريب ، وهى التى جعلت الغريب مسيطرا عليه جيلا بعد جيل .. ولقد بلغ ذلك الحب بالعراقيين مبلغا جعلهم يتفاخرون به ، ويتسابقون اليه كما تتسابق الامم الى الخيرات .. وهذا الحب هو الذى قضى عليهم وعلى بلادهم بالويل والثبور.

فلم يذكر التاريخ من المناقب ما يدل على وفاء الغريب آثرناه ، فأكبرناه ، فعبدناه .. والشعب العراقى على ما فطر عليه من وضع الامانة فى غير موضعها ، تعود ان يجود بنفسه ، وبماله ، وبملكه على من لا يعرف له إلاّ ولا ذمة ..

ومما جرأ الغرباء الحالة الروحية التى لم نجد لها أثرا في غير هذا الشعب كالانتصار للغريب عندما يحدث بينه وبين أحد من الاهلين ما يوقفهما في موقف المحاجة انتصارا يجعل الغريب قانعا بأن كل عراقى عدو ولكل عراقى ، وبان كل عراقى له ثأر عند كل عراقى ، لان العراقى فى مثل هذه المواقف لا يجد له وليا ولا نصيرا ، والغريب على كل حال يكون هو المؤيد المنصور .

فاذا كانت هذه هي حالة وحدتنا فهل يرجى منها خير اذا دعيت الى الاشتراك بتكوين الوحدة العامة ، وان الوحدة العامة ـ كما عرضنا فى مقالتنا الاولى ـ لا تتكون الا بعد ان تتكون كل وحدة من وحداتها على حدة!

على انا من الموقنين بأن باقي الوحدات أيضا لايقل تذبذبا عن وحدتنا

غير ان الاختلاف فيها ربما هو فى الشكل وفى العلل .. والا لظهر لهـا اثر ، فأين الوحدة ؟ واين الموحدون ؟! وكيف يرجى توحيد تلك الوحدات المبعثرة ، وكل وحدة منها بقبضة من يقلبها كيف يشاء ، وان القابضين على تلك الوحدات مختلفون فى المنافع والمآرب ، والوحـدات لا يجمعها الا الاتحاد فى الغاية والمنفعة .. وهل سمع بأجنبى ألف وحدة لاجنبى آخر .. ومن ذا الذى ألف وحدة فى قطر ساد عليـه باختلاف البين ، وهـل اذا تكونت الوحدة يبقى للحكم المطلق باقية ، وهل من مسيطر لا يدرك هذا الامر البين ؟

نعم انا كنا من القائلين بالوحدة ومن الذين كانوا يمنون أنفسـهم بتحقيقها .. أما الآن فقد ظهر ان الذى كنا نؤمله كان كسـراب بقيعـة يحسبه الظمآن ماء ..

فن القوم لا يكادون يفقهون حديثا ، يبني أحدهم قصرا ، ويهـدم الآخر مصرا . وانا لا ننكر ما للعلل والاسباب من تأثـير ، وانه متى زال السبب . عاد المسبب ، ولكن الذى صرنا نخشاه ونتوقعه الا يكـون زوال السبب بعد زوال المسبب .

أما الآن وقد حصحص الحق ، وأخذنا تبعة الامر على عاتقنا ، ولم تبق لاحد سيطرة علينا فلم نجد عذرا يعتذر به المفكرون والمتنورون على تغافلهم عن اداء واجبهم من ارشاد الشعب وايقاظه وتعليمه ما له وما عليه والاخـذ بيده الى الطرق الموصلة الى اصلاح ذات البين ، وتأليف الوحدة المنشودة .. لانه اذا بقيت الحال على ما هى عليه من التذبذب والشتات فلا ينجو أحد من المؤاخذة أمام الله وامام التاريخ .. « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »[1] .

حـارث*

---

(١) الرعد : ١١

(*) جريدة «العالم العربي» العدد ١٥٥ الصادر في ٢٤ أيلول ١٩٢٤

التربية الابتدائية والوحدة العراقية

[التربية اســـاس الوحدة
والوحدة اســـاس الملك]

يتألف الشعب العراقي من عناصر وجماعات متباينة فـــى الديانة ، والعادات ، والطبائع ، والاخلاق ، والمذاهب ، والمشـــارب .. كالعرب ، والكرد ، والترك ، واليهـــود ، والكلدان ، والســـريان ، والارمن ، والنسطوريين ، واليزيديين ، والصابئة ، وغيرهم من أصحاب العقائد المتفرعة من اصول تباعدت عنها تباعدا كليا ..

وتنقسم العناصر من حيث البيئة الى قسمين : بـــدو ، وحضـــر .. والبدو يختلف عن الحضر في جميع الاحـوال الروحية والاجتمـاعية .. وينقسم البدو فى نفس البادية الى عدة أقسام ، كل منها يفترق عن الباقـين فى المذهب والمشرب وغيرهما ..

وان قطرا يختلف سكانه على نحو ما عرضنا اختلافا يخرجه عـــن الحالة الطبيعية يصعب جمع الكلمة فيه .. على ان اختلاف الدين وحـــده كاف لتفريق بينهم ، فكيف وقد تعاقب عليه الحكم المطلق عدة قرون ، ولم يقيّض الله له من يصلح أمر دينه ودنياه ، وتوالت عليه النوائب والآفـات جيلا بعد جيل .. فمن استيلاء الى استيلاء ، ومن وباء الى وباء ، ومـــن غرق الى محل ، الى حرب ، الى نهـب ، الى قتـــل ، الى عســـف ، الى هلاك ، الى تبار ؟!

والنوائب مما يتطلبها الحكم المطلق لتأييد سياسة التفريق ، وان هـو يظهر بمظهر العطف كالذى يريد تأليفا وتوحيدا .. فلقد أثبتت التجارب ان الحكم المطلق يقف فى موقف الاختلاف وقفة المانع المتردد ، لا وقفـــة الوازع المصلح ..

أما الحكم الدستورى فانه وان يكن مخففا لوطأة الاختلافات المذهبية والعنصرية بحسب الحدود القائمة على أساس العدل والاخاء ، الا انه لا يكون كافلاً لنزع ما في الصدور من غل مالم تكن تلك الحدود مستندة الى قواعد الوحدة فى لتربية : فقد يكون الحكم الدستورى مفرقا بين العناصر تفريقا أبديا ، كما ظهر فى أواخر عهد الدولة العثمانيـــة بعد اعـــلان الدستور ، ذلك لان الدستور يمنح كل عنصر حق التمتع بحريته ، فـاذا لم يكن لديه ما يؤهله للتصرف بها تصرفا صحيحا فسد وأفسد ، وضـــل وأضل .. وعلى فرض ان ذلك العنصر تزود بمواهب العلم كما سمح له الدستور ، ولم يتأدب بآداب الوحدة التى تعلمه ان بقاءه كعنصـر حـي لا يتحقق الا ببقائه فى ضمن المجتمع مع باقي العناصر تحت راية واحـدة ، فان تلك المواهب قد تضره أكثر مما تنفعه ، شـأن العـلم الناقص الضال ، فتوسوس له وتولد فيه أوهاما مقلقة ، تروح وتغدو الى ان تستحوذ عليه ، فتدفعه الى الماضى البعيد ، فتنبش له قبورا من عهد عـاد ، وتستخرج منهـا عظاما نخرة تملي عليه من مناقب القرون الخالية ما يجعله يصافح الخيال ، ويعانق الظل الزائل ، وتصور له المحال ممكنا ، والممكن حاصلا ، فيبنـــي ثم يهدم ، ثم يبني فيسقط ، ثم يهبط ، ثم يهوي .. وذلك بعض مانـــوه عنه بعض علماء الاجتماع بقولهم : وان من العلم ما يكـــون ضارا فـــى بعض الاحيان ..

أما اذا كانت المواهب العلمية قائمة على قواعد الوحدة ، وعلى قوائـم التربية الصحيحة ، فانها تريه الخيال خيالا ، والحقيقة حقيقة .. لان وحدة التربية تكوّن من العناصر روحا واحدة ، ونفسية واحدة ، وشعورا واحدا ، فيكون الكل جسما واحدا ، وجزءا لا يتجزأ ، ويصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..

وأما ما يظنه البعض من ان توحيد مناهج الدروس هو الذى يحقـق

الوحدة ففيه نظر .. لان توحيد الدروس لا يفيد سوى تحديد سير العلم، للحصول على الموازنة فى المواهب العلمية ، ولا علاقة له بوحـــدة التربية ، فالعلم شيء والتربية شيء آخر .. والمقصود بوحدة التربية ، هو وحـــدة العاطفة والشعور ، والشعور لا يتوحد بالنحو ، أو بالصرف ، أو بالطبيعيات، والرياضيات ، أو بغيرهما مما هو داخل فى مناهـــج المدارس الابتدائيـــة والثانوية ، وانما تتحقق وحدة الشعور بتوحيد التربية ، وتوحيد التربيـــة لا مرجع له غير المدارس العمومية التى تضم اليها جميع ابناء العناصر عـــلى حد سواء ..

فلو بقي كل عنصر منفردا بمدارسه ، غير ممتزج بغيره من العناصـــر لنشأ محتفظا بشعوره ، ومقيدا بعاداته ، واخلاقه ، ونفسيته الخاصـــة به ، متمسكا بمماسك ربما يراها منطقية فى نظره القاصر وهو لم يكن ليتمسك بها لو لم يكن مجهزا بتلك العلوم الناقصة التى تضاعف بها تعصبه القومى..

وهذا التعصب يولد بين العناصر خلافا قد يكون اشد واقوى مـــن الخلاف الناشيء من الجهل ، لان الثانى يمكن تسكينه بالقوة القاهرة ، كما هى الحالة فى البلاد التى لم تتأهل الى الحكم الدستورى . والخلاف الذى تسنده القواعد الفنية ، والمعادلات الرياضية والقضايا المنطقية لا يدعمه غير الحجج البالغة ، والحجج قد لا تفيد فى موقف الحماسة ، كما انها لـــم تفد شيئا فى البلاد الآهلة بالعلوم والفنون .. ولذلك لا تســـمح الادارة المطلقة بتشييد المدارس العالية من حيث انهـــا تمهـــد حرية الفـــكر وحرية الاجتهـــاد ..

فالتربية هى اساس الوحدة ، والوحدة هى اساس الملك . والتربيـــة هى التى توحد بين افراد العائلة ، وبين افراد العنصر ، وبين اعضاء المجتمع، فالمتأدب بآداب غير آداب اسرته لا تنتفع به اسرته ولا عنصره ، ولا يكون عضوا نافعا فى المجتمع ، لان التربية تفرق بينه وبين اهله ، فضلا عن ان

تفرق بينه وبين عنصره وشعبه .. وهو فى تلك التربية يصبح اجنبيا فى داره وفى بلده وفى قطره ..

ولن تتأسس وحدة التربية الا فى حجور الامهات ، فالامهات هن الموحدات ..

ومن الخطأ الفاحش ما اعتاده اولو السعة من ارضاع الطفل من ثدى غريبة لم تتأدب بآداب الاسرة ، واعظم منه خطأ تأديبه على ايدى الناقصين والناقصات فى التربية فأن تربية الطبيعة خير منه .. اما تعدد المربين والمربيات المختلفين والمختلفات فى التربية فى عائلة كثيرة الاطفال فذاك بلاء ليس يشبهه بلاء .. لان الاطفال حينئذ يشبون على طبائع مختلفة والطبائع المختلفة تولد المنافرة ، والمشاكسة والاشمئزاز . وذلك ما اراده الشارع الاعظم بقوله (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) .

فاذا عززنا هذين الخطأين بثالث كأن يدرس احدهم فى بغداد ، والثانى فى بيروت ، والثالث فى باريس ، والرابع فى لندن وتأدب كل بآداب الامة التى ينشأ بين ظهرانيها ، فالخطب يكون ادهى وأمر .

ولذلك عنيت الامم الغربية فى هذا الامر ، وحرصت عليه حرصا شديدا ، فاختصت كل منها بتربية وطبعت بها جميع افرادها .. فالبريطانى فى جميع حالاته بريطانى ، والافرنسى فى جميع حالاته افرنسى ، سواء فى ذلك الفقير ، والغنى ، والشريف ، والوضيع ، ولا يختلف احدهم عن الاخر فى حالة من الحالات الاجتماعية .. واما فى الشرق فاختلاف التربية قد يظهر الخلاف بين الاخ واخيه ، وبين الوالد وبنيه حتى فى المأكل والمشرب والملبس ، والمسكن . وغير ذلك من مقتضيات الحياة البسيطة .. الا الذين تأدبوا بآداب الطبيعة ، ولم تفرق بينهم يد الاختلاط ، فأنهم يشبون على وحدة طبيعية وسذاجة مطلقة كسكان الصحارى المنقطعة الذين فقدوا كل صلة تربطهم بغيرهم من البشر ..

وهذا ما جعل الغربية محتوما عليها ان ترضع ولدها فأن تعذر عليها سلمته الى شقيقتها فى التربية او الى احدى المؤسسات المعدة لهذه الغاية .. وقد لاحظ علماء الاجتماع هذه الحالة أيضا فوجدوا فيها بعض الفرق عما اذا كان الطفل رابيا فى حجر امه ، مع ان اسلوب التربية واحد فى كلتا الحالتين ، وانما الفرق بينهما يتولد من الماس والمؤانسة وغيرهما مما له علاقة بأحوال الروح ..

وانا لا نتعرض الان لتوحيد التربية منذ سن الرضاع لان له شروطا مفقودة لدينا ، ولكن وحدة التربية منذ زمن التحصيل لانرى مانعا لها ، فأنها تتحقق بالمدارس العمومية ـ كما عرضنا ـ التى تضم اليها ابناء العناصر والجماعات تحت سقف واحد ، على ايدى مؤدبين خبيرين ، متحدين فى التربية ، بدون فرق فى العناية ، بعد الاجماع على التربية الصالحة ..

وليست العقائد الدينية مانعة لان التربية تتغلب على العقائد الدينية كما تغلبت فى بلاد الغرب ، فان اليهودى لم تنسلخ عنه عقائده ، والارمنى لم يتجرد عن ارمنيته بعد ان تأدب بآداب الوحدة ، بل بقى اليهودى يهوديا والارمنى ارمنيا . ولكنه يشعر بشعور الوحدة التى شب عليها ،وتشبع بها..

وان تحقق تلك الوحدة وان كان متوقفا على أمد بعيد لانه تابع لقانون التدرج ، لكن الاسراع اليه ضرورى ، فتأجيله عاما يؤخر النجاح اعواما..

والا اذا بقى كل عنصر منفردا فى حالته الاجتماعية ومتمسكا بها تمسك الاعمى فلا معنى للبحث عن الوحدة العراقية ..ولنا فى هذا المعرض كلمة فيما يخص البعثات العلمية نوردها على سبيل الاستطراد ..

قضت الضرورة بان يتغرب ابناؤنا لطلب العلم لما فقدوه من الوسائط فى وطنهم .. وهذا مما لاغنى عنه اذا اردنا ان ننقذ انفسنا من ظلمات الجهل وهذا ما امر به الشارع بقوله (اطلبوا العلم ولو كان فى الصين)وهذا ما نتوخاه ولم نزل نحرص عليه وهذا مايتوقف عليه نجاح البلاد .. وهذا ما يسرنا ويسر كل من له علاقة بهذا الوطن ، وهذا الشعب ..

ولكن لهذا التغريب شروط يجب التنبيه عليها لئلا نكون قد خسرنا ازيد مما ربحنا .. منها ، يجب ان يكون المغترب بعد سن الرشد ، وان يكون لاكمال التحصيل العالى ومن اجل الصنائع والتطبيقات ، وان تكون البعثات تحت نظارة اولى الحصافة والنباهة من الخبيرين المجربين .

فاذا كان التغرب فيما دون سن الرشد ، واذا كان لما دون التحصيل العالى واذا كان لغير الصنائع والتطبيقات واذا كانت البعثات مطلقا سراحها ، فذلك غير صالح وربما يكون اثمه اكبر من نفعه ..لان للسن ادوارا تختلف فيها التطورات ، فالذى يكون دون سن الرشد تنطبع فيه انطباعات تتغلب عليه ، فتكون فيه روحا غير روحه ، فيعود الى دياره غريبا عنها ، ولا يكون عضوا نافعا فى المجتمع ..

هذا اذا ما ساعده الحظ على ان يتزود بشىء من العلم ، فان لم يتزود ، فقد مات ميتة جاهلية ..

واما اذا اختلفت مواقع المتغربين من الديار الاجنبية ، فلنقرأ السلام عليهم ، وعلى ما يجيئوننا به .. ولنا اسوة بالبعثات التركية الى المواقع المختلفة ، فان الذين رجعوا الى ديارهم ظهر كل منهم بمظهر ، فمن منتصر للالمان ، ومن رافع علما للانكليز ، ومن متعصب للافرنسيين ، ومن متفانٍ فى حب امة اخرى . وقامت بينهم قيامة الخلاف ، فمن نزاع الى شتات الى اضمحلال ..

فاذا صح نبأ الصحف من ان المتغربين فى هذا العام تجاوز عددهم المئة ، عدا المتغربين فى الاعوام الماضية ، فذلك مما يحملنا عسرا فوق عسرنا ، وذلك مما يورث نقصا فى اخلاقنا ، وضعفا فى ادراتنا ، وتشوشا فى سياستنا فى المستقبل .. لان من المتغربين من لم يستجمعوا الشروط التى عرضناها .. وان هى الا عاطفة تغلبت عليهم ، وضرورة اضطرتهم ، وان هو الا شوق حملهم ، ويأس ساقهم .. وانه ليعز على العراق وهو مستقل ، وحكومته دستورية ، ديمقراطية ، ان يفتقر فى اموره الحيوية الى قطر غير مستقل ، وحالته ـ على ما يقال ـ مشوشة ومضطربة ..

وان تنفق الامة على معارفها ما تنفق من الاموال ، ثم تضطر الى ان تغرب ابناءها الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس ..

وان يفارقنا اطفالنا فى عمر لايصح لهم التغرب فيه ، ومنهم من لا يملك زادا ولا راحلة ، وان الذى ننفقه على مئة فى الغربة يكفى لتعليم الف فى الوطن تعليما عاليا .. وان تتخذ مدارسنا كمعامل لغيرنا ينتفع بها سياسة واقتصادا ، فنخسر مالنا وولدنا .. وان نسرف فى الوقت ، وفى المال بنقل مدرسة الى بناية مدرسة اخرى ، ونقل الاخرى الى بناية الاولى ، او بجمع مدرستين ابتدائيتين وتبديل اسمهما ، ونحن فى اشد الحاجة الى المدارس العالية كما اثبته الغيورون المتغربون من ابنائنا الحريصون على طلب العلم رغم كل كريهة . وان يتهافت تسعمائة تلميذ ، فنقبل منهم مائة وعشرين ، ولا نبالى بالباقين ، فيصبح خريجو ثانوياتنا فى بغداد عشرة .. وفى الموصل ثمانية .. فاذا قيل : لماذا لا تفتح المدارس العالية ، كان الجواب : ان التلاميذ قليلون ..

فاذا كان محتوما علينا تغريب ابنائنا ، ومحتوما على المدارس العالية تأجيلها الى ـ يوم لا ينفع مال ولا بنون ـ فهل يبقى من ضرورة الى التشكيلات الضخمة ، ومن حاجة الى ازدحام الاختصاصيين .. وان النتيجة التى عرضت على الرأى العام هى عشرة .. وثمانية .. من ثلاثة ملايين ؟!

حارث*

(*) جريدة العالم العربي ـ العدد ١٦٣ الصادر في ٣ تشرين الاول ١٩٢٤

النهضة في الشرق

وروح الاجتماع *

« فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » .(١)

طبع الشرقى على غير ما طبع عليه الغربى لمقتضيات اقليمية كونت كلا منهما على شاكلته ،فدماغ الشرقى غير دماغ الغربى وقحفاهما غير متشابهين، والفروق بينهما ظاهر فى نفس التشكل، وقد اختلفا فى نفس الخلقة اختلافا لا تؤثر فيه المؤثرات من تطبيع او غيره .. فالشرقى مادام الشرق شرقى والغربى مادام الغرب غربى ..

يشعر الشرقى لا كما يشعر الغربى ، هذا له شعور ، وذاك له شعور، وروح الشرقى غير روح الغربى ، ومظاهرهما متفاوتة فى احوالهما الاجتماعية ولاتزال متفاوتة مادام ذلك الفرق موجودا فى اصل الخلقة ، وفى نفس التركيب وفى النفس ذاتها .. « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » . فطر الغربى على دماغ لا يكل ، وفطر الشرقى على دماغ تؤثر فيه الحادثات ، فلغربى قوى الجأش، ماضى العزيمة ، قاطع الرأى ، مقدم على الصعاب ، مكافحها .. والشرقى ضعيف الارادة ، وانى العزيمة ، متردد الرأى ، محجم عن الشدائد ، مجتنبها . فلذلك يغلب على الغربى حس الايجاد ، ويتغلب على الشرقى حب التقليد ، والتقليد لا يصح بما له علاقة بأحوال النفس ، او فيما هو تابع للتطور ، او فيما هو عائد الى الماضى البعيد ، لان النفس لا تستعار ،ولان للتطور اشكالا تختلف بحسب الزمان والمكان ، ولان الماضى لا ينطبق على

---

* الشرق الاقصى خارج بحثنا لان الطبيعة ولدت فيه عللا مكنته من النهوض بذاته (المدرس) .

(١) الروم : ٣٠

الحال .. والشرقي لا يفرق بين هذه العلل فيقلد تقليدا مطلقا ، فتكون عاقبة امره خسرا ..

وقد يقلد الشرقي الغربي بأعمال تدفعه اليها دوافع غير طبيعية ، فيكره نفسه على ان يحذو حذوه ، ولكنه بما فطر عليه من حب الراحة ، والاخلاد الى السكون يفتر قبل الوصول الى الغاية فتحبط اعماله . والغربي بما جبل عليه من المكافحة ، وركوب الاخطار ، واستحقار الشدائد ، يواصل السعي حتى يبلغ غايته ، ولذلك يختص الشرقي بالحرص على نفسه وحب الخير لها ، والاعراض عمن سواه ، ويختص الغربي بالجهاد في سبيل النفع العام ، لان الفطرة تدفعه الى ان يرى سعادة غيره متممة لسعادته ، ومن هنا ظهرت روح التضامن في الغرب ، وروح التخاذل في الشرق ..

وقد يكون الشرقي في بعض الاحوال جامعا للاضداد ، فأنه مع حرصه على نفسه ، لا يعتمد عليها ، فيستسلم لغيره ، فيقلبه كيف يشاء . والغربي لا يعتمد الا على نفسه ، فهو الذي يسيّرها حيث اراد ..

والغربي فعال ، والشرقي قوال ، فالغربي لا يهتم بما لا يعنيه ، والشرقي بعكسه ، فهو يعبث بالتنقيب عن احوال غيره اكثر مما يشتغل بنفسه .. ولقد اعتاد الشرقي النظر الى الماضي . واعتاد الغربي النظر الى المستقبل ، فهذا يكثر من قوله سيكون ، وذاك يكرر قوله كان ، فهذا كل يوم يرجع الى الوراء ، وذاك كل يوم يتقدم الى الامام ..

هذا بعض ما فطر عليه الشرقي مما يؤخره عن النهوض وعن اللحوق بغيره من الامم التي سبقته في التقدم منذ قرون ، ومما يؤثر على نتائج الاعمال التي يقلد فيها غيره ..

فالذين يذهبون الى ان الشرق دبت به روح غير روحه لا يبعد ان يكون ذهابهم هذا من بواعث الفطرة التي فطروا عليها من الحكم بالظواهر ، واتباع العواطف ، والقطع بالشيء بدون تعليل ..

فتوهموا ان في الشرق نهضة ، وان في الشرق حركة ، ثم اندفعوا بدافع الفطرة الى اعظام تلك الحركة ، والى التوسع فيها ، واستخرجوا منها نتائج لو صح ان هنالك نهضة لاحتاجت الى امد بعيد حسبما يقتضيه قانون التدرج•• ولكن العاطفة لا حدود لها ، قد تغلب على الفرد وقد تغلب على الجمع ، فنسير بهما ، واكثر من يتبع العواطف هم الشرقيون ، ولذلك يعبر الغربيون عن الشرق بعالم الاحلام ، وعالم الخيال ••

وغاية ما يقال : ان في الشرق ضجة منبعثة من اصوات متداخلة ، غير موجهة الى هدف ، ترتفع في الفضاء من حين الى حين ، شأن السجناء الذين يضيق بهم الخناق فيصرخون ، مستغيثين فلا يغاثون • وخلاصة ذلك : هو ان تثور ثائرة ، فتذكر فيها اسماء ، وتنشد ابيات ، وترنم اناشيد ، وتضرب طبول ، ويكرر لفظ العلم في كل نادٍ ، فتنقسم الآراء ، وتختلف المذاهب ، فمن مقتصر على العلوم الابتدائية ومن مطنطن بالزراعة والمعدن ومن محرض على التجارة والصنايع ، ومن باحث عن المتاحف والمكتبات ، ومن مدبدب بالفنون الجميلة ، ومن منقب عن الكنوز الاثرية ومن داع الى الشركات ، ومن مبشر بالكليات الاجنبية ، ومن طالب تغريب البنين والبنات ، ومن صارخ برفع الحجاب ، ومن حاقد على المذاهب والاديان ، ومن متعكز بالعنعنات وناهج نهج القدماء ، ومن محلق فوق صروح الجامعات ، ومن ناقم شكل الحكومات ، وعابس على القوانين •• ثم يجوس خلال الاصوات نقد وجدال ، ثم هزء وازدراء ، ثم نزع وخصام ، وبعد هذا وذاك تذهب احلام وتأتي احلام ، فسؤال ولاجواب ، ثم مؤانسة وعتاب ، ثم فتور وقنوط ، ثم سكون وسكوت ، ثم برد وسلام ، ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام •• نعم ، ان في الشرق حركة ، ولكن الحكمة تقضي بان النظر الى ما وراء تلك الحركة ، ولما لم يكن وراءها سوى القال والقيل ، والخداع والتضليل ، والصور والاشكال ، والدبدبة فى الظواهر ، والتزويق فى الالفاظ ، والشقاق والنفاق ، جعجعة ولا طحن ••

فالاصح ان يقال : ان في الاقطار الشرقية حالة غير طبيعية ولدتهـا الحرب العامة ، كما ولدت في غيرها من الاقطار ، فظهرت في كل ناحية بمظهرها الخاص بها ، حسبما تقتضيه العلل الطبيعية ، شأن الامراض العصبية التى تختلف بأختلاف العوارض ، وتتكيف بحسب الامزجة ..

اما النهضة الحقيقية فهى شعور كامل ، والشعور الكامل هو مظهر من مظاهر العلم ، وموهبة من مواهب اليقين ، فأذا لم يكن ثمة علم ، واذا لـم يكن ثمة يقين ، فليس ثمة شعور ، وليس هنالك نهضة ، وانما هنالك شيء من تقاليد النهضة ، وكل ما يظهر باسـم النهضـة فهو من اعراض تلك التقاليد ..

والروح في الشرق هي عين الروح ، فهي لا تزال تركن الى البطء ، وتعول على الخيال، وتجنح الى التسويف، وتقنع بما لا يجدى نفعا ، وتحجم عما فيه جد واجتهاد ، وتعرض عن الغايات السامية ،وتقف دون الجزئيات، وتحرجم عند الكليات وتعظم الذرة بالمكبرة ..

والشرق في حالته الحاضرة اشبه ما يكون بمريض ازمن مرضـه ، فتقطعت به الاسباب ، فأخذ يخبط خبط عشواء ، فتارة يحمل المرض عـلى الحر ، واخرى على البرد ، ومرة على الاكل ، وتارة على اللبس ، او المكان، او غير ذلك مما ليس له تأثير في المرض ، فينازع ويجادل على غير علـم ، وهو كلما استبدل معالجة بغيرها من هذه المعالجات البسيطة توهم في جسمه خفةً ، وفي حاله صلاحا ، ولكنه سرعان ما ينقلب سروره حزنا ، وأملـه يأسـا ..

وكذلك الشرق في حالته الحاضرة ، فانه عند ظهور كل حادثة لـه حركة توهم انها من بواعث النهضة ، وان هي الا معالجة طبيب غير مشخص للداء لا يعقبها سوى ازدياد فى الآلام .. مثل ذلك :

يرجع الشرقي من ديار الغرب طائشا مما عرض له من جمال الصنعة، وجمال الطبيعة ، وبدايع الفن ، وآثار النعيم ، ورغد العيش ، فتشتهى نفسه ان يتحقق له كل ذلك في وطنه ، غير شاعر بان الروح غير تلك الروح ، وان البيئة غير تلك البيئة ، وان القوم غير اولئك القوم ، وان الدماغ لا كذاك الدماغ ، وان الشروط غير موجودة ، وان الموانع كثيرة ، وان المدارك مختلفة ، وان المشارب ليست على حد سواء ، وان احوال النفس من اعظم المؤثرات ، وان الطبيعة غير مساعدة .. فينادى بالاصلاح كالذى يتخبطه الشيطان من المس ، ويملى على الاسماع ما لا تحمله الاسماع ، فيذهب كل في واد .. فتتعارض الآراء ، وتتعارض الشخصيات ، وتتعارض الغايات ، فيعلو ضجيج ، وترتفع اصوات ، فيسقط الرأى على الرأى ، ويسقط الشخص على الشخص ، وتسقط الغاية على الغاية ، فكم دعوى بلا دليل ، وكم دليل بلا مدلول ، وغرور بلا داع ، وساحق ومسحوق ، فيزهق الحق، وينتفخ الجهل ، وتسود الفوضى ، وينبذ الصواب جانبا ، ويخرج الرأي السديد من هذه المعمعة الهوجاء مبضعا ، فيقال : ان في الشرق نهضة ، وان في الشرق حركة .. هذا اذا كان ذلك المصلح مخلصا ، فاذا كان شيطانا فى زى المصلحين ..؟!

وكيف ينهض الشرق ونهوضه متوقف على عناية من جانب الطبيعة ، والطبيعة قاسية لا ترحمه ، وهو لاحول ولا قوة له ؟!

على ان النهضة لا توهب ، وان لكل قوم نهضة تلايمهم ، والتقليد لا يفيد ، والنهضة تدعو ، ولا يدعى اليها ، وما نهضت أمة الا بدافع من نفسها ، والدافع الذى يأتيها من الخارج يدهورها ويحطمها ..

والامة التى تكون مغلوبة على امرها ، وهى غير مستجمعة لشروط النهضة تلعب بها الاهواء ، فهوى يجذبها ، وهوى يدفعها ، فتسير ولا تبرح مكانها ، وتربح شيئا وتخسر اشياء ، وتجني على نفسها ولا تشعر ، وفي كل لحظة تتقهقر وهى تظن انها ناهضة ..

والشرق لا يرجى له نهوض مالم يكن معتمدا على نفسه وما لم يشد ازره بجمع كلمته ، ويقطع النظر عن الماضى ، ويدفع الاوهام ، ويوجز في القول ، ويكثر من العمل ، وما لم ينبذ التردد جانبا ، ويركب الاخطار ، ويستحقر الحياة ، ويقطع دابر المتلاعبين ، ويعرض عن الظواهر .. والا فلا يصح ان يقال : ان في الشرق نهضة ، وان في الشرق حركة ..

حـارث*

(*) جريدة العالم العربي ـ العـدد ١٧٣ الصـادر في ١٥ تشـرين الاول ١٩٢٤ .

النهضة في الشرق
وروح الاجتماع
- ٢ -

« سنة الله التى قد خلت من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا »(١)

ان للاقاليم تأثيرا في نفسية الاقوام ، فالشرقي بحسب المؤثرات الاقليمية له نفسية غير نفسية الغربي ، ومن احواله النفسية القناعة والتوكل والتفويض ، ولكل منها علل ولدتها الطبيعة في ارض الشرق وفي مائه وهوائه ، وكوّنت تلك النفس القانعة المتوكلة على خلاف ما كوّنت نفس الغربي ، لان كلاً منهما فطر على غير ما فطر عليه الآخر ، فالشرقي فطر على حب الراحة والاخلاد الى السكون .. والقناعة والتوكل والتفويض من مظاهرهما ..

يقنع الشرقي بالقليل لئلا يكد ، ويعتمد على الغير ويستسلم للحادثات لئلا يعد للامر عدته فيمسه نصب ، وهذه النفسية هي التي اقعدته عن العمل فسار مع الحادثات سير الطايع المنقاد ، مثله كمثل راحل رقد عند الرحيل فلما استفاق وجد الركب قد رحل والاخطار حائقة به وهو لازاد ولا راحلة له ، فانىّ ذهب عاد كالذى استهوته الشياطين في الارض ..

ومن قناعته رجوعه الى الماضى وحرصه على القديم لان التجدد والتطور يكلفانه الجد والعناء وقد يأتيه التجدد عفوا فلا يدوم لانه غير نفسي وما اكرهت عليه النفس لا يطول امده .

ومن قناعته ميله الى التقليد فالشرقي مقلد بالطبع ولكنه يقلد ما هو

---

(١) الفتح : ٢٣

سهل المأخذ كالذي يرجع من ديار الغرب حاملا اخس شيء لاح لناظره وتاركا خلفه من البدايع ما لو قسم على الشرق كله لكفاه، والغربى يحمل من الشرق احسن ما فيه ولا يقنع بالقليل ويستقصيه فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .. ومن قناعة الشرقي انه يقتصر على مايلذ له فى ديار الغرب فيرجع مبشرا بالخلاعة والملاهى ولولا ما طبع عليه من اتباع الشهوات لعاد كما يعود الغربى مزودا بما ينفعه وينفع قومه . على ان علماء الاجتماع فى الغرب لا يزالون يندون بتلك الآفات الاجتماعية ويبثون النصايح بأقلامهم والسنتهم وان المسرفين قليلون بالنظر الى الذين يجتنبون كبائر الاثم .

والشرقي لما فطر عليه من اتباع الشهوات لا تزال الطبيعة تجود عليه بمن يمهد له سبل الاسراف فى الوقت وفى المال وفى الصحة لتموت قواه العقلية ميتة لايرجى له بعدها بعث ولا نشور .. ومن قناعته انه يزهد فى العلم فيقنع باليسير مما يهون طلبه كالعلوم الابتدائية ويجنح الى الذين يخادعونه فى العلوم العالية ويسوفونه لما فى التسويف من الروح الملايمة لنفسيته التى تكونت من القناعة والتوكل والتفويض فيختلف مع الذين يريدون له خيرا لعناء توهمه فيما يريدونه فتبقى مداركه مقيدة لان المدارك لا تطلق الا بالعلوم السامية التي تمنح حرية الفكر وحرية الاجتهاد وان الذين يقتصرون على مادونها من العلوم لا يصلون الى ما يصل اليه اولو المواهب السامية من بعد النظر ودقة الفكر ..

وما من امة وهنت مداركها الا وهزلت فافتقرت الى من يقومها وان الذين تدعوهم الى تقويمها لا يواسونها فتذل وتخضع شأن الشعوب الابتدائية التي تحس بأنها لا تستحق المواساة . واذا لم يكن لها من يقومها فقد خارت عزائمها وفسد شعورها وتفسخت قواها وافترسها المفترسون (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

ذلك لان المواهب الطبيعية لا تضمن البقاء للفرد او الجمع وانما البقاء بالغلبة والغلبة بالقوة والقوة من المواهب المكتسبة التى تختلف باختلاف الزمان فلا تتحقق الغلبة بقوة الساعد في حرب المدافع ولا بالمدافع اذا كانت غير راجحة ، هذا ما يقتضيه قانون تنازع البقاء ..

ولو كان في المواهب الطبيعية مايمكن من الموازنة بين الافراد وبين الجماعات لبقى الغالب غالبا والمغلوب مغلوبا ولما انعكس الامر فأصبح الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا لاكتساب المغلوب قوة غير القوة التى وهبتها له الطبيعة وقد اثبتت الوقايع هذه الحقيقة فلم يبق الا اتباع الحق ونبذ الشبه ، والسعي وراء بلوغ الغاية ، والغاية هى تأمين البقاء ولا يتحقق البقاء الا بالغلبة ، والغلبة بالمدارك العقلية ، ولا تقوى المدارك الا بالعلوم السامية ، والشرقي يشق عليه طلبها فتبقى مداركه مقيدة بالمواهب الطبيعية فيغلب على امره ..

ولذلك انا لا نسلم بالنهضة فى الشرق ما لم يأت الشرق بعمل يقيه شر الفتن ويغنيه عن منن الذين يحلبونه حلب الشاة ويسيطرون عليه سيطرة المالك على المملوك .

وليست النهضة بالقصائد والاناشيد وضرب الطبول وفتح الاندية والاسراف فى الملاعب والملاهي وتأليف الاحزاب الوقتية ..

لا يتحقق النهوض الا بالعلم وليس العلم الذي ينهض بالامة هو قواعد النحو والصرف او مبادىء الرياضيات ، وانما هو ذلك العلم الذى تسمو به المدارك والذي يعلم الامة نفسيتها فيدفعها الى ما وراء الطبيعة فينقذها من الخطرات التى الفتها والا تبقى سائرة سير الابل وغيرها يطير على اجنحة البرق او على ماهو اسرع كما هو ظاهر من حركة العلم .

وان الذين يراؤن ويمارون فاولئك لا عتب عليهم ولا ملام لانهم آنسوا من نفسية القوم قبولا وارتياحا فجاروهم والقوم لو عقلوا لما اقاموا لهم وزنا ..

اما العراق وهو قلب البلاد الشرقية فانه يمتاز عن باقي الاقطار بكونه مهبط العناصر الشرقية ولكل عنصر اثر في نفسيته من الاحتكاك والمقارنة جيلا بعد جيل. فالعراق له مظاهر عدا مظاهر الشرق ومن مظاهره الافراط والتفريط فله في أمر واحد حركة وسكون وله اقدام واحجام وله صبر وجزع وهو في هذه وفي غيرها من الاحوال يتردد ما بين افراط وتفريط .

فلا يصح القطع بتعريفه لان نفسيته تابعة لتأثير مؤثرات عدا المؤثرات الاقليمية ، ومما يجدر بالذكر من احواله النفسية سرعة التأثر والانفعال وقليل من لم تؤثر فيه الحادثات في هذا القطر ولهذه الحالة الروحية علل يجب التنقيب عنها في عناصر السياسة التي لعبت به ادوارا فلم تبق لديه على ممر القرون ما يثبت به حالة له من الاحوال فبقي تحت تأثير عدة مؤثرات تأثير الطبيعة وتأثير السياسة وتأثير الاختلاط والمقارنة ، وان تأثيرا واحدا من هذه المؤثرات يكفي لان يرميه في مصارع البؤس والشقاء فحملته العواصف حيث شاءت وسيرته السياسة حيث ارادت وفتك به كل من اراد به سوءا .. وان قطرا يؤول امره الى ما آل اليه العراق لا يلام على غلط من الاغلاط او على تفريط او افراط ، كما انا لانلوم الذين حملتهم العاطفة على تغريب الاطفال الى الديار الاجنبية لطلب العلوم الابتدائية فانهم اندفعوا بدوافع طبيعية لاقبل لهم بها احدها الضرورة والضرورة من اهم البواعث والثاني النفسية المتكونة من التسرع والانصياع الى الامور بدون تريث ثم التقليد المطلق والميل الى الراحة واجتناب كل امر يتطلب المزاحمة لانهم على ما يقولون وجدوا الوسائط غير كافية في هذه الديار والسعي وراء ترقيتها يشق عليهم فهان عليهم التغريب لسهولة لاحت لهم ولفوائد تحققت لديهم من اقوال الاساتذة المبشرين ولم يشق عليهم ان يبقى آلاف من الاطفال البؤساء دون أبنائهم علما وتربية لان الشرقي لا يعبأ الا بنفسه لاسباب طبيعية عرضناها في مقالتنا السابقة ..

ولو لم تكن تلك الاسباب الطبيعية لما هان على رجال الحل والعقد ان يقتصروا على تهذيب أبنائهم تهذيبا كاملا دون أبناء غيرهم وهم المسؤولون عن الاصلاح وهم المكلفون باكمال النقص اذا كان فى مدارسنا ما يستوجب الاصلاح أو الاكمال .

على ان فى هذا التغريب ما يجب التنبيه عليه وهو ان الطفل الذى يشب فى بلد غير بلده ويتأدب بآداب غير آداب قومه ويتمرن بسياسة ترمى الى غير ما ترمى اليه سياسة قطره لا يكون عضوا نافعا فى المجتمع ، وانما يكون عالة على اهله ووطنه ويكون اثمه اكبر من نفعه لانه يرجع غريبا فى جميع حالاته لا فرق بينه وبين الغرباء الذين يتذمر الناس منهم اذ لم يتذمر الناس من الغرباء الا للعلل التى عرضناها والا فان أهل البلاد يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدروهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فاذا أصبحنا متذمرين من أبنائنا فهل يبقى معنى للتذمر من الدخلاء أم يجب ان يقال لنا حينئذ انكم قوم لا تعقلون ؟!

وهل قصد الاساتذة المبشرون فى تبشيرهم غير هذه الغاية وهل من المعقول ان نتبع كل ناعق فنقع فى مثل هذا الشرك ؟!

وماذا تكون عاطفة الطفل نحو بلاده وحكومته اذا ادرك ان بلاده لا تضمن له حاجته الى العلوم الابتدائية ، وما معنى الشعور الوطنى والتربية الابتدائية والعواطف القومية وهل ذلك كله يتحقق فى سن الكهولة والشيخوخة والهرم أم فى سن الطفولية ؟!

ولم يسمع لامة غربت أطفالا لتعليم العلوم الابتدائية أو الثانوية وانما التغريب اذا كان ضروريا فانه يكون من اجل التطبيقات والاختصاص على ان يكون فى عمر يصح به التغرب ..

والبلاء الذى ليس يشبهه بلاء هو تغريب الطالبين الى ديار مختلفة ، فان الخطر على البلاد سيكون ادهى وامر لانهم سيعودون بارواح متنافرة تشكل عليهم التعارف فيما بينهم فيعيدون لنا مجد بابل ..

اما من الوجهة المالية فانا اذا غربنا كل عام مائة من الطلاب كما تغرب فى هذه السنة فستصبح ماليتنا الضعيفة على شفا جرف هار غير شاعرين بان ما ننفقه على مائة من المتغربين يكفي لتعليم الآلاف من ابنائنا فى ديارنا ..

هذه هى الحركة فى الشرق سائرة نحو الافراط والتفريط فاما جهل مطبق واما علم مفرق ..

فان قيل ما هو المانع لان تكون مدارسنا جديرة بان يأوى اليها اطفالنا فنقيهم شر الاخطار من مشقة السفر ومفارقه الاهل والاوطان وكثرة النفقات التى تشق على الكثيرين منهم وباقي المحاذير الادبية والسياسية ولدينا من الاختصاصيين ما لا يعجزهم امر وكلما مست الحاجة اتينا بهم . وانا لسنا من المقصرين فى التشكيلات ولا من المقتصدين فى النفقات ..

قلنا ليس لذلك من مانع سوى الطبيعة التى تكونت نفسيتنا تكوينا ظهرت به فى مظاهر القناعة والتوكل والتفويض ولم نقم بما يمكننا من التغلب عليها ولم نكن من الذين يسخرونها ويتصرفون بها حسبما تدعو اليه الحاجة ..

﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾[٢] .

حارث*

---

(٢) النحل : ١١٨

(*) جريدة العالم العربي العدد ١٨٠ الصادر في ٢٣ تشرين الاول ١٩٢٤

النهضة في الشـــرق
وروح الاجتماع
- ٣ -

« ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون »(١)

رقد الشرق قرونا ، وهو يحسب انه رقد يوما او بعض يوم ، وما استفاق الا ورأى الطبيعة قد حملته من الاعباء ما لو قام بها لاحتاج الى ان يعيد تلك القرون ويوصل بينها وبين القرون الآتية فيعمل بما فرضه الماضى وبما يدعو اليه الحال ويطلبه الاستقبال ليقارب الذين سبقوه في سير الحياة عصورا حسبها يوما او بعض يوم ..

ولما لم تكن له نفسية تدفعه الى الكفاح ليطوى الزمان والمكان كالذين تأخروا من قبله فسخروا الطبيعة وتصرفوا فيهـــا تصرفا مكنهـــم من ان يستردوا فى ايام ما فقدوه فى اعوام ويستعيدوا فى اعوام ما فاتهم فى قرون .. ولما لم يكن لديه ما يجرده من الهواجس ليمشى - ولو على مهل - فيزحزح نفسه عما حاق به من الاخطار عاد فرقد حتى قضى الله امـــراً كان مفعولا ..

وقد تلوح له اشباح الامانى فيقبل عليها فتنأى فيسرع فتغيب فيخبط فتظهر ، فيهرع اليها فتعود أهوالا . وينقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير .. وقد تحركه العراقيب فيستوى قائما فينشد ويرنم ويهتف ويعزف ويفاخر ويطاول ويفضل ويعول ، ثم يهلع ويخنع فيفسر ويؤول ويهمس ويخنس ثم يسجد ويرقد وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ..

---

(١) الجاثية : ٢٢

وقد تستنفره الطوارق فيستعيره نفسية من الاجداث فيهدم ويبني ويبدىء ويعيد ويامر وينهي وينذر ويبشر باعلام وتيجان واشكال والوان واحكم وحكام وان هى الا اضغاث احلام ..

وان هى الا نفسية انهكتها القرون فادى بها الوهن الى ان تنوح على الماضى وتندب الرسوم وتبكى العظام وتعانق الخيال . وتستنجد الاساطير وتهيم فى الفلوات لتظهر لها خزائن الارض وما هى بمزحزحة عنها العذاب ولو اتاها الله ملء الارض ذهبا .. ولم تبق الحادثات مما خلفت له العصور الخالية غير خروق مقطعة بينه وبين ذاكرته ما بين الغرب والشرق فورثها عباد الله الصالحون وخرج من ماله كما يخرج الذين لا يثبتون لهم حقا فيما أصابهم من الميراث وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ..

هذه حالته فى دور انحطاطه .. أما وقد تململ تململ الملسوع طائشا مما دهاه فقد علا فيه الضجيج وارتفعت الاصوات وذهب كل مذهبا في معالجته فما من ناحية فى الشرق الا والجدال قائم فيها على أمور هى بمنزلة الفروع كالتعصب والبيئة والقوانين والادارة وغيرها من الانبعاثات التى لا تصلح مالم تصلح بواعثها اولا ، والمتخاصمون عليها مثلهم كمثل شقيقين اقتتلا والنار فى ثيابهما فاحترقا ..

نعم قد تدفع بالناهضين روح الاجتهاد الى التحزب وقد يكون محمود العواقب ، ولكنه فيما اذا كان للمجتمع من الامر شيء ، أما اذا كان مغلوبا على امره فالتحزب يقضى عليه وعلى نهضته والشرق لا ينهض مالم تقو بنيته ينبذ الاختلاف جانبا .. وان معالجة الاعراض لا تأتى بفائدة اذا كان المرض فى الداخل ولكن الشرقى اذا اراد معالجة مهمة بدأ بفروعها لما فى معالجة الاصول من التفكير وهو يفضل تعب الجسم على تعب الفكر فاعتاد النظر فى الظواهر فكان كالذى يزخرف جدارا يريد ان ينقض فيضطر الى ان يعيد العمل وهذا شأنه فى كل مهمة اراد معالجتها غير منتبه فى الثانية الى ما فرط فى الاولى فتمر عليه القرون مر السنين .

وان دعاة النهضة فى الشرق مهما كانـــوا قديرين ومخلصين فن النفسية تغلب عليهم وتفعل فعلتها والعاطفة قد ترفـــع المســـتوى الى ما لا تساعدها الطبيعة عليه فيكون عاقبة امرها خسرا ..

ولذلك يشترط على المصلح الا يقدم على امر مالم يستند الى قـــوة يستمدها من عقلية المجتمع ولاسيما اذا كان المصلح مقيدا بقيود لا تمكنـــه من معالجة ما يعترض له من العوارض فى طريق الاصلاح .

ولم ينجح فى طريق الاصلاح الا اثنان : احدهما هو الذى يســـير بمبدئه سيرا خفيا فيصلح ويجدد ولم يظهر بمظهر من المظاهر وهو الذى وزن عقلية العوام ودخل بينهم وجرى منهم مجرى الدم من الجسم ونهض بهم من حيث لا يشعرون .. والثانى هو الذى دخل بين الطبقة العالية من المجتمع فتصرف فى مداركهـــم زاهدا فى حياته غير مؤمل جـــزاء ولا شكورا ، لان الطبقة العالية يغلب عليها العجب فلا تمكن المصلح من عمل اذا ظهر بمظهر الفضل والرجحان .. وأما من نهج نهجا لا تصل اليـــه مدارك العوام ولا يتفق مع مشارب الخواص ، والطبقة المتوسطة لا تـــزال فى الارحام فانه يكون قد خلق لزمان غير زمانه ولا تشعر البشرية به الا بعد ان تبلى عظامه .. ومنهم من يريد بدعوى الاصلاح شهرة يتمتع بهـــا فى هذه الحياة الدنيا والشهرة فى الشرق لا اعتبار لها ، صالحة كانـــت او غير صالحة ، لان الشرق لا يملك من الامر شيئا .

واكثر مظاهر النهوض عندنا هى الاحتفالات التى لم يسجل التاريخ منها سوى الاسراف فى الوقت وفى المال .. ومنها ما يكون ختامها العجب والحسد والنزاع على اللا شىء ..

والحفلات الادبية اشد وطأة لما تثير من الضغائن والعداوات فكانمـــا تقام للانتقام والاستئثار وليترصد الادباء احدهم الاخر حتى اذا ماعثر صاحبه شمت به بدل ان يقيل عثرته فتتنافر القلوب ويشتد الخصام على الحركة او

التوين وتشرئب الاعناق وتستأسد النفوس ويتطوع القلم للجهاد فى سبيل الفتحة او الضمة ، فتملى روح الامتعاض على الصحف من المضامين ما تبرز به العورات ويتشخص النقص ويثبت زيد جهل عمرو ، وعمرو جهل زيد حتى يصبح كل منهم جاهلا على زعم صاحبه وبادعاء بعضهم على بعض فنخسر حتى الفتحة والضمة ولا يبقى سوى شؤم الطالع وازدراء الطبيعة منا فيقال ان فى الشرق نهضة وان فى الشرق حركة .. ولا ينتفع بتلك النهضة وبتلك الحركة الا الذين يتربصون الفرص لتفريق الكلمة وتشتيت الشمل .. على ان الاصلاح له طرق كثيرة ، لو شاؤا لاهتدوا اليها بدون ان يثيروا ضغينة او يجرحوا عاطفة ولكانوا عصبة واصلحوا اللغة والبيئة وغيرهما مما يحتاج اليه المجتمع ولكن النفس تأبى الا أن تهين صاحبها وتخضع للغريب . وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى .. وهذه هى الحالة فى اكثر نواحى الشرق وقد تختلف فى الشكل وفى الصورة .. والموقف يدعو كل شرقي الى ان يكون عضوا عاملا من عوامل الاجماع على معالجة الداء بالحكمة والموعظة الحسنة ..

وأغرب ما فى الشرق من أحوال النفس ، اختلاف جماعة من المصلحين فى أمرٍ هم فيه متحدون ، وبعد ان يعرض احدهم عن الآخر ، وبعد ان يتباغضوا ، وينشاجروا ، يقول قائلهم : انى لست مخالفا فى هذا ولست معارضا لذاك ، وان الذى يقصده المخالف هو عين ما أنا ارمي اليه، ولكنهم لايزالون مختلفين .. كالنزاع القائم على حجاب المرأة ، فان الفريقين المتخاصمين متفقان على أن الحجاب كان لدافع طبيعى ، وان السفور مثله ، وان العلم هو الذى يفصل بينها وبين الحجاب ، فلو اتحدا وهيئا للمرأة وسائط التهذيب ، وتجملا بالحلم والصبر ، حتى تقضى الطبيعة بما هى قاضية ، لانحلت العقدة وزال النزاع .. وفاتهم ان النزاع يعارض الحجة التى احتجوا بها لان القوانين الطبيعية لا تحتاج الى ولي أو

نصير ، فهى تفعل فعلتها عندما تجد سبيلا ، وتظهر بمظهرها ولو اجتمع البشر باجمعه عليها . وان النزاع لا يرفع الحجاب ، بل يضاعفه اضعافا مضاعفة ، وان القضايا المنطقيه والقواعد الفلسفية والاجتماعية ، والقوة القاهرة كلها لا تاتي بفائدة ما لم تقتنع المراة بذاتها ، وما لم تقترن الاقوال بالعمل الصالح الذى اتفق الفريقان عليه ، فلو ترك الفريقان الجدال ، واسرعا الى جمع المال ، فاسسا للفتاة مدارس تحت عنوان «مدارس التهذيب» او عنوان اخر - بدون نزاع على الاسم - وبدون ظهور بمظهرى السفور او التحجب ، وقاما بواجبات التهذيب الذى يكفل لها ما يتمناه الفريقان - وان رجال الفريقين من الذين لا نتردد فى اخلاصهم ومقدرتهم - لكان خيرا من ان يسرفوا فى الوقت بادلاء حجج سبقهم اليها السابقون من قبل ان تخلق نهضتنا المزعومة ، على امر اختلفوا فيه لفظا واتحدوا معنى ، ولايزالون مختلفين .. فان قيل : ان المال لا سبيل اليه ، قلنا : فالنهضة اذاً لا سبيل اليها ، وان كانوا ينتظرون من وزارة المعارف ان تقوم بهذا الواجب ، فلا يتحقق لهم ذلك الا بعد أجيال ، لان الميزانية لا تساعدها عليه .. وان قيل : ان التهذيب فى الشرق لا يحتاج الى مدارس ، ولا الى علوم أو فنون ، فقد يكون الشرقي عالما بلا علم ، وشاعرا بلا شعور ، ومربيا بلا تربية ، فذلك مما يدركه الاختصاصيون ولا رأى لنا فيه ، غير أنا نقول: ان من كان قانعا بان السفور يجب ان يكون عاجلا ، تهذيب الفتاة ام لم تتهذب ، لفوائد اجتماعية تحققت لديه ، وان تأخيره يفتك بالمجتمع فتكا ذريعا ، فحرام عليه ان يتأخر بعد قناعته ، بل الواجب يقضى على القانع ، بان يتقدم ويكون قدوة لغيره من القانعين مثله ، أو المترددين ، ويكشف النقاب عن الحقيقية بالفعل والتجربة .

أما اذا بقي يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، مؤملا ان يسبقه غيره ليقتدى به ، ويلقي التبعة عليه ، كما هى عادتنا نحن الشرقيين فى كل أمر حاولنا

معالجته ، فلن يتحقق له ما كان قائما به ولو طال النزاع الى أمد بعيد ..

كنا بالامس نطعن بمصطفى كمال[٢] ونقول فيه : « انه هتك حرمات الدين ، وخالف السنة والجماعة ، ونبذ القرآن وراء ظهره ، وعصى الله ورسوله ، لأنه أباح لزوجه ان تحضر المجلس العام سافرة » . واليوم نقول : « شيد له هيكل وهو حي ، وبوسعه ان يغير خارطة الشرق الادنى والشرق الاوسط اذا شاء ، فيجب ان نقتدى به فى قضية السفور » .

انا لا نريد ان نتعرض لذلك الطعن أو لهذا التحبيذ ، وانما نريد ان نبين انا فى الحكم نتبع رغباتنا . على ان الذى اباح السفور الى زوج مصطفى كمال والى زوج زغلول ، لا هو مصطفى كمال ولا هو زغلول[٣] ، وانما هو ذلك الروح الامين الذى هبط على الزوجين من سماء دار المعلمات ، ودار العلوم ، ودار الفنون والجامعات .. هو ذلك العلم السامي ، والادب الراقي اللذان تجملتا بهما ، فخولاهما حق الحضور فى المجتمعات ، ومقابلة الساسة والعلماء من رجال الشرق والغرب . وان التركية والمصرية مضى على تهذيبهما نصف قرن بتلك المدارس العالية ، والكليات ، فى ذينك الوسطين الراقيين .. ولا ندرى ماذا يريد المتنازعون بعد ان اتفقوا على التهذيب ؟! أيريدون ان تكشف المرأة عن وجهها ، وتشمر عن ساعديها ، وتجمع المال ، وتبني المباني العلمية والصناعية وجميع ما يستدعيه التهذيب العصرى ، وتقول لهم : « ادخلوها بسلام آمنين »[٤] ، أم عقدوا النية على

---

(٢) ولد فى مقاطعة سلانيك سنة ١٨٨٠ ، وتخرج فى المدرسة الحربية برتبة ملازم في الجيش سنة ١٩٠٢ . ويعتبر المؤسس الاول للجمهورية التركية الحديثة . توفي سنة ١٩٣٨ .

(٣) ولد سنة ١٨٦٠ في (أبيانه) من أعمال مديرية الغربية ـ في الجمهورية العربية المتحدة . وتعلّم في الازهر ثم اتصل بالسيد جمال الدين الافغاني فلزم مجلسه وتأثر بأفكاره . ثم سافر الى فرنسا لاكمال دراسته القانونية فحصل على الاجازة بالقانون . رأس الوفد المصرى الى مؤتمر فرساى . توفى سنة ١٩٢٧

(٤) الحجر : ٤٦

تغريب الفتاة كما غربوا الفتيان ، ليخسروا البنين والبنـات لعلل عرضناها سابقا ، أم يعتقدون ان الفتاة تتهذب بطريق الوحي والالهام .. وهل هي متأخرة عن المدارس الحاضرة ، ومن حرم على النساء مجالس العلـم ، أو ما يحضرون الوعظ والصلوات فى المساجد والمعابد ، وما الفرق بين الوعظ والدرس ، والجامع والجامعة ، وهل الغربية خلقت مهذبة فى بطن أمها ، أم الرجل هو الذى أعد لها وسائط التهذيب ، من الآداب الرفيعة والصنائع الدقيقة التى لا تنمقها الا أناملها الرقيقة ، ولا يحسنها الا ذوقهـا السليم ، وهو الذى علمها كيف تربي أطفالها ، فسـاغ لهم ان يقـولوا « هذبوا نساءكم تتهذب رجالكم » .

حـارث*

(*) جريدة العالم العربى العدد ٢٠٩ الصادر فى ٢٦ تشرين الثانى ١٩٢٤

النهضة في الشرق

وروح الاجتماع

ـ ٤ ـ

وعلى م يختصمون وقد اتفقوا على ان عادة رسخت فى النفوس منذ قرون لا تزول بأمر « كن » وان الحجاب لا يرفع بل يرتفع ، ولا يرتفع مالم يقم مقامه ما يحجب المرأة عما يجب ان تحتجب عنه وهو العلم والادب، فانهما حجابان من نور تهتدى بهما الى ما يصون عفافها من ان يقع عليه اى غبار ، وليس الامر مقتصرا على العفاف وحده ، بل العلم يصونها من أمور كثيرة كالفشل فى آداب الاجتماع ، وآدب البحث والمناظرة لدى مقابلتها للرجال ، على انا نجد كثيرين من رجالنا المعول عليهم يشذون عنها ، فتجرى على ألسنتهم وأقلامهم ألفاظ وعبارات لا تتفق مع مبدأ الاصلاح ، ولا مع فضيلة الباحثين فيه .. ولا يصح قياس المجموع على الافراد والمفردات ، وانما الاكثرية هى التى تبنى عليها المقاييس .. والناس تختلف ازياؤهم باختلاف مداركهم وعاداتهم فهل من الممكن تغيير زى البدو بنصيحة ، أو باقامة حجة مالم تصل مداركهم الى قبولهما ، وهل يكون البدوى حضريا بمجرد القول ، أو بمجرد اللباس ؟!

يقول المعارضون للسفور من الاتراك : « ان الوسط لم يتهيأ بعد ، وان العادات قاهرات ، وان الرجل اذا كان محظورا عليه حضوره المجتمعات قبل ان يتأدب بآدابها ، فالمرأة بالباب الاولى ، لان الرجل سبقها فى التهذيب ، وان اكثر نسائنا لا يعرفن ما لهن وما عليهن ، ـ سواء كان السبب فى ذلك هو الحجاب او غيره ـ ولم يفكر علماؤنا فى ان يحددوا آدابنا الاجتماعية ليتأدب بها كل من الرجل والمرأة فلا يتعديان حدودهما

اذا اجتمعا ، فيصيبهما الفشل ، ويختل نظام الاجتماع ، وان سكان البوادى لا يخلون من خطة يتبعونها فى اجتماعياتهم نظرا الى حياة البادية ، واذا قيل لهم : ان الدين جاء بدساتير اجتماعية ، قالوا : تلك سنن الاولين ، وذلك هو الرث القديم البالى ، فالذى نختشاه الا نكون قد مزقنا ثوبنا القديم ، والا تمن الطبيعة علينا بثوب جديد ، فنبقى حفاة عراة شعثا غبرا » .

هذا قول المعارضين للسفور من الاتراك ، وبين حالتنا وحالتهم فرق لاينكر فان الفشل يتضاعف فيما اذا كان المجتمع تحت مراقبة ، وانه مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ..

فالذى شهد مشاهد السعادة فى الغرب له ان يتمناها لبلاده ، ولكن الذى ظن به الظنون لا يحقق الامانى ، لان علة العلل هى الجهل الذى ولد فى الشرق من العوامل ما اقعده عن السير قرونا فاذا زال الجهل زالت تلك العوامل ، وقام مقامها العمل الصالح ، ولكن دون ذلك أهوال .. وما كل ما تمكن منه الغربى يتمكن منه الشرقى ، لان الظروف ليست واحدة ، وما كل ما صفا لغيرنا يصفو لنا ، ولا كل الموارد صافية ، والنائم غير اليقظان ، والحاكم غير المحكوم ، والغني غير الفقير ، والحر غير الاسير .. كيف يصح قياس الشرقية على الغربية فى العمل ؟ وان الحاجة هى التى دعت الغربية اليه ، واللا حاجة هي التي اخرت الشرقى والشرقية عنه .. اوليس الغرب مكلفا بحاجاته وحاجات الشرق معا ولذلك هو فى حاجة الى كثرة العاملين والعاملات ، والشرق غنى بما يمن الغرب عليه من فضله[1] له ان يقوم بها واذا نوى فلا يمكنونه ، اوليست الطبيعة هى التى قسمت الاعمال بين النساء والرجال ، فما شق منها كان نصيب الرجل ، وما خف كان نصيب المرأة ، فالغربية كان نصيبها ان تكون حمالة الورد ، والشرقية كانت قسمتها ان تكون حمالة الحطب ، كل يتجر ببضاعته ، وكل ينال قسمته ، وكل ميسر لما خلق له ، اما مشاطرة المرأة الرجل حالته ، فهى من الامور

(١) بياض فى الاصل .

البديهية ، فالشرقية تشاطر الرجل فقره ، وعناءه ، وبؤسه ، وشقاءه ، واسره ، وظلماته .. والغربية تشارك الرجل غناه ، وسعادته ، ونعيمه ، وحريته ، ونوره .. اليست المرأة قرينة الرجل ، اليس كل قرين بالمقارن يقتدى؟! الغربى هيأ للمرأة ما تشاطره اياه ، والشرقى كذلك ، وهما فرسا رهان ورضيعا لبان ، واذا شاءت فلنقل للغربية :

اجارتنا ما انصف الدهر بيننا تعالى اقاسمك الهموم تعالى[٢]

فهل تحن عليها ، ام تقول لهـا : ولتجزى كل نفـس بما كسـبت وهم لا يُظلمون .

ان نهضة المرأة هى التى تبعثها روح المرأة ، فاذا لم تكن نهضـة نسائنا مستعارة ، فليس عليهن من حرج ، ان يجتمعن ، ويتذاكرن فـى صالحهن ، ويخطبن ، ويكتبن فى صحفهن ، وفى مجلاتهن ما يهذبهن ، وان يدافعن عن حقوقهن بانفسهن لا بطريق الحماية من قبل الرجال الذين يتظلمن من اعمالهم ، ونهضن لكى يتخلصن من ظلمهم وعسفهم ، فالظالم لا يؤتمن وان كان حاميا .

والغربية لم يعضدها الحزب المناصر للمرأة الا بعد ان عرفت ان لها حقا وعرفت كيف تنـال ذلك الحق .. والذى نعلمـه هو ان نهضـة الرجال تسـبق نهضة النسـاء ، ولو فرضنا انه لا مانع مـن ان ينهضا معا ، فهل تقوم نهضة بدون وسائط تعززها وتقدمهـا الى الامام فنخشى اذا تعذرت الوسائط ان يصدق علينا وصف الغربيين نفسية الشرق لدى كل فرصة بقولهم :

« ان الشرق ينهض ، ويحكم ويجـدد ، ويكون كل شىء ولكنه فى الالفاظ فقط » .

---

(٢) البيت لابى فراس الحمداني

وكلما تقوم ضجة الخلاف على الحجاب في قطر من اقطار الشرق لهم اقوال يعرضون بها ، كقولهم : « يطالب الشرقي بتحرير المرأة ولايطالب بتحرير نفسه ليتحررا معا ، ويرغب الشرقي في ان تكون المرأة كل شيء وهو مسجل على نفسه انه لا يصلح لان يكون شيئا مذكورا ، وان تسجيله ذلك كان عليه وعليها في آن واحد .. يمد يده ليرفع حجاب المرأة ويداه مغلولتان » . وانا لا نسلم بجميع ما يجرى على السنة المغالين في حالة الشرق الحاضرة ، ولكنا لا ننكر ايضا . ما في حركاتنا من الارتباك الباعث الى غلوائهم ..

فأن رجال الاصلاح اعتادوا الا يدخلوا البيوت من ابوابها ، وان يجرحوا العواطف قبل ان يتثبتوا ، ولذلك لا يحسن الظن بالنهضة في الشرق .. والمصلح لا يتم له عمل ما لم يكن رائده الحلم والتواضع ، واذا كان يغتاظ لكلمة فيقابلها بأمر منها ، واذا كان يحقد فيأخذ بتنقيب عورات المعارضين له ، فالحركة التي يقوم بها تكون عاقبتها الفوضى ..

والنهضة اذا لم تكن لها خطة معينة ، يذهب كل فيها مذهبا ، كما ذهب كثيرون الى ان الغرض من هذه النهضة هو السفور فقط ، والسفور غير كاف للتقدم ، لان نساء البوادى ، والجبال ، واكثر نساء المدن سافرات ، ولم يتقدمن الى الحضارة قيد شبر .. وان الاقتصار على المحسوسات في مثل هذا البحث مما يقرب الى الحقيقة ، والتمسك بما لا جود له مما يدعو الى الفشل ، فلو ان المرأة غاظها النزاع على حجابها ، وقالت : ان كان هذا هو المانع للتقدم « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه[٣] » والكن ارونى ماذا خلق الذين من دونه ، اليس الرجل سافر الوجه ؟ اين آثار تقدمه ، واين ماكنتم تدعوننى اليه من مدارس الهندسة ، والطب ، والادارة ، والسياسة ، لاكون مهندسة ، وطبيبة ، وادارية ، وسياسية ، ومتفننة ، ومخترعة ؟ واين

(٣) الحاقة : ٣٠ـ٣١

المعامل والصنائع ، واين المعاهد التى توحى الى نفـــس الفتاة من الآداب الرفيعة (الصنائع النفيسة) مايجعل لها فى المجتمع منزلة سامية ؟ واين المتنزهات ، واين المجتمعات التى تمنيتم ان اتنعم بها كما انتم متنعمون ؟ انقول حينئذ : « انا وجدنا آباءنـــا على امة وانا على آثارهم مقتدون » ام نضع عوض حجاب حجابين ؟!

ولقد لاح لنا من بين رموز الباحثين ان منهم من يشـــير الى طرف خفى ، يريد به ان بين الارواح التى ترفرف فوق رأس البحث روحـــا هائمة دفعها الغرام الى ان تحاول النظـــر الى الجمال جهرة ، لا من وراء حجاب ، فأخذ يجرح تلك الروح .. وذلك مما لانشاركه فيه ، لان الله جميل يحب الجمال ، ولان الهيام بالمحاسن من مميزات الروح النزيهـــة التى يتكيف بها الذوق السليم ، والذوق السليم لا يأتى عفوا ، وانما هو موهبة من مواهب الاداب الرفيعة (الصنائع النفيسة) بل وحى توحيه الى النفوس الراقية . والاداب الرفيعة اكبر مقياس تقاس به مدارك الامـم السامية ، والاداب الرفيعة ليست من بنات السبيل ، وانما هى من غوانى صروح الجامعات ولذلك يقال ما كل من ذاق الهوى عرف الهوى ، ولا كل من شرب المدام نديم .

ولذلك تحتاج الامم الى فرع الآداب الرفيعة فى الجامعات ، وتعنى به عناية كبرى ، فالهيام بالمحاسن بدافع فطرى ، اى بدون تلق – اذا صـح – يعد فضيلة ومزية ، لا نقصا وذميمة ، وذلك مما يدل على ان الطبيعة اودعت سرا من الاسرار فى الفطرة العراقية جعلتها تمتاز به عن غيرها ، فاصبح العراقيون مفطورين على الذوق السليم ، ومستغنين عن كلفة الجامعات، أفلا يشكرون ؟ .

اما الفتاة العراقية فانها درة مكنونة ، حرصت عليها الطبيعة ، فحجبتها عن الابصار وخزنتها فى مخازن العفة والنجابة قرونا ولم ترض لها الا ان

تكون من الحور المقصورات فى الخيام ، وهى اذا ما ظهرت ستظهر – ان شاء الله – فى حلة يتلألأ عليها الوقار والابهة والاحتشام ما تغطيها عليه كل فتاة غير عراقية ، لان الطبيعة لم تكن قد خصتها بجمال الصورة فقط ، بل وهبتها من المواهب السامية ما لم تكن لتأمن عليها لولا عين الله التى لاتنام ، فحرستها من شر كل افاك اثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، وان لها من الذكاء ، ومن الحلم ، والاباء ، ومن الاصالة والنبل ، ومن محاسن الاخلاق ، ما لايدع ريبة فى انها تسمع القول فتتبع احسنه ، وانها اجل واعلى من ان تلعب بها الاهواء ، وستثبت للعالم ان نهضتها ليست كنهضة غيرها ، وانها نهضة قائمة على اساس العلم والادب ، وان رائدها العقل والتدبير ، وانها نهضة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيلا من عزيز حكيم .. نهضة تغار عليها من هبوب النسيم ومن كل هماز مشاء بنميم ، واذا جاءها الذين يخادعون قالت لهم : انما انتم الغاوون ، الذين يقولون مالا يفعلون ، والذين هم فى كل واد يهيمون ، ماذا سولت لكم انفسكم ، اتريدون ان تفسدوا علينا نهضتنا ، ان نهضتنا لا يمسها الا المطهرون ، ان نهضتنا هى روحنا ، والروح من امر ربنا ، ولا يحرسها الا الملائكة المقربون ، اما انتم فلا امان لكم ، اين ولت اعياد نهضتكم ، واين ماكنتم به تدعون .. اتظنون انا لم نراقب اعمالكم حينما كنتم فى صباح نهضتكم نائمين ؟ اتخذتم النهضة لهوا ولعبا وغرتكم الامانى فأصبحتم فى دياركم جاثمين ، ليس لكم علينا من سلطان ، الله ولينا ، وهو (نعم المولى ونعم النصير[٤] .

حارث*

---

(٤) الانفال : ٤٠

(*) جريدة العالم العربي العدد ٢١٠ الصادر في ٢٧ تشرين الثانى ١٩٢٤

الحكمة في تحريم نكاح المشركة

قال تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم » .[1]

ان الازدواج امر طبيعي تندفع اليه نفس الحيوان بدافع غريزي يستوي فيه الذكر والانثى ، غايته بقاء النسل ويختلف الانسان عن باقي الحيوانات بدافع آخر وهو تشكيل العائلة ضمن أنظمة اجتماعية تتطور مع الزمن وذلك لايتم الا بامتزاج الزوجين والامتزاج لايتحقق الا بالحب والمؤانسة ، والحب يتولد من الملاءمة في الطباع والمشارب والتربيةالسياسية فاذا كان الزوج مسلما والزوجة مشركة اختلفا وتباينا لما بينهما من التفاوت في المبادىء الدينية المتحكمة من نفسيهما وذلك يؤدي الى تفكيك عرى المحبة فيختل نظام العائلة وتفسد الحالة الاجتماعية التي لايمكن ان تدوم الا بدوام الالفة بين المتعاقدين ، ذلك لان المسلم لا يعترف بدين زوجته المشركة والمشركة لا تعترف بدين زوجها المسلم فلا تحترمه ولا يحترمها الا ريثما تسكن شهواتهما .وبخلافه فيما اذا كانت المرأة كتابية لان الزوج يعترف بدينها فهو يحترمها واذا كان لا يمس عواطفها الدينية تمكن من جلبها وتسكينها والسيادة عليها ، ولقائل ان يقول قد تندفع الزوجة بدافع الحب الى اعتناق دين زوجها قلنا اذا كان دافع الحب يوصل الى هذه الغاية فمن الممكن ايضا ان يندفع الزوج الى اعتناق دينها وذلك مناف للغاية التي يرمي اليها الدين الاسلامي وهي التوحيد ، ثم ان ذلك شاذ وموهوم والقوانين لا تبنى على الشواذ والموهومات ، وقد يكون في ذلك حكمة اخرى وهي ان المشركين اذا رأوا ما بين المسلمين والكتابيين من العلائق الودية في المواكلة والمتاجرة والمناكحة المؤدية الى التضامن والتساوي ربما تضطرهم

---

(١) البقرة : ٢٢١

المنافع للتقرب من المسلمين بالايمان لان المجموع المؤلف من المسلمين والكتابيين يكون حينئذٍ قد كون اكثرية عظمى بالنظر اليهم والاقلية لا تعيش ما لم تندمج فى الاكثرية او تهاجر كما وقع فى التاريخ ، واذا لم يكن للعنصر السائد قابلية التمثيل والاندماج لا تدوم سياسته الا بالقوة المرعبة التى تنوء بها النفقات ، فاذا كانت حكمة تزويج المسلم بالكتابية ايجاد الرابطة بين الفريقين لتحكيم أواصر التضامن فى الحياة الاجتماعية فما المانع من تقويتها ايضا بجواز نكاح المسلمة للكتابى ، المانع هو الكفاءة التى اشترطتها الامم من قبل ولا تزال تشترطها فى صحة العقد ، فالكتابى ليس بكفء للمسلمة لان المسلمة قد تقدمت فى تطورها الدينى وهو وقف دونه ، وبما ان سياسة الازدواج تقضى بسيطرة الزوج فلا يخلو اما ان يؤدى ذلك الى اسرها او الى انصياعها او الى التنافر المخل بسعادة العائلة ولاسيما اختلافهما الملحوظ وقوعه فى مصير النشىء وتثقفيه ، حتى ولو كان الزوج مسلما وقرويا والزوجة متمدنة لا يصح نكاحها من وجهة الكفاءة لانها ارقى منه ، فلا يتمكن من السيادة التى هى شرط فى حفظ النظام العائلى او تكون سيادته مفضية الى اسرها وتقهقرها عن التطور الدينى ، وكذلك الحال فيما اذا كان جاهلا وهى عالمة ولا عبرة لغناه وفقره ، اما الكفاءة فكان الرومان لا يجيزون تزوج الاجانب والدخلاء بالرومانيات ولو كانوا على دينهن ، وعني العرب بها فى جاهليتهم . فكان خاطبهم يقول لأولياء المخطوبة نحن اكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد اصبنا رغبة واصبتمونا وكنا نصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين . واشترطتها الامم المتمدنة فى قوانينها فلم تسمح للاجنبى ان يتزوج بالوطنية ما لم يكن مقيما في بلادهم سنين معينة على أختلاف الاعتبارات ليتم لهم التأدب بآدابهم والتطبع بأساليب حياتهم فيأتى ذلك الزواج بالفائدة المتوخاة ولئلا يشب الولد على غير نظامهم الاجتماعى فيكون أجنبيا عنهم هذا اذا كان علنيا ، والكفاءة عدا كونها مشروعة فهى من الامور الطبيعية يندفع اليها

الذكر والانثى بدافع الاصطفاء المبتنى عليه بقاء الاصلح فالذكر يصطفي والانثى تصطفى والاصلح يبقى وغيره يفنى ولذا نجد الذكور من الحيوانات اجمل واقوى من الاناث • ظهرت الكفاءة بين البشر بمظاهر شتى سائرة مع الاذواق وتطوراتها والحاجة ومؤثراتها والعنعنات وتحكمها والشرائع ونزعاتها والعلم ونفوذه والسياسة وسيطرتها والحب وهيمنته والبيئة ومقتضياتها ولا ينكر ما للرغائب والشهوات من التاثير فيها فقد ظهرت بمظهر المال والجاه والنسب والقوة والشجاعة ومكارم الاخلاق والثقافة والصلابة فى الدين والجمال الى غير ذلك مما جاء فى تاريخ الانكحة وفصلته الوقائع وكلها ترجع الى غاية واحدة وهى الاصطفاء المستند عليه بقاء الاصلح ، (فأما الزبد فيذهب جفاءا واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض)[٢] ، ولم يقتصر حكم هذا القانون على الذكور بل تناول الاناث ايضا فعندما تسابق الذكور الى الظهور بتلك المظاهر استعد الاناث للكفاءة ومقاومة تلك المظاهر بما يتغلب عليها فقد ابدعن الجمال ابداعا ادى الى عبادته وقال (ص) : اعظم النساء بركة احسنهن وجها واقلهن مهرا[٣] وان الله جميل يحب الجمال ، ولم تزل العناية به مستمرة حتى صارت تقام له الحفلات والاعياد فى بلاد الغرب واصبح فنا من الفنون ولم يكن التسابق منحصرا بين النساء بالمحاسن الصورية بل ظهر بكثير من مظاهر الرجال فى العلم والثقافة ومحاسن الاخلاق لنيل احسن من تلبس بلباس الكفاءة من الرجال ولاينتهى التنازع والتسابق مادام الذكر والانثى، فالكفاءة من الامور الطبيعية فى الزواج كما انها من الشروط الشرعية •

الحارث*

---

(٢) الرعد : ١٧

(٣) وفى مسند الامام أحمد بن حنبل ورد الحديث التالى :
اعظم النساء بركة اخفهن مؤنة •

(*) مجلة الاقلام ـ العدد الثالث ـ السنة الاولى شوال ١٣٤٦ هـ الموافق نيسان ١٩٢٨ ص ٨٦

حكمة تحليل الكتابية للمسلم
وعدم تحليل المسلمة للكتابي

كانت ولا تزال نساء العرب يشتركن فى الحروب لغايات يمكننا استنباطها من آدابهم ، فالمرأة شريكة الرجل فى غزواته ومما اعتادوا عليه استباحة السبايا وتخيرهن بعد ان يصطلح الفريقان بين البقاء وعدمه ، وكان يغيظهم ايثار نسائهم البقاء عند الفريق الغالب ولذلك آلى على نفسه قيس ابن عاصم اذاولدت له بنت ان يئدها كما ذكر ذلك بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى (واذا الموؤدة سئلت)[1] . هذه هى عادة العرب ونفسيتهم ، وللحرب نفسية اخرى تنكشف فى مظاهر الجيش الغازى لدى جميع الامم من الهتك والفتك فى الامم المغلوبة بعد الاستيلاء وهى تتكون من دافعين احدهما الجبلة التى طبعت عليها النفوس ، والثانى الحالة العصبية التى تولدها الحرب ، والبشر متحد في الضرائر مالم تتهذب نفسيته أضف الى ذلك فعل الجمال وتأثيره فى النفوس ولاسيما فى الجيش وبالاخص العرب عند مجابهتهم مالم يعتادوا عليه من المحاسن ثم السيادة التى هى حق من حقوق الجيش الفاتح ، كل ذلك من الدواعى التى دعت الى وضع حد تقف عنده نتائج هذه المؤثرات وتظهرها بمظاهر صالحة لسياسة الدين المبتنية على العدل والاحسان والاتقاء من الفحشاء والمنكر والبغى . فتحليل نكاح المسلم للكتابية وضع حدا لما بيناه من العوارض السيئة ومهد الطريق لظهور المسلمين الفاتحين بمظاهر شريفة يمتلكون بها قلوب الامم المغلوبة بوقاء العفاف ويزيلون ما بها من تحلل ويتأيد لهم فتح البلاد ويستمر لهم الحكم عليها بفتح القلوب الذى هو نتيجة تأسيس روابط النسب والقرابة بين الفاتحين واهل البلاد .

---

(١) التكوير : ٨

وبعد ان تمكن العرب من نشر المبادىء الاسلامية ومن وضع الانظمة السياسية والادارية والاجتماعية المتوقف عليها سير نظام المجتمع بالنظر الى ما ينطوى عليه من العناصر طبقا للاسس المتينة التى بنيت عليها الشريعة الاسلامية كالعدل وحرية الاديان والمساواة نزلت الاحكام القطعية فى ذلك، ومنها « اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين »[٢] .

قبل نزول هذه الاحكام كان المسلمون وغيرهم يتوقعون حدوث تغيير فيما اعتادوه كما هى الحالة عند حدوث كل انقلاب دينيا كان او سياسيا او اداريا او اجتماعيا ولما كان دين الاسلام كافلا لهذه الانظمة والاحكام كان التطلع الى أحكامه أشد ولا غرو اذا استحوذ عليهم القلق لأن تغيير العادة يصعب على البشر لاسيما على غير المسلمين منهم تجاه العنصر الحاكم الذى هو اجنبى عنهم فلما جاءت تلك الاحكام اطمأنت القلوب وهدأت الخواطر فقد اشتملت على المتع بجميع الطيبات على وجه عام فقال (اليوم احل لكم الطيبات) وذلك مما تجنح اليه النفوس وترتاح له ثم خص منها امرين لما لهما من التأثير فى الالفة بين السائد والمسود :

احدهما الموآكلة فى قوله « وطعام الذين اوتوا الكتاب .. » .

لاشك فى ان الموآكلة تستدعى المودة والالفة واذا كانت الموآكلة مباحة فالمتاجرة بما يتعلق بها اولى بأن تكون مباحة وبذلك تقوى الروابط بين الفريقين لان الاشتراك فى موارد الحياة اهم عوامل التضامن الذى نظر اليه دين الاسلام نظر حكمة وسداد وغايته توطيد دعائم الامن فى الداخل اذ بدونه لايمكن التوسع فى الملك وبسط السيادة على الخارج واذا كان غير

---

(٢) المائدة : ٥

المسلمين مشركين فى النفع والضرر كانوا يدا واحدة لانهم يمسهم مـــا يمس المسلمين .

الثانى من الطيبات نكاح المحصنات مؤمنات كن او كتابيات غير انـه قد شرط فيه اكمل الشروط لصيانة حقوق الزوجة مؤمنة كانت او كتابية فقال « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن .. » فساوى بين المؤمنة والكتابية فى هذه الشروط ولم يشترط على الكتابية اعتناق الدين الاسلامى كالمشركة ، ولاشك فى أن تأسيس القرابة بين الفريقين ادعى الى الاندماج والاستحالة ثم بين العقاب لمعارض هذه الاحكام فقال « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

الحـارث*

(*) مجلة الاقلام ـ العدد الرابع ـ السنة الاولى ذو القعدة ١٣٤٦ هـ الموافق مايس ١٩٢٨ ص ١٢٨ .

حكمة التشريع

الحكمة في توريث الابوين ، التساوي بينهما في القسمة عند وجود ابن الابن ، الحكمة في فرض السدس لكل منهما في هـــذه الحالة

قال تعالى «ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين »[1] .

لكل قانون علل وأسباب تستدعي وضعه وتنفيذه تعرف بـ « الاسباب الموجبة» فاذا ارادت الحكومة وضع قانون عللته وشرحت اسبابه بلائحة يقال لها « لائحة الاسباب الموجبة » تعرضها على المجلس النيابي للاطلاع عليها والبت فيها ، ولا يوضع قانون بغير هذا الشـــكل في الحكومات النيابية الدستورية ، ولما كانت الشريعة الاسلامية واضعة هذا الشـــكل الصحيح في اساس الدين وهي المأخذ والمرجع الوحيد المعول عليه لدى المسلمين في الانظمة فهي أولى بأن تكون أحكامها مبتنية على علل سديدة واسباب معقولة . فما الحكمة من توريث الابوين والتساوي بينهما في القسمة وفرض السدس لكل منهما من مال الولد كما جاء في الايـــة الشـــريفة ؟

قبل ان نتطرق الى البحث عن العلل في هذا الحكم يجب ان نذكر شيئا مما يتوقف عليه الايضاح والتعليل فنقول :

الرضاع حق من الحقوق الطبيعية للمولود على والديه لانه لم يولد

---

(١) النساء : ١١

بخياره ، ولذا نجد هذا الحكم نافذا بين صفوف الحيوانات بداع غريزي دعت اليه ضرورة بقاء النسل غير انه تابع لقوانين تختلف المدة فيهـــا باختلاف الطبائع والاقاليم ومقتضيات الخلقة كما يفصله علم الحيوانات ، ولا تتجاوز تلك المدة الاجل المعلوم فعند انتهائها يســتقل المولود ويستغنى عن ابويه الا البشر فالاطفال لا يســتقلون بمعاشهم بعد الفطام لانهم لم يمنحوا هذه المنحة فلا يزالون مفتقرين الى رعاية الابوين وعنايتهما الى أمد غير قصير عدا افتقارهم اليهما فى التربية البدنية ، وقد اختلفت المدة فى هذه الحاجة بين الامم بحسب العرق والبيئة واحكام الزمان ففى الاقوام السامية ومنهم اليهود يستقل الولد فى الرابعة عشرة من عمره وقد جرت العادة عندهم باقامة المراسم والحفلات يوم التقلين الذى يطلق فيه سراح الولد وتنتهى مسؤولية الابوين عن عمله وكان العرب في جاهليتهـــم يقيمون المراسيم للتعذير اى عندما ينبت العذار فى وجه الصغير اعلامـا بحريته • اما الرومان فكان الولد عندهم لا يستقل الا بعد موت والـده وكل مايملكه الولد كان ملكا لوالده وكان يباع كالرقيق بيعا شرعيا ، ثم جاء دور الاذن الشرعى وهو ان يطلق الوالد الحرية لولده فى حضور الحاكم وتبقى الروابط العائلية وحق الارشاد ثم يتعين زمن الرشد وانتهاء الوصاية بدخول الصبى فى الرابعة عشرة من عمره ، وقد وضعت الشـــريعة الاسلامية لذلك حدا بقوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشـــده » فسر العلماء الاشـد بالحنكة أى التجربة والبصر في الامور والمعرفة ، فسروه بالادراك والبلوغ وان يؤنس منه الرشد ، وقيل يتحقق ذلك منه فى السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمره وفى قوانين انكلترا وفرنسا يتحقق سن الرشد من التاسعة عشرة • فمن ذلك يظهر ان للابوين حقا على الولد يفوق الحق الطبيعى للولد على ابويه درجات ، عدا رابطة النسب التى هى بذاتها حق طبيعـــى موروث ، فالابوان لهما حق فى مال الولد عوض ما أعانه كل منهما فى تربيته الى

ان يستغنى عنهما كما تأيد ذلك فى قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا •) • فقرن طاعته بطاعتهما •

ولما كان الابوان متساويين فى احتمالهما ذلك العناء كان نصيبهما من القسمة على حد سواء فاذا كان الامر كذلك فلم لم يقتسم الابوان المال عند وجود الولد اى ابن الابن ، ذلك لان الابوين قاما بواجبهما الاجتماعى من تشكيل العائلة فصبحت العائلة بهما أمرا واقعيا ، ولهذه العلة لم تتبع فى القاعدة (للذكر مثل حظ الانثيين) ، اما الـولد فلا يزال مكلفا بتشكيل العائلة والانفاق عليها واما اذا كان قائما بواجبه الاجتماعى قبل موت والده فبالاولى أن يكون مفتقرا الى المال •

الحكمة في تعين السدس لكل منهما ـ لما كان الولد لا ينال من مال الابوين الا الثلث اذا فرضنا ان العائلة مؤلفة منه ومن والديه فهو مدين لهما بالثلث واما الابوان فكانا ينفقان على حاجتهما ثلثى ما كانا ينفقانه لولدهما فالحق ان يكون ثلثا المال لابنه ، وقال علماء التفسير ومنهم الرازى ان الابوين اذا كانا بلغا الكبر والولد لا يزال في سن الصبا فهو أحوج منهما الى المال •

الحكمة في تعين الثلث للام والثلثين للاب فيما اذا مات الولد ولم يكن له وارث •

قال علماء التفسير اتبع فى ذلك قاعدة (للذكر مثل حظ الانثيين)[٣] ثم ان موت الولد من الحوادث التى قد تحدث قلقا فى سير النظام العائلى فقد يكون الولد المفقود وحيدا والام بالغة الكبر فيجد الاب حاجة فى نفسه لتجديد النكاح المؤدى الى تشكيل عائلة ثانية وذلك يستدعى زيادة فى نفقات الاب ، ومثله الام اذ من المحتمل وقوع التفرقة بينهما او التقتير الناشىء من الميل والعطف الى احدى الزوجتين وان كان

---

(٢) الاسراء : ٢٣ ـ ٢٤

منافيا للعدل المأمور به وذلك لتغلب الطباع البشرية اذا لم تكن مهذبة ولم تصلحها مبادىء الكمال ولذا قال : ﴿ فان كان له اخوة فلامه السدس ﴾ والسبب فى فرض السدس للام فى هذه الحالة زوال العلة بوجود الاخوة .

الحارث*

---

(٣) النساء : ١١

(*) مجلة الاقلام ـ العدد الخامس السنة ١ الصادر في حزيران ١٩٢٨ ص ١٦٦

فلسفة التشريع

تحريم الانكحة المعينة فى قوله تعـالى « حرمت عليكم أمهاتكم ٠٠ »

غاية النكاح تأليف اسرة يكتنفها الحب والوداد على نظام صالح لتكثيف المجتمع وتكييفه بوحدة ملتحمة أجزاؤها بلحمة النسب والمصاهرة (ومن آياته انه خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة[١]) (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا[٢]) وكل ما جاء به الدين الاسلامي من الانظمة في النكاح مبني على هذه الفلسفة تحليلا وتحريما عقدا وفسخا ، فتحريم الانكحة في هذه الاية له علل اقتضتها قواعد تلك الفلسفة :

الاولى ـ لما كانت الغاية من التزوج تأسيس المناسبة بين أجزاء المجتمع لتكون متداخلة ومتحدة انتفت الفـائدة فيما لو أحلت الانكحة المذكورة ، ولانحصرت اللحمة فى أضيق شرعة ولبقيت أجزاء المجتمع متباعدة متفككة بل قد تستحيل تلك المقارنات الى نزاع وشجار عند تعدد الذكور والاناث المتساوين والمتساويات فى الدرجة أو تعدد أحدهما كما حدث بين قابيل وهابيل عدا ما في الامر من تشوش الانساب والرجوع الى الهمجية ٠

الثانية ـ تزوج الاصول بالفروع اغتصاب لحقوق الفروع وعكسه تطاول من الفروع على الاصول وهما معارضان لتكامل المجتمع والتحريم وضع حدا لهما وقمع دابر الذرائع المفضية الى التقهقر في حياة المجتمع ٠

الثالثة ـ اذا انحصرت الباءة في أفراد الاسرة فسد النسل لضعف المادة المولدة وقد تنتقل الامراض مع النطفة الى الانساب مما يؤدي الى التفسخ ، ولاسيما الاوهام والهواجس التي هي من عوارض الامراض العصبية المتولدة من ذلك الانحصار في مقتضى قانون الوراثة ٠

---

(١) الروم : ٢١

(٢) الفرقان : ٥٤

الرابعة ـ فساد النسل وانقطاعه المنبعثان من تفاوت النسبة في العمر بين الزوجين تفاوتا يتجاوز الحد الطبيعي لان المرأة تبلغ وتعقم قبل الرجل بسنين ولذلك حتموا ان يكون عمر الزوجة بنسبة اثنين من ثلاثة بالنظر الى عمر الزوج كما ان الرجل تضعف نطفته اذا بلغ السن المعين من الكبر فيفسد النسل ويهن المجتمع لما يعتريه من الضعف في البنية والنقص في المواهب والقصر في العمر كما يستفاد ذلك من مظاهر الاسر التي تحرص على نسبها فتحصر الباءة في ذراريها وتزوج البنات من الشيخ والكهلة من الصبي واكثره وقوعا في الاسر المالكة التي نقلت أخبارهم التواريخ والتي لا نزال نشاهد انقاضا متفسخة وهذه الحالة لابد من حدوثها فيما لو أحل النكاح للفروع بالاصول وبالعكس ، ولا شك في انه ينبعث منه التنافر والتباين المعارضان للغاية المطلوبة .

الخامسة ـ اذا لم يندفع الزوجان الى الملامسة بدافع الحب المطبوعة عليه النفس توقف النسل وهو لا ينكشف في الانكحة المذكورة لحجب ليس للانسان أن يخترقها بعد أن اجتاز أدواره الاولية وبعد أن تقيد بقيود وضعت بينه وبين الشهوة البهيمية حدا فاذا تزوج بأمه مثلا كان تحت تأثير عاملين متضادين الامومة والزوجية أي الطاعة والسيادة وليس من المستطاع ان يحس الانسان بحسين ويشعر بشعورين متخالفين في آن واحد لان الحالة الروحية التى تهز الزوجين غير الحالة التى تتكون منها عاطفة البنوة والامومة وكيف تهيم الام بولدها هيام غرام وتراوده عن نفسها شغفا بعد ان حملته تسعة أشهر وربته فى حجرها سنين وتمشت معه فى جميع أدواره ، أم كيف تنصاع لمشيئته وهو الذى ترعرع فى حضنها وآنس منها رأفة وحنانا يحتمان عليه ان ينقاد لها لا أن يقودها الى حيث شاء ، والانظمة في الانكحة نتيجة تطور محصتها القرون والأعصار ، وقد كان الرومان قد سنوا في شرائعهم هذه القوانين وحرموا زواج الاخ والاخت والخال والخالة و العم والعمة وبنت الأخ كما منعوا تزوج الاب ببنته والابن بأمه واستمر هذا

الى عهد الملك (كلو) فلما عشق بنت أخيه (اغراتيم) أصدر أمرا حلل فيه الزواج بين العم وبنت أخيه وأبقى الموانع الاخرى ولم يدم هذا التحليل أمدا طويلا فلما جاء الملك قسطنطين أعاد التحريم ، وقد حرمت قوانين الرومان مناكحات أخرى كتزوج الوصي بنتا تحت وصايته .

حـارث*

(*) مجلة الاقلام ـ العدد السادس السنة ١ الصادر فى تموز ١٩٢٨ص٢١٢

الأدب الجـاهلي

لقد مثل الادب الجاهلي نفسية العربي في سائر حالاته واطواره صيادا وراعيا ومحاربا وشاعرا وأميرا وشجاعا وحرا كـريما ووفيا عفيفا وصادقا صريحا يطوى في أديمه ملامح وأصباغ القرون .

ولمنزلة هذا الأدب من الاعتبار في المآخذ[1] الاسلامية جعله العلماء معيارا للمفاهيم ومقياسا لتحليل أوضاع اللغة ، ولولا ذلك ما استطاع المسلمون أن يدركوا دقائق التشريع ، وقد نبه شعراء كثيرون في العهد الجاهلي بحسن السليقة وعدم الخروج عن قوانين الطبيعة والسير مع النشوء والارتقاء والطموح الى التجدد ومنهم الحلقة الوسطى بين ما غـير من العهود وجيل الاسلام ، فقد كانت قصائدهم التي تحمل بذور الانقلاب تسير بها الركبان الى أطراف الجزيرة ، فتتلقفها الاسماع وترددها الألسن بين المحافل الى ان تنتقل وتتحول الى فكر ثم الى مبدأ يؤمن به الناس . وأحسن قصائد هذا الدور وأغزرها مادة تلك التى كانت تعرض في الاسواق التجارية بالقرب من مكة في عكاظ ومجنة وذى المجاز ، فان الشعراء كانوا يرحلون الى هذه الأسواق أيام الحج لعرض ما لديهم من الحكم والآراء على الرأى العام ، وقد أمتاز منهم أصحاب المعلقات وجلهم عدنانيون أو مجاوروهم والسر في ذلك تمتعهم بالحرية وكونهم في جو صالح لايجاد وسط انقلابى تتكون فيه عناصر الاستقلال لبعده عن منافع الدول وكيد الاجانب .

اختمرت فكرة السيادة العربية في أدمغة العدنانيين وكانوا ينتظرون ظهور مجدد يرفع راية هذا الطموح الجديد ، يسوق العرب الى المركز الذى يجب أن يتبوأوه بين أمم العالم ، وقد طمح كثيرون من رجالاتهم انهم سيكونون ولكنهم تهيبوا الأمر ضنا بأنفسهم من الاخفاق ، ومن أشـهرهم ورقة بن نوفل والعباس بن مرداس السلمي وزيد بن عمرو بن نفيـل العذرى وعثمان بن حويرث الآمدى وعبدالله بن جحش الازدى فان منهم

---

(١) المصادر .

من ارتأى ان الاصلاح لا يكون الا من طريق الدين بابطال الشرك وهجر الاوثان واعلان التوحيد الخالص والايمان بخالق الأكوان ، ومنهم من رأى الاصلاح بتأديب النفس وترقية القلوب ، ومن يراه بالدعوة الى الاتحاد والانتصار الى الضعيف ، ومنهم من كان يستوقد نار الحمية ويستثير العشيرة الى آخر ما ورد في هذا الباب من المطالب العالية والأغراض الشريفة التى ألمت بها الشريعة الاسلامية .

والخلاصة ان الشعور بالحاجة في الجزيرة الى منقذ الهي يوحد كلمة العرب ويجمعهم على الخير ونيل الحظوظ السامية كان سائدا بما في الافكار من أخبار الكهان وبشارات أهل الكتاب ولكنهم لا يعلمون أين ومتى ومن هو ، حتى ظهر الانسان الكامل .

حـارث*

(*) مجلة الاقلام ـ العدد السابع والثامن السنة ١ الصادر فى أول أيلول ١٩٢٨ ص ١٨٤

المكتبة العـامة

(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)(١) .

.... حضرة مدير « العالم العربي » الأغر :

جوابا على السؤال الوارد في صحيفتكم الغراء عدد «١٣١٠» بتوقيع (منقب) فيما يتعلق بتأسيس وتنظيم المكتبات العامة ، أقول قبل الخوض في الموضوع كلمة موجزة عن المبدأ الأساسي للغرب في جميع الأعمال :

محص الغرب بتجاربه التي تطور بها على أيدي العصـــور ضرورة الاختصاص الذي قامت عليه دعائم الحضارة في القرن العشرين ، وصلاحية الفرد في القول والعمل حتى صار عضوا نافعا في المجتمع تظهر على يده الخوارق والمعجزات ، بخلاف الهيئات الاجتماعية التي كتب عليها ان يكون تطورها معكوسا ، فان الفرد فيهـا على ما كان عليه في أدوار البشـر الأولى لا يزال معجباً بنفسه ، معتقداً بأن له الحق ، والصلاحية ، والاختصاص في كل بحث ، وفي كل عمل ، وفي كل مقام ، غير مبالٍ بما يترتب على ذلك من الفشل ، والمسؤوليات ، والفتك بالمجتمع .

ان تأسيس المكتبات العامة في هذا العصر فن من الفنون التي يتفرغ لها طبقة من الاختصاصيين يرجع اليهم عند الحاجة في اختيار الموقع ، وهندسة البناء ، ووضع النظام ، وتصنيف الكتب ، ووقايتها من الجراثيم التي تتسلط عادة على الجلد والورق بالمعالجة الفنية كاشـباع الهواء بالمواد الكيمياوية وغيرها ، والابداع في تصفيف الكتب وسهولة تناولها على الطالبين بالوسائط والفهارس المبتكرة الجامعة للعلوم وللمباحث ، وصورة عرض المخطوطات النفيسة ، وتنظيم الآثار القديمة ، وانتظام محـــلي المطالعـة والاستنساخ ،

---

(١) الاسراء : ٣٦

وغـــير ذلك مما هو ملتزم لـــدى الأمم التى تقيم للعلم وزناً ، وتحسب للاختصاص حساباً ، تفرضه على الاعمال فرضاً .

اذ كل بناية لا تصلح لأن تكون مكتبة عامة ، وكل موقع لا تشاد فيه المكتبة العامة ، وكل كتاب لا يستحق ان يشغل محلاً فى المكتبة العامة ، وكل دارس ـ ما لم يكن متخصصاً فى هذا الفن ـ لا يسوغ له أن يتصدر منفرداً برأيه الى تأسيس المكتبة العامة ، أو الى نظارتها وادارتها ، فضلاً عما اذا كان لا يدرى من العلم سوى نتف من النحو والفقه وما شاكلهما .

يشترط فى الموقع الذى تشاد فيه المكتبة العامة أن يكون نقي الهواء ، بعيداً عن الجلبة والضوضاء ، مصوناً من تأثير العوارض الجوية ، وان تكون هندسة البناء على الاسلوب الذى تقتضيه طبيعة الاقليم من حر أو برد ، منقسماً الى الأقسام التى تتطلبها المـكتبة المراد تأسيسها بالنظر الى ما يودع فيها من أصناف الـكتب والآثار .

ويشترط فى البناء أيضاً ان يكون جامعاً لشروط الصحة أولاً ، وصيانة الكتب من التلف فى الفصول الأربعة ثانياً ، وألا يكون الضياء في محل المطالعة شديداً ولا ضئيلاً ، والا تنعكس فيه الاصوات .

ويلاحظ فى تصنيف الكتب أمران : عصر التأليف ، وموضوع العلم ولما كان كـل علم منقسـماً الى فروع ، فلـكل فرع يخصص رواق ، والمخطوطات القيمة النفيسة لا تعرض للمطالعة ، وانما تفتح على مناضد مستطيلة يعلوها بارتفاع نصف ذراع غطاء من بلور مقعر السقف مســتوى الجانب أو مستوى الجميع ، لئلا تمسها الأيدى وتؤثر فيهـا المؤثرات ، ويكتفى بالنظر اليها للاطلاع على نفاسة الخط ، وصنعة الحلى والنقوش ، اذا كان فيها شىء من ذلك ، والمخطوطات التى لا قيمة لها لا تعرض عـلى الانظار .

ويشترط أن تكون الكتب على وجه عام مما يندر وجوده ، ومما لا يتيسر لكل أحد اقتناؤه كالموسوعات ، وأمهات الكتب ، وما يفتقر اليه

أهل البحث والتنقيب من المآخذ المهمة فى مختلف العلوم والفنون العالية ، وان ما يوجد فى الاسواق وما كان ثمنه زهيداً لا تملأ به رفوف المكتبات العامة ، لان الناس فى غنى عنه .

وليست الفائدة من المكتبة العامة مقصورة على سكان البلد الذى تؤسس فيه ، وانما يشترك فيها أفراد البشر المتعلم كافة ، ولذلك جرت العادة أن تطبع فهارس كل مكتبة عامة وتهدى الى جميع المكتبات العامة فى العالم على سبيل التبادل ليؤمها الباحثون من كل جهة وناحية عند الاقتضاء .

أما مكتبة الأوقاف العامة :

فاني لا أريد ان أبحث فى هذا الصدد عن شرط الواقف الذى هو كنص الشارع ، ولا عن المسؤوليات المترتبة على العبث في الموقوفات التي هى أمانة فى يد الشرع والقانون ، ووديعة فى ذمة المجتمع ، ولا عن المصلحة وطرق الانتفاع بها ، أو عن الخلل الذى يتسرب الى عقيدة من يريد وقف عين أو مال فيما لو تضعضعت الثقة ، واختل الاعتماد ، وأخذ كل يتصرف فى مال الوقف حسب شهواته ... كما يتداول على الألسن وعلى صفحات الجرائد فى هذه الأيام ، فذلك مما يخص المراجع الرسمية والرجال والمسؤولين ، والله من ورائهم محيط ...

وانما أريد ان أنبه الى التاريخ الذى ظهرت فيه هذه الفكرة ، والى النتائج التى حصلت منها بعد اللتيا والتى . كان مما شاع على أثر تأسيس الدولة العراقية ان فى نية وزارة الأوقاف انشاء مكتبة عامة تضاهى مكتبات الامم المتمدنة ، وتعيد ما كان للعراق فى عهد العباسيين من مظاهر الجلال والعظمة فى تأسيس المكتبات ، كما أشار اليه معالي الوزير فى مجلس النواب ...

فأخذ الناس ينتظرون بفروغ الصبر انجاز هذا المشروع الذى نوهت به صحف العاصمة زمناً لا يقل عن خمس سنوات . وكانوا يظنون ان

الوزارة استعدت فى هذه المدة لهذا الأمر استعداداً يليق بشأنه الخطير ، من احضار الاختصاصيين ، وشراء الكميات من الكتب النادرة ، والمؤلفات العصرية ، والموسوعات المتنوعة ، وأنشأت المحل الصالح وأثثته بحسب ما تقتضيه المدنية الحاضرة ، وأعدت الفهارس الحديثة لمختلف طبقات العلوم والفنون ، ولم يبق الا الاذاعة بالنظر الى ما كان يترشح من البشائر ، أو التبشير حول الموضوع .

واذا بالنتيجة مسفرة عن جمع ما فى مدارس الاوقاف من كتب (الجادة القديمة) كرسائل النحو والصرف والمنطق اليوناني والفقه والحديث وغيرها مما يتملكه عادة كل طالب من طلاب المدارس الدينية المتيسر حصوله بدون كلفة وعناء ، علاوة على ان معظمها مكرر ، وأكثرها ناقص كما هو شائع ، وعن نقل هذه الرسائل من المدارس الى « باب الأغا » الى حجرة معلقة ، باردة فى الشتاء حارة فى الصيف ، يصعد اليها بسلم رفيع الدرجات ، من بين الحوانيت ، وأصوات الباعة والعمال ، ودوى السيارات وضجيج العربات .

وأهم ما فيها مكتبتان : مكتبة (الامام الاعظم) ومكتبة (الألوسى) ، ومحل المكتبتين فى نظرنا أولى وأرجح من (باب الأغا) من وجوه :

أحدها : ان مكتبة الامام الاعظم كائنة فى وسط هادىء ، منشرح ، نقي الهواء ، يطل من جهة على حديقة الكلية الأعظمية ، ومن الجهة الثانية على فسحة الجامع الواسعة ، والثاني ان هذه المكتبة ينتفع بها طلاب الكلية أكثر مما ينتفع بها قصاد المكتبة العامة ، اذ ليس فيها مما يحتاج اليه أهل البحث والتنقيب من الكتب النادرة ، أو أمهات المآخذ . والثالث ان بقاءها في محلها أضمن لحفظها وصيانتها لالتفاف الطلاب والأعظميين حولها ، ولحرصهم الشديد عليها .

ولا أدرى ماذا أراد معالي الوزير بتصريحه فى المجلس النيابى قائلاً : « ان الكتب الفنية الموجودة فى أيدى طلاب (جامعة آل البيت) تغنيهم) » مع ان (جامعة آل البيت) لا يوجد فيها كتاب واحد من الكتب

الدراسية فضلاً عن كتب المطالعة ، سوى المجلات التى كانت تحتوى على بعض المحاضرات ، وقد بلغنا أنه منع أصدارها ، وهى أكبر أثر علمى ظهر فى هذه البلاد .

وأما مكتبة الآلوسى فانها فى (جامع مرجان) وهذا الجامع فى نفس « باب الأغا » أى فى عين الشارع المراد تكوين المكتبة العامة فيه ، يبعد عن محلها المقرر ببضعة أمتار ، غير ان الوصول الى هذه المكتبة أسهل على الشيوخ وغيرهم من صعود ذلك السلم العجيب لتلك الحجرة الغريبة التى لا تصلح لغير « الجايخانة » .

فبالنظر الى هذه النتيجة لو كانت الوزارة مقتصرة على النية فى هذا المشروع كما اقتصر غيرها لكان خيراً من عملها الذى أقلق ورثة الواقفين ، وطلاب العلم ، وسائر المدرسين ، وأحدث ضجة لا داعي لها .

على ان العراق غني برجال الاختصاص من الأجانب الذين عقدت معهم الحكومة عقوداً لمدة طويلة بمرتبات لو لم يكن الأمل معقوداً على تعويضها بما تستفيده البلاد من اختصاصاتهم فى مثل هذا المشروع وغيره لاستكثرها الناس ، فكان على الوزارة أن تستشيرهم فى الموضوع لئلا تكون عرضة للنقد والتفنيد .

والآن من الممكن استدراك الأمر وتلافيه ، لأن الوزارة لم تنفق على هذا المشروع سوى أجر النقل للكتب من محل الى آخر ، كما انها قد انتبهت فى الوقت الأخير الى تأليف لجنة لهذا الغرض من أفاضل العراقيين الذين لا نشك في اصالة رأيهم لما لهم من الذوق السليم ، والخبرة فى أصول المكتبات العامة الحديثة ، والالمام بتاريخ المكتبات العراقية ، وعلمهم بحاجة العراق الى مكتبة عامة يتجلى فيها جلال العلم فى العصر الحاضر .

فمن المحقق ان اللجنة المحترمة ستفكر فى المشروع من جميع مناحيه ، وتعيره ما يستحقه من العناية ، فتقترح على الوزارة قبل الشروع بالعمل أرصاد ما يكفي من المال لانشاء البناء وتأثيثه بحسب تقدير أهل الفن ، وشراء الكميات الكبيرة من الكتب الضرورية ، والاقتصار على انتقاء

النوادر والنفائس من كتب الجوامع اذا لم يكن فى نقلها غرض آخر ، وتعيين من يقوم بادارتها بعد ذلك من الاكفاء ليظهر العراق فى هذا الأثر الجليل بمظهر الكمال الذى هو مبتغى كل عراقي يحب بلاده ويتمنى لها أسمى مراتب الرقي . اذ المكتبات العامة والمتاحف من أجلى المظاهر التى تبرز فيها مدارك الأمم وأذواقهم وقابلياتهم ، وليس العراق مبتدئاً في مثل هذه المشاريع فقد كانت القرون الوسطى مزدهرة بمكتبات بغداد والبصرة والكوفة ازدهاراً تناقلته تواريخ الأمم شرقا وغربا ، نخص منها بالذكر (مكتبة المستنصرية) التى نقل اليها فى أول يوم من افتتاحها من نفائس الكتب والآثار ما كان محمولاً على مائة وستين جملاً ، وقيل مائتين وستين ، عدا ما نقل اليها بعد ذلك ، وعدا ما احضره رجال الدولة والمتمولون من كتبهم تقربا الى الخليفة .

وكان قد عين (أبو جعفر المستنصر بالله) لاثبات هذه الكتب وتصنيفها وترتيبها على أحسن اسلوب أكبر رجال العلم فى ذلك العصر كالشيخ عبدالعزيز وولده ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب المستنصر بالله التى فى داره ، كما جاء فى تاريخ الامم الشرقية والغربية .

وقد ذكر أحمد رفيق بك في تاريخه العام عند بحثه عن استيلاء التتار على بغداد ان التتار عبروا الى جانب الكرخ على جسر من الكتب ، وقال مراد بك الداغستانى في تاريخه : ان دجلة قد اسود ماؤها لما القي فيها من الكتب ، وأيد هاتين الروايتين عبدالرحمن شرف بك مؤرخ الدولة العثمانية .

وهذه الروايات وغيرها من مثلها ـ مهما حملت على تغلب العاطفة ـ فانها لا تخلو من الاشارة الى كميات من الكتب أدت الكثرة فيها الى حمل المؤرخين على التصوير بتلك المضامين التى يتلقاها نوعا من المبالغة من انقطع نظره عن الماضى ، فالعراق المكلل تاريخه بأسمى المفاخر يعز عليه أن تكون مكتبته الوحيدة فى القرن العشرين أقل شأنا واعتبارا من مكتباته العديدة فى القرن الثانى عشر .

ولا شك ان الوزارة بعدما تحققت من عظمة المشروع ستستدرك الأمر بلفتة الى الماضى ، وعطف على الحاضر ، ونظر بعيد الى المستقبل ، ولا تعرض العمل لنقد الشامتين بنا ، والمشرفين على حركاتنا وسكناتنا ، والله هو الموفق والمعين .

حارث*

---

* جريدة « العالم العربى » العدد ١٣١٣ الصادر فى يوم السبت ٢٣ حزيران ١٩٢٨/٥ محرم ١٣٤٧ .

حول الصيد في الماء العكر

نشر « التقدم »[1] في عدده [٢٥] مقالاً تحت عنوان « الصيد في الماء العكر » استوعب خمسة أعمدة ، بدون أن يثبت صاحبه « المطلع » حقيقة علمية ، أو يستطرد كلمة نافعة ـ ولو في معرض السباب ـ ما عدا التعرض للشخصيات ، وهتك حرمة العلم .. باداء يمجه الذوق ، وتأباه أساليب النشر ، وتنفره آداب اللياقة ... متشبع من روح الغرض الصريح الباعث على الاعتقاد بأن الحزب ومن يستند اليه بريئون منه ، وغافلون عنه ..

اذ لا يعقل ان يصدر المقال بـ « الصيد في الماء العكر » الذى هو كناية عن تشوش الادارة العامة ، والحزب هو الآخذ بناصيتها والقابض على زمامها ..

وينعت أدوار الدولة العراقية بالاهمال ، ولم يتخللها دور غير (تقدمي) .. ويستنكر التستر خلف التواقيع المستعارة ، ويختفي وراءها .. ويجزم بهلاك الأمة اذا لم يعوض بـ (التصوف) عن (علمي النفس وما وراء الطبيعة) ولا ينشلهما من الهلاك بهذا العمل اليسير ، ويشدد النكير على هذين العلمين ، والوزارة هي التي طلبت لهما مدرسا على ألسنة الصحف.. وينوه بتأليف لجنة وزارية لهذا الغرض في عهد الوزارة السعدونية السابقة ، ولا أصل له .. ويصم الشعبة العالية الدينية وطلابها بما لا يليق ، والوزارة الحاضرة عينت (١٧) من مجازيها في هذه السنة الى التدريس في (الكلية الأعظمية) و (الكلية الرحمانية) وثانويات المعارف وغيرها ... ويستهين بعنوانها ويحكم بانها ليست دينية لانه يدرس فيها من العلوم ما يعارض الدين، والنظام الذى بحث عنه هو الذى منحها ذلك العنوان وهو الذى حتم تدريس تلك العلوم .. فضلاً عن تصريح معالي وزير الاوقاف لمحرر

---

(١) جريدة سياسية لسان حال حزب التقدم الذي أسسه المرحوم عبدالمحسن السعدون سنة ١٩٢٥ ، برز عددها الاول في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٦ ، وتوقفت عن الصدور في الثلث الاول من عام ١٩٢٩ ـ عبدالرزاق الحسني .

« العراق »[٢] : (بأن ليس فيها سوى علوم الدين) ، ويقذف الاساتذة بما شاء له الهوى ، وهم من نخبة موظفي الحكومة أو من خيرة العلماء الذين أقرت الوزارة ترشيحهم .

كل اولئك حملنا على الاعتقاد بأن الحزب لا علم له بالمقال .. ولو علم لما سمح ـ على الأقل ـ باهانة موظفي الحكومة التي هي اهانة لها وله ..

ولولا احتمال ذهاب البعض الى ان (المطلع) تهور وتهكم على لسان الحزب لما أعرناه جانبا من الاعتبار ، ولما اخترنا كلفة الرد على مقاله المردود بذاته بما تضمنه من التناقض ، والاختلاف ، والاستشهاد بالمعدوم ، لمجرد الشغب والضجيج ، واحداث الجلبة والضوضاء عن طريق السب ، والشتم ، وانكار الواقع ، وتحريف الكلم ، واثارة العواطف ، والاعتداء على كل من له صلة بالموضوع من اساتذة ، وطلاب ، وكتب ، ونظام ، ومنهاج ، وراتب ، وعلم ، وفن ، وأدب ، وفلسفة ، ومآخذ ، ومرجع ، وعنوان ، وشخص ، وشخصية ، وحق ، وحقيقة ، وغير ذلك مما يمثل حالة عصبية غريبة .

وغاية ما وقع ان صاحب المقال حرم ـ لهذه الحالة وأمثالها ـ من راتب (٢٠٠) ربية لقاء تدريس في الشعبة العالية الدينية ، يوم كانت في نظره روضة من رياض العلم تؤتي اكلها كل حين ، ولما صرف عنها استحقت ان تهدم ، وتغلق وتقبر مصداقا لقوله تعالى : « فان اعطوا منها رضوا وان لم يُعطوا منها اذا هم يسخطون »[٣] .

فأردنا ان نلفت الأنظار الى ما جاء في المقال من عنت ، ولجاجة ، وسقطات علمية يحرم نشرها على الصحف التي تعرف واجبها تجاه الرأي العام ، وبالأخص صحيفة (التقدم) التي أملنا لها موقعا ـ في أداء

---

(٢) من أقدم الصحف العراقية ، صدر عددها الاول في ١ حزيران ١٣/١٩٢٠ رمضان ١٣٣٨ لصاحبها رزوق غنام ، واستمرت على الصدور بانتظام مدة خمس وعشرين سنة .

(٣) التوبة : ٥٨

هذا الواجب ـ يتناسب مع مادتها الغزيرة المستمدة من أهم المصادر العلمية والأدبية والسياسية ، معرضين عن حملات القذع ، والتهكم ، والسباب .. عملاً بقوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين »[٤] .

فهمي المدرس وحياته :

قال « المطلع » عند بحثه عن حياة فهمي المدرس :

« وآخر ما وصل اليه ان صار مديراً لمدرسة ابتدائية تلك هي مدرسة الصنايع » .

والواقع خلاف ذلك .. اذ ليس هذا آخر ما وصل اليه فهمي المدرس بل أول ما ناله كما سيتضح للقارىء النبيه :

وجهت نظارة مدرسة الصنايع الى فهمي المدرس براتب«١٠٠٠»قرش علاوة على مديرية مطبعة الولاية ، وتحرير الجريدة الرسمية فى اللغتين التركية والعربية المخصص لهما «١٥٠٠» قرش ، ما عدا التدريس في المدرسة الاعدادية براتب «٣٥٠» قرشا ، فمجموع راتبه حين كان ناظراً لمدرسة الصنايع «٢٨٥٠» قرشا ، ولم يكن يتقاضى هذا الراتب فى ذلك الوقت مدير دار الفنون لا مدير مدرسة ابتدائية ...

ومن الوظائف التى قام بها فهمي المدرس علاوة على مديرية المطبعة وتحرير الجريدة الرسمية كتابة « قلم المكتوبي » براتب «٦٠٠» قرش مع عضوية مجلس المعارف ، ومجلس اصلاح المدارس الرسمية ببغداد وملحقاتها ..

وقد تناول تدريسه في المدرسة الاعدادية الملكية اللغات الثلاث : العربية ، والتركية ، والفارسية ، وبلغ راتبه فى بغداد فى عهد الحكومة العثمانية المقدار الذى قلما ناله أحدٌ من العراقيين في ذلك العهد..

ولا يستطيع أحد أن يتجاهل المكانة التى كان مغبوطا عليها بين أقرانه وأترابه ...

---

(٤) الاعراف : ١٩٩

ولما سافر مجازاً الى استانبول توكـــل عنه مصطفى فهمي بك ناظر الديون العمومية لادارة المطبعة ومدرسة الصنايع ، ومعـــالي رؤوف بك الجادرجي لتحرير القسم التركي من الجريدة والاستاذ معروف الرصافي لتحرير القسم العربى منها ..

ومن ذلك يفهم أهمية تلك الوظائف وعناية الحكومة بها لا كما أحب أن يصورها « المطلع » .

فهمى المدرس في استانبول :

وبعد أن وصل فهمى المدرس الى استانبول عهد اليه في ١٦ تشـرين الثانى « ٣٢٤ » رومية بتدريس الكتابة التـركية والعـربية في دار الفنون براتب « ٦٠٠ » قرش لقاء ساعتين في الاسبوع ، وليس من السهل تدريس الكتابة التركية فيجامعة تضم بين جوانحها أرقى طبقة من علماء الاتـراك وادبائهـا .

وفي ١ تشرين الثانى « ٣٢٥ » بلغ راتبه « ٢٤٠٠ » قرش لقاء تدريس « حكمة الحقوق الاسلامية » في المدرسة الملكية العالية حين كانت احدى شعب دار الفنون ، ولقاء تدريس « تاريخ الآداب العربية » في شعبة الآداب من دار الفنون . وألف فيهما كتابين حين لم يكن لهما أصل في التركية .

وفي ١ أيلول « ٣٢٦ » بلغ راتبه « ٣٠٠٠ » قـرش ، وفي ١ كانون الثانى « ٣٢٩ » بلغ « ٤٨٠٠ » من تدريس دار الفنون والمدرســة الملكية العالية بعد استقلالها عن دار الفنون . وفي ٢١ تشرين الاول «٣٣٠» بلغ « ٦٦٠٠ » منها « ٣٠٠٠ » من المدرسة الملكية و « ٣٦٠٠ » من دار الفنون . وفي ١٥ أيلول « ٣٣٢ » بلغ « ٧٨٠٠ » منهـــا « ٤٥٠٠ » من دار الفنون و « ٣٠٠٠ » من المدرسة الملكية و « ٣٠٠ » من مدرسة الواعظين العالية .

وفى ١٧ تشـــرين الاول « ٣٣٣ » بلغ « ٨١٠٠ » وذلك بزيـــادة « ٣٠٠ » قـــرش من مدرسة الواعظين ، وفى « ٣٣٤ » بلغ « ١٠١٠٠ » قـــرش .

وقد تناول تدريسه فى دار الفنون أربع شعب : الشعبة الدينية ، والشعبة الادبية ، والشعبة الادارية ، وشعبة الالسنة مدة «١٢» سنة . وفي هذه المدة كان فهمى المدرس من ذوى الرأى فى وضع الكيان العلمى ، وتأسيس تشكيلاته فى السلطنة العثمانية لدار الفنون والمدارس السلطانية وغيرها . وملايمة هذا الوضع لانظمة المعارف والجامعات في الغرب ، وذلك بالاشتراك مع أساطين العلماء من أتراك وفرس وألمان وعرب في مجلس المدرسين وغيره من اللجن والمجالس العلمية .

لم يكن مدرسا فقط :

ومن هذا يظهر ان وظيفته لم تكن مقصورة على التدريسات فقط بل كانت للتدريسات ، وسن المناهج ، واللوائح للتعليم .

فقد اوفدته الحكومة الى سورية لحل المشاكل الحاصلة بين الحكومة وبين المؤسسات العلمية فى دمشق وبيروت ومن ضمنها مدرسة الحقوق والصنايع والكلية الوطنية في بيروت والوقوف على وضع الكلية الامريكانية وسائر الكليات العلمية والدينية غير الاسلامية ، ومدرسة الطب في الشام ، وتدقيق حالة المعارف في القطر السورى بوجه عام ..

واسندت اليه عضوية المجلس المنعقد في دار الفنون والمؤلف منه ومن سليمان أفندى البستانى ناظر النافعة ، وأمر الله أفندى ناظر المعارف ، ونعيم بك بابان استاذ الفلسفة ، وسامى سليمان باشا مدير دار الفنون ، وأحمد أفايف بك استاذ التاريخ ، لحل الاشكال القائم ضد التدريسات في الولايات العربية وانتقاء كتب صالحة من مؤلفات مصر للعلوم التى تدرس في مدارسها السلطانية حين أرادت الحكومة جعل لغة التعليم فيها عربية . وعهد اليه بعضوية اللجنة المؤلفة منه ومن صالح زكى بك مستشار نظارة المعارف ، والشيخ عبدالعزيز شاويش ، ونعيم بك بابان لنقل « مه تود برليج » الى اللغة العربية .

وتقلد عضوية اللجنة المؤلفة لتدقيق منهج التدريسات الابتدائية والسلطانية وانتقاء كتب صالحة لها سنة ٣٣٢ ، و ٣٣٣ ، و ٣٣٤ ، و ٣٣٥ .

ولا يخفى أن هذه الاعمال لا تعهد الى مدير مدرسة ابتدائية كما ذكر « المطلع » . .

في عهد الحكومة العربية :

وفي ١ تموز (٣٣٥) أجاب دعوة الحكومة العربية في الشام ، وغادر استانبول مجازا ـ لمدة ثلاثة أشهر ـ وفي ٢٤ أيلول « ٣٢٥ » سافر الى باريس ضمن الوفد السورى .

وفي ٢١ آب ١٩٢١ ميلادية تقلد رياسة الامناء في البلاط الملكى براتب « ١٥٠٠ » ربية ، وفى ١٣ نيسان ١٩٢٤ ميلادية تعين أمينا لجامعة آل البيت براتب « ٩٠٠ » ربية .

واذا اضيف الى ما تقدم تتبعاته العلمية في فرانسة ، ولوندره ، وأسبانيا ، وايتاليا ، نحو سنتين تبين أن فهمى المدرس لا يستحق الاهانة التى وجهها اليه « المطلع » .

لم نفهم :

وأما الاستدراك بقوله (اللهم الا صيرورته ـ بعد خروجه من منفاه ـ مدرسا للمعانى والبيان في زمن (الاتحاديين) ذلك العمل الذى هو من جملة أعمال اولئك الذين قضوا على الحكومة العثمانية بها) ، فلم نفهم منه العلاقة بين (المعاني والبيان) وبين القضاء على (الحكومة العثمانية) ، وفهمى المدرس لم يدرس (المعانى والبيان) بل « المطلع » هو الذى كان يدرسهما في الجامعة ، فهل صار ـ بعد انفصاله ـ كل علم يتراءى له على شكل « المعانى والبيان » ؟

ثم لنفرض ان فهمى المدرس تعين لتدريس « المعانى والبيان » فى زمن « الاتحاديين » ولنفرض ان « المعانى والبيان » من جملة العوامل

المسؤولة عن القضاء على « الحكومة العثمانية » أو لم يتعين غير فهمي المدرس من رجال الحل والعقد في يومنا لنيابة البرلمان العثماني ، أو لوظيفة أخرى في زمن « اولئك الاتحاديين » ؟! وهل الوظائف العلمية هي التي قضت على الحكومة العثمانية ، أم الاعمال السياسية ؟ وما هي وجهة النظر بين الشعبة الدينية والحكومة العثمانية ، وهل كان البحث عن الجامعة والشعبة الدينية، أم عن الاتحاديين والدولة العثمانية ؟

على أن فهمي المدرس ساقته جمعية الاتحاد في بغداد الى المحكمة « حين جاء لصلة الرحم » على أمر نجا من عقوبته في ذلك الوقت وشاءت الاقدار أن يذوق وبال أمره في هذا العهد بأنواع الاهانات المستمرة التي لا داعي لها سوى نيله الراتب الذي يتناوله في هذا اليوم كثير ممن لم يكونوا شيئا مذكورا يوم كان يتقاضاه وزيادة ..

وكذلك لم نفهم الغرض من الغمز بقوله ـ بعد خروجه من منفاه ـ .. نعم ، نفي المدرس الى (ردوس) بالارادة السنية في ٢٥ تشرين الاول « ٣٢١ » رومية ، بعد أن حجر عليه في داره أربعين يوما ، وسجن في قلعة (ردوس) ثم اطلق سراحه في الجزيرة وعين مديرا لمطبعة الولاية ومحررا لجريدة « جزائر بحر سفيد » الرسمية ، ولكنه في ٩ تشرين الثاني « ٣٢٢ » رومية اعيد بالارادة السنية أيضا الى عين الوظائف التي كانت له في بغداد ، والتي سبق ذكرها . ولم يتعين لتدريس « المعاني والبيان » الذي قضى على (الحكومة العثمانية) ، ولا كان خروجه من منفاه في زمن « الاتحاديين » .

وهل للغمز داع وشكل ذلك النفي وتلك الاعادة يدل دلالة صريحة على أن فهمي المدرس كان من الرجال الذين يعتد بهم ويقام لهم وزن ، والا فما الداعي الى الحجر عليه ، واجلائه الى ما وراء البلاد العربية ، الى جزيرة نائية ، مسجونا في قلعتها المحاطة بأربعة أسوار ، اذا كان مركزه لا يتعدى مديرية مدرسة ابتدائية ؟! ولماذا يكون النفي عزاً لغيره وذلاً له ؟!

الرجم بالغيب

وكما ان « المطلع » غير مطلع على حياة فهمى المدرس فكذلك غير واقف على حياة العلم وسيرها فى (جامعة آل البيت) فضلا عن الجامعات الاخرى ، كما يستبان من استشهاده رجما بالغيب ، ولا يفرق بين (الجامع) و (الجامعة) ، وبين (حكمة التشريع) و (الفلسفة الاسلامية) ومصادر اللغة من مصادر الدين والفلسفة وبين مناهج الجامعات والثانويات .

فقد قال عند بحثه عن النظام الذى وضعته الوزارة العسكرية : « ولكن فهمي المدرس الذى عد هذا العمل ضربة عليه وانتقاصا لمقامه لم يلتفت الى النظام فبدلا من تدريس الفقه الاسلامي المقرر في النظام تدريسه أبقى تدريس مجلة الاحكام العدلية بحجة انها من الفقة » .

والواقع يخالف ذلك ، فالنظام لم ينتقص مقام فهمى المدرس ، بل ايده ، وفهمى المدرس منفذ لاحكام النظام بحروفه ، و (الفقه الاسلامى) لا وجود له في النظام ، وانما المنصوص عليه هو (الفقه الحنفي قسم المعاملات) ، وكون (المجلة) ليست من الفقه فمنطق حديث لا يعرفه الا (المطلع) ولعله لم يطلع على المادة الآتية من النظام :

(يستمر على تدريس الفقه الحنفي ـ قسم المعاملات ـ الى أن تنقل مدرسة الحقوق الى بناية الجامعة ، وعندئذ يرفع هذا الدرس ويذهب طلاب الشعبة العالية الدينية الى مدرسة الحقوق لاستماع المحاضرات في الدرس المذكور) .

وهل يدرس في مدرسة الحقوق من الفقه الحنفى ـ قسم المعاملات ـ سوى المجلة ؟ وكيف غاب عن فكر (المطلع) أنه هو أحد الموقعين على تدريس (المجلة) من الفقه الحنفى ـ قسم المعاملات ـ ؟

ومن الشغب الذى لا وجه ولا اثر له من الصحة قوله :

« وهكذا قل عن بقية الدروس التى لا تجانس بين الشعبة الدينية وبينها فأنه ابقاها أستنادا على قرار لجنة المدرسين ـ على زعمه ـ والكل يعلم ان اللجنة هو فحسب وان ما قرر تدريسه لا علاقة له بالعلوم الدينية ولا تماس له بها » .

كل ذلك لم يقع ، اذ لا يدرس فى الشعبة الا ما هو منصوص عليه في النظام ، وكيف يعقل ان يتفق اساتذة الجامعة وأمينها على نقض أحكام النظام ، وأغلبهم من الحقوقيين ، وبينهم من منفذى القوانين بالفعل ؟! ولا نظن ان (المطلع كان شاعراً بما يقول عندما أسند الى الاساتذة والأمين هذه الخرافة ، التى انتقضت بها دعواه بعدم كفاءة فهمي المدرس ... لأن هيمنته على مجلس المدرسين وتصرفه فيه حسب ارادته والتغلب على القوى مما يجعل فهمى المدرس آفة من الآفات ، لا مدير مدرسة ابتدائية ، فذلك لا يتأتى الا بالمقدرة الخارقة والعلم الغزير المقنع .. ولا ندرى كيف فات « المطلع » هذا التناقض وهو المدرك النقاد ؟!

ولقد تمادت به الحالة العصبية حتى استنكر تدريس «تاريخ الأديان» و « علم النفس » و « علم ما وراء الطبيعة » و « علمي التربية والاجتماع » الداخلين تحت قوله (وأمثال ذلك) ، كما استنكر تدريس «التاريخ العام» وهو غير موجود فى منهاج الشعبة ، وانما الموجـــود من أقسام التاريخ : التمدن الاسلامى ، والعرب قبل الاسلام ، والعراق ، وذلك لعلاقة بينها وبين الدين الاسلامي ، وهو من الموقعين على ضرورة تدريسها .

ومما يدل على عدم تفريق « المطلع » بين « الجامع » و « الجامعة » قوله : « وههنا أريد أن أسأل من حضرة ابن الحارث سؤالاً وهو انه هل يستطيع أن يثبت لي وجود علم النفس وعلم ما وراء الطبيعة في الشعب العالية الدينية ـ أى اللاهوت ـ فى « جوامع الغرب » ؟ لاشك ان الجواب يكون سلباً » .

نعم ان الجواب سلب «!» لأن « الجوامع فى الغرب » انما بنيت لاقامة الصلاة فقط ، ففي باريس جامع ، وفي لندن جامعان وهى خالية من الشعب الدينية ـ أى اللاهوت ـ «!» ..

وازيده علماً بأن « الجامع » في باريس يتصل به مقهى تعزف فيه آلات الطرب بالألحان الشرقية عوضاً عن المدرسة ، أو الشعبة ..

أما اذا كان السؤال عن تدريسها في الشعب الدينية من « جامعات الغرب » فنجيبه بدلاً عن « ابن الحارث » :

بأن العلوم التى تحتمل عليها ونفى علاقتها بالدين تدرس بأجمعها ، فى الشعب الدينية من « جامعات الغرب » لا فى « جوامعه » مع كثير مما لم توفق الى تدريسه جامعة آل البيت ، وان كان فى ريب مما نقول ، فانا نعرض عليه المناهج لئلا يعود الى مثل هذه الزلات التى تكشف عن جهلنا وعدم رشدنا ساعة تهتف الأمة بكفاءتها ، وهو من المتعهدين بالدفاع عنها .

ومما يشعر بتمادى الحالة العصبية قوله : « وطي درس التفسير ، والحديث ، والكلام ، والتصوف » ، لا نرى حاجة الى اثبات وجودها لأنه اعترف بتدريسها في عين المقال بقوله : « والا فان شعبة يقال لها شعبة دينية لا يدرس فيها من الحديث والتفسير والكلام وفلسفة اختلاف المذاهب الا النزر » .

فقد اعترف بتدريسها في هذه العبارة ، ونفى تدريسها فى التى قبلها .. فهل يتردد القارىء بعد هذا التناقض فى ان (المطلع) غير شاعر بما يقول ، أو انه لم يقصد سوى الضجة والشغب ؟!

ومهما كان الشأن فان الحديث والتفسير يدرس منهما فى الاسبوع ثماني ساعات ، ومن (الفلسفة الاسلامية) ثلاث ... و (الكلام) هو (الفلسفة الاسلامية) . و « التصوف » لم ينص على تدريسه النظام الجارى به العمل .

ومما استشهد به رجما بالغيب قوله : « لأن منهج الشعب الدينية فى

أمريقا والمانيا ينفي ذلك » يشير الى علم النفس وعلم ما وراء الطبيعة .. وهذا من الغرابة بمكان ، فرجل يجهل منهاج الشعبة الدينية التى كان مدرسا فيها ، كيف ألقى عصاه فى أمريقا ، واستقر به النوى فى المانيا وتحقق من ذلك النفي ، وهو لم يفارق مسقط رأسه ، ولا يعرف لغة اجنبية .. ؟! ولم يذكر أية جامعة من جامعات « أمريقا » وأية جامعة من جامعات « المانيا » وهى تعد بالعشرات .. كما انه لم يذكر السبب ، وهذا ما يقال له خبط عشواء ..

ومن الأدلة على انه لا يفرق بين مواضيع العلوم ، وانه لم يتثبت من مصادرها قوله على سبيل التهكم : « يذكر طي فلسفة التشريع الاسلامى من الدروس وان السامع أو القارىء لهذه الفقرة يظن ان هناك درسا يقال له فلسفة التشريع الاسلامى حالة انه لا يوجد لهذا أثر لأن ما يسميه ابن الحارث بفلسفة التشريع الاسلامى ما هو الا أبحاث تقتضب من كتاب الملل والنحل وقاموس لسان العرب فليس هناك درس لفلسفة التشريع الاسلامي » .

انا لا ندرى ما قصده « ابن الحارث » لكن النظام نص على تدريس هذا العلم بعنوان « حكمة التشريع » والمعنى واحد .. وموضوعه بيان العلل والاسباب الموجبة للتكاليف الشرعية من عبادات ومعاملات بطريقة تنطبق على النظم الاجتماعية عقلاً ونقلاً ...

وكتاب « الملل والنحل » لا علاقة له بحكمة التشريع ، وانما له بعض العلاقة بالفلسفة الاسلامية كما يفهم من اسمه .. والفلسفة الاسلامية منصوص عليها فى النظام .. و « المطلع » مع انه من الموقعين على ضرورة تدريسها لم يفرق بين حكمة التشريع والفلسفة الاسلامية ، وكما انه التبس عليه الأمر في جعل كتاب « الملل والنحل » مأخذاً لحكمة التشريع فكذلك تورط في جعل « لسان العرب » مصدراً له ، وهو كتاب يبحث عن اللغة

وشيء من تاريخها وفلسفتها ، وبعض قواعدها من نحو وصرف على سبيل الاستطراد ...

* * *

وزيادة للايضاح نقول :-

ان حكمة التشريع تتوقف معرفتها على معرفة النظم الاجتماعية من اقتصادية ، وادارية ، وسياسية ، وصحية ، وتشريعية ، الهية ووضعية ، مع مقارنة الأحكام بالادوار التى قطعها البشر فى حياته منذ تسنى له وضع القوانين والعمل بها الى يومنا هذا ليتثبت ان الاحكام الشرعية تتمشى مع البشر على ممر القرون - مهما تطور - كما نعتقده نحن معاشر المسلمين ، ولذلك يحتم تدريس « علم الاجتماع » فى الشعبة الدينية ، لأن الذى لا يعرف شيئاً عن العلوم الاجتماعية ، لا يستطيع ان يدرك فلسفة التشريع، كما وقع لحضرته وهو من المشرعين .

و « الفلسفة الاسلامية » تبحث عن اختلاف الفرق والمذاهب ؛ اسلامية كانت أو مسيحية أو يهودية ، وعن الاسباب التى أدت الى ذلك الخلاف من سياسة ، أو فلسفة ، أو ترسبات من العقائد الدينية التى تقدمت الاديان السماوية المنتقلة بالارث والرسوخ والاقتباس ، وتتوقف معرفتها على معرفة « علم النفس » وذلك من وجهة تحليل نفسيات المتمذهبين بتلك المذاهب لارجاع كل عنصر الى أصله ، وتتوقف أيضا على معرفة « تاريخ الاديان » الذى ينكشف به سر تمثل العقيدة الدينية فى الفكرة المذهبية ، ولذلك يستحيل العلم بالفلسفة الاسلامية بدون هذين العلمين أى « علم النفس » و « تاريخ الاديان » ... ومن لم يدرسهما لا يتسنى له معرفة نفسه المتأثرة بالاديان من حيث لا يدرى و « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

وأما « علم ما وراء الطبيعة » فهو علم لاهوتي بحت ، لأنه مع اعترافه

بجميع ما اكتشفه العقل من الحقائق العلمية والفنية التى لمســـها الانسان بيده من بين أحشاء الطبيعة يحذر من الوقوف عندها والقطع بها ، لئلا يتورط الانسان فى معرفة الخالق ، ومهما تصرف الانسان فى الطبيعة وهيمن عليها ، فمن مبادىء هذا العلم مواصلة التنقيب فيما وراءها لاعتقاده بأن وراء الطبيعة سراً عن الاله غير ما وصل اليه العلم ، مستدلاً على ذلك بما لايزال يظهر للعيان من أسرار الطبيعة . فهذه العلوم التى يتوقف عليها النفوذ في حقايق الدين ، ولا نقصد به الدين الاسلامي وحده بل جميع الأديان ، لا تستحق استهانة « المطلع » واستخفافه بها من حين لآخر ، وهي كما ذكرنا من العلوم المحتم تدريسها فى الشعب الدينية كافة ، ولم يحرم علماء الدين هذه العلوم ، بل فرضوا معرفة كل علم وفن ـ من دون استثناء ـ لمن يعرض نفسه لتفسير القرآن ، ولكن « المرء عدو لما جهل » .

ثم انه استنتج من بين الاوهام والاغلاط بذلك الضجيج حكما عجيبا فقال : « وهلا يحكم القارىء بعد هذا على صاحب المقال بأنه ممن تهمه منفعة شخصية ولو هلكت الأمة » .

عفا الله عن « التقدم » وغفر « للمطلع » ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، لقد أحوجا راقم الحروف الى ما ينافي الذوق السليم ، من اشغال الصحيفة بالبديهيات والاسراف فى الوقت ، وازعاج الجمهور بمحادثة أبرد من (كانون) ..

فنجيبه مكرهين عن الوهم الغريب ، والغلو البالغ حد النهاية ، والولع بالقذف والسباب :

بأن صاحب المقال ليس هو أمين الجامعة ، وأمين الجامعة هو من خادمي الأمة ، لا من هادمي مجدها ، وليست الشعبة الدينية مدعاة لهلاك الأمة ، ولا الأمة جاهلة عوامل الهلاك ، وكما ان الشعبة لم تكن مهلكة حين كان مدرسا فيها فكذلك لا محل للتخوف منها ، وهى هى ..

وعلق على هذا الحكم العجيب تكليفا خارجا عن صلاحيته ليوهم انه يأمر وينهى على لسان الحزب فقال :

(اذا كان صاحب المقال يريد النفع العام وخدمة الامة فلينفظ يده منها) • يظهر انه رعش واضطرب عندما كتب هذا الاخطار العنيف فرسم النفض بالظاء وهو من الناطقين بالضاد ••

والجواب : لا ينفض أمين الجامعة يده الا اذا شاءت الحكومة ••• لأنها أعرف بمصلحة البلاد وبالخطر الذى يتهددها من دروس علم النفس ، وما وراء الطبيعة ، والاجتماع وتاريخ الأديان المقرر تدريسها من جانبها ، على اقتراح اللجنة الوزارية التى بحث عنها •

الدين النصيحة :

فنصيحتنا له أن يكف عن الازعاج بما لا يزال يردده من (وجود علوم فى المنهاج لا تجانس بينها وبين الدين) ويمسك عن التحامل والثورات على الدين المقصود بهما تجريده عن (المعقول) الأمر الذى ينبذه الدين ، ويستغيث منه المسلمون اليوم وقبل اليوم •

ورجاؤنا من « التقدم » أن يعهد بالمباحث العلمية الى الاختصاصيين العارفين بآداب البحث والمناظرة الذين لا تدفعهم الحفيظة الى الشذوذ ، والتعرض للحيثيات فى مواضيع تتطلب الماماً واحاطة ، لا قذعا وسبابا •

الخـــاتمة :

ولاقناع الرأى العام بأن لا صحة لما بنى عليه « المطلع » ضجيجه وثورته القلمية ننشر المنهاج الذى وضعته الوزارة العسكرية الأخيرة عـلى اقتراح اللجنة الوزارية التى اعتمد على كفاءتها كما اعتمدنا ولا نزال نقر بفضلها : (المادة السادسة ـ تدرس في الشعبة العالية الدينية العلوم والفنون الآتية : التفسير ، الحديث ، الفقه الحنفي ـ قسم المعـاملات ـ الوصايـا والمناكحات ، اصول الفقه السني ، أصول الفـقه الجعفرى ، الفلســـفة

الاسلامية ، حكمة التشريع ، تاريخ الأديان ، علم النفس وعلم ماوراء الطبيعة ، علم الاجتماع والتربية ، الخطابة والمحاضرات ، تاريخ الآداب العربية ، تاريخ التمدن الاسلامى ، والعرب قبل الاسلام ، والعراق ، أحكام الاوقاف وأصول ادارتها ، الفرائض) .

وقد استخرجناه من النسخ المطبوعة المنتشرة سنة ١٩٢٧ .

الاصلاح الحقيقى :

وبهذه المناسبة نلفت نظر « المطلع » الى ان هذا المنهاج لم يستكمل المادة العلمية التى تلتزمها الشعب الدينية فى مناهجها من الجامعات الاخرى كجامعة استانبول وغيرها ، وينقصه العلوم الآتية : تاريخ الفقه ، تاريخ الحديث ، تاريخ التفسير ، تاريخ المذاهب ، تاريخ اديان العرب ، تاريخ الفلسفة ، روح الاجتماع وفلسفة الاديان .

والسبب فى تمادى ذلك النقص فقدان من يقوم بتدريسها فى العراق وان استدعاء اختصاصيين لها من الخارج يتطلب نفقة زائدة . فبدلا من أن يهدم الشعبة الدينية ، ويغلق بابها ويقبرها لو نادى بالاصلاح من ناحية الاكمال لا من وجهة الحذف والهدم ، وسعى لدى اللجنة المالية ـ وهو من ذوى النفوذ على ما يظهر من مقاله ـ وراء تزييد نفقتها التى لا تتجاوز ـ على ما بلغنا ـ (٥٠) ألف ربية ليتسنى لها تحقيق هذه العلوم وتأسيس مكتبة ـ حرمت منها الجامعة منذ بداية تأسيسها ـ وتزييد رواتب الطلاب ، واحداث شعبة الآداب ، وتزييد مدة التعليم ـ اذ لا يصح قصر التعليم العالي على ثلاث سنوات اذا كان التعليم الثانوى لا يتجاوز الاربع ـ وتزييد ساعات بعض العلوم كعلم التربية وما وراء الطبيعة وعلم النفس وتأثيث بهو المحاضرات الذى لا يوجد فيه كرسى واحد منذ تأسست الجامعة ، وغير ذلك مما لا يتسع له نطاق الثقافة التي لا تتم للعراق نهضته العلمية الا بها ، لظهر بمظهر العلماء العصريين ودعاة الاصلاح الحقيقيين الذين يلتفتون

يمينا وشمالا ، واذا بدت له علائم الفوز فى سعيه وكان فهمي المدرس « حجر عثرة فى سبيل هذا الاصلاح » ـ كما نم عنه المقال ـ فاننا نتعهد لحضرة « المطلع » الحصيف بازالة وجوده بدون ضجيج وهياج وبدون ثورة قلمية و « الله على ما نقول وكيل »[٥] « ولا ينبؤك مثل خبير »[٦] .

خبير*

---

(٥) يوسف : ٦٦

(٦) فاطر : ١٤

* جريدة « العراق » العدد ٢٦٤٧ الصادر يوم الجمعة ٢٨ كانون الاول ١٩٢٨م الموافق ١٤ رجب سنة ١٣٤٧هـ

حرية النشر ومقال (المطلع)

ليست الغاية من (حرية النشر) تجريد الأقلام على الحق والحقيقة ، ومسايرة الأغراض والأهواء ، ورفع الصوت بالقذع والسباب ، وشن الغارات على الأحياء والأموات .

وانما الغاية منها نشر الفضيلة ، وبث الحقيقة ، والدلالة على خير المجتمع وصلاحه ...

ولذلك يُشترط على من يتعهدها ما يُشترط على المعلم والمؤدب من العلم ، والمقدرة ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، والمزايا السامية التى تكون من مواهبه قابلية وزن الكلمة بميزان العقل والحكمة . وتقيدت الصحف بالمدير المسؤول ، والتزمت ادارتها باللجان الاختصاصية المسؤولة ، ونيط أمرها بمدير المطبوعات ، ووضعت نظمها على أساس المصلحة العامة ، ومحاسبة نفسها بنفسها ، ومراقبة بعضها بعضا ، لئلا ينكشف من المجتمع ما يشوه مظهرا من مظاهره التي تمثلها هي أولا وبالذات ، لأن (الصحيفة) لا تعبر عن الفرد ، وانما تعبر عن المجتمع وعقليته ونفسيته .

ولولا هذه الملاحظات الدقيقة لما أصبحت (الصحافة) من أصعب المهن وأدقها ، وأجلها شأنا ، وأعظمها تبعة ، لا يتناولها الا الاساطين من الساسة ، والعلماء ، والمفكرين ، وهم فى كل قطر من الاقطار المتمدنة أفذاذ قليلون ، ولما انتظمت في سلسلة المواد الحيوية ، حتى صار الفرد يفتقر اليها كما يفتقر الى الطعام والشراب ، ويحرص عليها كما يحرص على أنفاس الحياة ، ويغار عليها كما يغار على المحارم والمقدسات .

فالغاية من (حرية النشر) تمثيل المجتمع بما يتجمل بين الأمم من المظاهر العلمية والأدبية والسياسية وغيرها مما تمتاز به حياة الانسان في القرن العشرين .

فأيما بلد حللت من البلاد الحرة مثلت لك (الصحف) حياة الوسط بما تنطوى عليه من جمال الحضارة وجلالها •

وما من محل الا و (الصحف) أول زينة يقع النظر عليها من بين الزخارف والمستظرفات ، وانى التفت رأيت صحفا منتشرة ، وصحفا مرفوعة فى الغـــداة والعشى ، وآناء الليل ، وأطراف النهار ، والمجتمع بأسره من الملك ورئيس الجمهورية الى العامل والصانع والخادم ، الى البائس والمعتر ، كل اولئك من حملتها والذابين عن كيانها •

فكأنما (الصحافة) ـ في هذا العصر ـ صفوة ما فى الحياة من نعيم ، وسعادة ، وعظمة ، وكبرياء ، ولذلك لقبوها بـ (صاحبة الجلالة) •

المقارنة :

هذه نبذة من حياة (الصحف) فى البلاد الحرة عرضناها للمقارنة بينها وبين المقالين المنشورين فى صحيفة « التقدم » عدد (٢٥) وفـي صحيفة (العراق) عدد (٢٦٦٢) بتوقيع (مطلع) فى الاولى و (المطلع) في الثانية ، عملا (بحرية النشر) التى فسرها صاحب المقالين كما شاء •

الأدب والاستهتار :

يذكر القراء جوابنا الذى لم نتعد فيه حـــدود البحث والمناظرة ، والدفاع عن الحقيقة بما يناسب المقام ، ويليق بآداب (الصحـــافة) ، ويذكرون مقاله المعنون (الصيد فى الماء العكر) الذى ملأ خمسة أعمدة من (التقدم) بعبارات جوفاء ، يستنكرها الأدب ، وينفرها الذوق السليم ، ولو لم يكن فيه سوى العنوان لكفى للتدليل على حقيقة الكاتب ، ونفسية المقـــال •

وكنا نحسب ان قد خفت ضغينته ، وهدأ روعه ، واذا به يذيع فى صحيفة (العراق) مقالا أوسع تجـاوزا للحـــدود من الأول ، لحمته الاستهتار ، وسداه التحرش بكرامة الأحياء والأموات ، والسخرية من الرأى العام ، وقلة الرعاية لما تفرضه الآداب العمومية على الكتّاب الذين

يريـدون التحدث الى الناس فى مباحث الاصـلاح ، والعـلم والفلسفة والدين .

على ان القارىء لا يجد لهذه العناصر مفهوما فى ذلك المقال غـير الاستطراد بها الى القذف والسباب .

نحن نعلم ان سهم المغرض قد يطيش به الى ما وراء حدود العقل ، والمنطق ، ما لم يكن من الطبقة التى يتقحم على مقاعدها (صاحب المقال) وفى موقف غير موقف (الصحافة) .

* * *

المنـكرات :

فمما جاء فيه من المنكرات قوله : « قد سألت أحـد طلبة المدرسـة الملكية العالية فى ذلك الوقت ومن كبار موظفي حكومتنا اليوم عن مدرس حكمة الحقوق الاسلامية فى المدرسة المذكورة فى التاريخ المذكور ، فقال هو رجل من علماء الأتراك الذين يلبسون العمائم واسمه محمد فهمي أفندى وهو مفتي استانبول حالا ، فقلت له ان فهمي المدرس يزعم انـه مدرس هـذا الفن فى ذلـك الوقت فقال ربمـا كان ذلك فى عالم الخيال والاشباح ـ (كذا) ـ لا فى هذا العالم ، وحسبك بالرجل المسؤول أمانة وصدقا لا يرتاب فى صدقه أحد ، واذا تحقق الكذب فى بعض ما ادعاه ونسبه الى نفسه زال الاعتماد والتعويل على كل ما جاء به » .

وعلى أثر هذه (الرواية) التى تبرع باذاعتها على الرأى العام بدون أن يحسب لها حسابا ، سئل فهمي أفندى مفتي استانبول أن يبين الحقيقة فأجاب بالبرقية الآتية :

بغداد ده مدرس زاده فهمي أفندي يه

« ملكيه ده (حكمت حقوق اسلاميه) تدريسكزه شهادتم مكتب قديله ثابتدر » .

١٨ كانون ثانى ١٩٢٩ استانبول مفتيسي

فهمي

تعريبها :

الى فهمي أفندى آل المدرس فى بغداد

« ان شهادتى لكم بتدريسكم (حكمة الحقوق الاسلامية) فى الملكية ثابتة بقيود المدرسة » .

١٨ كانون الثانى ١٩٢٩ مفتي استانبول

فهمي

فمن هذه البرقية ومن قياسه المتقدم أفلا يحكم القراء بأن (المطلع) قد حكم على نفسه بنفسه بما قاله فى الفقرة السالفة من « الرواية » ؟

وفى هذا الموقف أراني مضطرا الى أن أسأل عن «الحصانة النيابية» هل تتناول هتك الحرمات بمثل ما جاء فى تلك الرواية ؟

التطفل :

وقد تطفل سائلا :

« فهلا صرح بسبب نفيه وان كان معروفا عند المطلعين زمن المرحوم السلطان عبدالحميد حتى يبين الناس حكمهم له كما انه يزيل بعض ما علق في الأذهان عنه » .

أى أذهان ، وأى ناس ، ومن هم «المطلعون» ؟ أمنهم بطل (الرواية) ذلك « الموظف الكبير فى الحكومة العراقية » أم «بطل الفتنة» ، أم هنالك « عصابة » تحاسب على ما حدث فى زمن المرحـــوم « عبدالحميد » ؟! وقد طويت تلك الدفاتر ، وقلب الدهر ظهر المجن له ، ولعقبه ، ولآل عثمان ، وتغيرت البـلاد ومن عليها ، وانتهى الأمر فى البـلاد التركية والعربية الى الشكل الحاضر من الحكم ؟!

وقد بينا فى مقالنا السابق ان نتائج تلك الحادثة آلت الى نقل الوظيفة من بغداد الى « ردوس » ، وختمت بالمساعدة على العود الى « بغداد » بناء على نتيجة التحقيق الذى قامت به اللجنة الموفدة من «المابين» لهذا الغرض ، وعوقب الواشون عقابا صارما كما عرفه التاريخ .

وليست هذه الحادثة هي الاولى من نوعها ، وما له والأمور التى لا تصل اليها مداركه ، ولا يبلغها علمه ؟!

وانا لنعجب من الكاتب كيف يستطرق المواضيع بلا علم ، ولا هدى، ولا كتاب منير ، فى صدد البحث عن القضايا العلمية ، فيتنكب بذلك محجة التحقيق موهما نفسه ومضلا غيره .

ولكي نفند مزاعمه ننشر نص الارادتين الصادرتين بالنقل الى « ردوس » وبالمساعدة على العود الى « بغداد » وتوجيه الوظائف التى كان يتقلدها « فهمي المدرس » قبل النقل الى عهدته ، على ان العادة جرت فى ذلك العهد ان يكون التقليد فى مثلها من مقام الولاية ، لا بالارادة السنية ، فصدور الارادة بذلك دليل واضح على العناية والتلطيف اللذين لم يتاحا لغيره ولا يسعهما مدرك صاحب المقال .

نص الارادة الصادرة بالنقل :

بغداد ولايتي :

« مطبعة مديرى فهمي افندينك ردوســـه نقلي شر فصادر أولان ارادهء سنيهء حضرت خلا قبنا هي اقتضاى عاليسفد ندر » .

٢٥ تشرين أول ٣٢١

مطبعهء ولايت مديرى سابق مكرمتلو فهمي أفندىيه

٩٤٧ مكرمتلو أفندي

« مقام سامىء صدار تبنا هيدن شرفوارد أولان ٢٥ تشرين أول ٣٢١ تاريخلي تلغرافنامهء سامي صورتي بالايه نقلا تبليغ اولنور » .

٢٧ تشرين أول ٣٢١ بغداد واليسي نامنه

محمد طاهر

التعريب :

ولاية بغداد :

« صدرت الارادة السنية بالشرف من لـدن حضرة ملاذ الخـلافة (بنقل) فهمي أفندى مدير المطبعة الى ردوس » .

الى صاحب المكرمة فهمي أفندى مدير مطبعة الولاية السابق
صاحب المكرمة الافندى

« نبلغكم صورة البرقية السامية المؤرخة ٢٥ تشرين الاول ٣٢١ الواردة بالشرف من مقام ملاذ الصدارة السامي المنقولة أعلاه » •

٢٧ تشرين الاول ٣٢١ باسم والي بغداد
محمد طاهر

نص الارادة الناطقة بالعود :

جزائر بحر سفيد ولايتي

« ولايت مطبعة مديري فهمي افنديك بغداده عودتنه مساعده اعطا سيله برابر اولجه بولنديغى بغداد مكتب صنايع نظارتى ايله‌مطبعهء ولايت مدير لكنك ينه عهد سنه توجيهي شر فصدور بيوريلان ارادهء سنيهء جناب خلافتپناهي ايجاب عاليسندن بولنديغي باتذكرهء ساميه تبليغ اولنمسي ايله كيفيت بغداد ولايتنه بيلديرلدى • بر منطوق امرو فرمان همايون جناب ملوكانه اجراى ايجابي با بنده » •

٩ تشرين ثانى ٣٢٢

نومرو ٧٣

ولايت مطبعه مديرى فضيلتلو فهمي أفندى يه
فضيلتلو أفندى

داخلية نظارت جليله سندن شرفوارد أولان تلغرافنامه صورتى بالايه نقلاً تبليغ اولنور •

١٥ تشرين ثانى ٣٢٢ والي
ناظم بن حسن تحسين

التعريب :

ولاية جزائر بحر سفيد

بلغت التذكرة السامية ان قد صدرت الارادة السنية بالشرف من لدن حضرة ملاذ الخلافة بان يمنح فهمي افندى مدير مطبعة الولاية

(المساعدة) على العود الى بغداد • وان توجه لعهدته كما فى السابق نظارة مدرسة الصنايع مع مديرية مطبعة الولاية ، وقد بلغت ولاية بغداد بذلك ، فالمرجو العمل بموجب الأمر الملكي ومنطوق الارادة السنية •

الى صاحب الفضيلة فهمي افندى مدير مطبعة الولاية

رقم ٧٣

صاحب الفضيلة الأفندى

نبلغكم صورة البرقية الواردة بالشرف من نظارة الداخلية الجليلة المنقولة أعلاه •

١٥ تشرين الثانى ٣٢٢ الوالي

ناظم بن حسن تحسين

والواقفون على أساليب السياسة الادارية يعلمون ان المبعد لا يبلغ الارادة السنية الصادرة بتبعيده بكتاب من مقام الولاية ، وان المجرم السياسى لا يطلق سراحه (بالمساعدة) بل (بالعفو) •

فمن هذا النمط ، ومن اسلوب الارادتين ، ألا يستدل على ان الحادثة جاءت بطريقة تجعل للمبعد ميزة ومكانة ؟!

وفوق ذلك فقد كوفىء فهمي المدرس بتوجيه رتبة علمية له وهو فى (ردوس) مديرا للمطبعة فى ولاية (جزاير بحر سفيد) ، كما تشهد به مراسلة باب المشيخة المرقمة بعدد (١١٤) والمؤرخة فى ١١ حزيران ١٣٢٢ •

تجاوز حد الأدب :

ومما تجاوز حد الادب فيه قوله : (ذكر من جملة وظائفه فى عهد الحكومة العربية رئاسة الامناء في البلاط الملكي التى لم يحافظ عليها ولم يمكث فيها الا أشهرا فأخرج منها مما يدل على قلة عقله وتدبيره وضعف بصيرته ، والا فهل يتصور أحد ان جلالة سيدنا المعظم يخرجه من البلاط بدون سبب مبرر يوجب اخراجه) •

فهل من منطق الصدق ان يعبر عن الحول الكامل بالاشهر ، وان يتجاوز حد الادب الى التحرش بشؤون (البلاط الملكي) التى لا ينفذ فى دقايقها الا ذوو الشأن منها ؟!

أمن الحصـــــانة ؟ :

وأظرف من كل ما تقدم قول الكاتب النزيه ، استاذ البلاغة : (انه سوف يرى من هو فهمي المدرس ومن أبوه وجده) الى آخر ما هنالك مما هو معروف فى لغة (محلات) العوام ، فهل جعلت (الحصانة النيابية) لحماية هذا النوع من الأدب ؟ أم من الفضائل الخلقية التى يأمرنا بهـا الدين مس كرامة الأموات ، وازعاج أرواحهم المطمئنة الثاوية فى جوار الله ، المنقطعة عن هذا العالم ، التى لا تنتظـر من الاحيـاء غير التـرحم والدعاء ؟!

أما أسلاف (فهمي المدرس) فتلك مراقدهم فى (المدرسة السليمانية) في غرفة مشرفة على الطريق ، لهم شأنهم ، وعلومهم وتاريخهم ، يعرفهـم فضلاء البلاد والفضل يعرفه من الناس ذووه .

وسجلات الأوقاف أصدق شاهد ، وحـكم القضاة أقوم حجـة ، والوثائق الرسمية العديدة من مقام المشيخة الاسلامية ، وغيره من المراجع العليا ، وشهادة الشعب بمضابط التوجيه التى يرجع تاريخها الى عهد بعيد لا تبقي لغامز مغمزا .

وما كانت العظام البالية موضوع البحث ، ولا الفخر بالانسان ، ولكن ، (فضح التطبع شيمة المطبوع) .

المغالطـــات :

ومن روائع مغالطات ، أو أغلاط علامة البيان الموزون قوله :

(من هو ذلك المدرس أو الصابوني – على ما هو معروف – الذى ينتسب اليه) . على رسلك يا نسابة العرب ، فان (آل الصابونى) المعلومة وجاهتهم ، ومنزلتهم هم قرابة (آل المدرس) وهم من أعرق أشراف

العراق كما يعرفهم بذلك الاصلاء من أصحاب البيوتات الشريفة حقا .

المنطق الغريب :

ومن المنطق الغريب قوله : (قد عرضت مقالك مع مقال مطلع على جماعة من أهل الانصاف محايدين للحكم على أحد الرجلين بالظلم فأبوا أن يحكموا بشيء وأحالوني الى رجل معروف بالصدق والمعرفة بالرجل وأحوالهم السابقة واللاحقة وهو سالم أفندي آل محمد أغا فلم أوفق لسوء الحظ لملاقاته وتحكيمه) .

فقد أدلى بحجتين منفيتين ، معللة ثانيتهما بعلة منفية مثلها ، فالأولى قوله (فأبوا) والثانية (فلم أوفق) والعلة المنفية هى (لسوء الحظ) .

أما نحن فنوافقه على سوء حظه فقط ، لأنه لو توفق لخرج سالما .

استنكار الظرافة :

ينتقدنا (المطلع) الأديب ، ويقذفنا (بالظرافة) ، اذ يظنها مثلبة ، كما جاء في قوله : (أظنك تريد ان يقال حقيقة ان الاستاذ أريحي ظريف ، كما هي عادتك من استعمال أمثال هذا ليضمك الناس ويقولوا انه اريحي ظريف ، أليس كذلك يا استاذ ؟) .

لا ندرى ماذا يريد ، أيريد منا أن نستنكر الظرافة ، ونستظرف السخافة ؟ والظرافة أجمل ما يقتطف من زهر الآداب ، وأعبق نفحة يضوع بها أريج البديع .. ؟! واذا كان من الكلام ما يجر الى النكتة والظرافة ، أمن البيان أن يهمل اللبيب الظريف ؟

وهل القذف والسباب والبذاء ،والخشونة أحلى وأنسب من (الظرافة) يا أهل الذوق السليم ؟!

الحمى العصبية :

أما قوله : « يدعي انه كان مدرسا في المدرسة الاعدادية وعضوا فى مجلس اصلاح المدارس ومجلس المعارف فهل ذكر سبب فصله عن ذلك الدرس الذى يدعيه ومن أين كان مجلس اصلاح المدارس اذ ذاك » .

فلست أحسبه الا نوبة عصبية شديدة عرته حين الكتابة ، والا فليس من المعقول التهجم على انكار الحقائق المدونة فى السجلات ..

فان مجلس اصـــلاح المدارس الذى يتناول تأسيس ما تدعو اليه الحاجة من المدارس فى مركز الولاية وملحقاتها تألف تحت رياسة ناظم باشا رئيس لجنة اصلاحات الخطة العراقية ، وتاريخ توجيه العضويـة المذكورة الى فهمي المدرس ٢٣ شباط ٣٢٣ رومية كما تشهد به الوثيقة ، وذلك قبل ان يكون (المطلع) شيئا مذكورا ..

وأما عضوية مجلس المعارف والتدريس الذى طعن فيه فتدحض قوله مضبطة مجلس المعارف المصدقة من مجلس ادارة الولاية فى ١٥ مارت ٣٢١ .

وها هى :

نومرو ١٢٨

ولايت معارف مجلسي أعضا سندن مدرس‌زاده فضيلتلو محمـد فهمي أفندنيك مربوط خدمت جدولى موجبنجه مكتب اعدادىء ملكينك عربى وتركي معلملكيله فارسي معلملكي وكالتندن آلديغى معاشـــاتدن يوزده بش ويوزده برتو قيفاتنى كاملا تأديه اتيديكى وكرك معلملكردن كرك أعضا لقدن مكتب وادارهء معارفجه بركونه ذمت وايليشكي اولديغي كبى تدريسا تندن وحسن اخلاق ومعاملاتندن حداً مستفيد أولان عموم طلبه‌دن وممنون قالان هيئت تعليميه دن ذات أقدس حضرت خلافتبنا هي يه دعوات خيريه‌يي استجلابه وأعضاء لقده دخي رضاى عالى يه موافق خدمات حسنه‌يي ايفايه موفق اولمش اولديغي جهتله مومى اليهك حسن حال وبرائتني متضمن اشبو مضبطه بالتنظيم اعطا قلندى .

٣ أيلول ٣٢٠

تصديق مجلس ادارة الولاية :

ولايت معارف مجلسي أعضا لغنده ومكتب اعدادىء ملكينك عربى وتركي وفارسي معلملكنده بولنمش أولان مدرس زاده مكرمتلو فهمي

أفندنيك مربوط خدمت جدولي موجبنجه مدت استخدامنده اداره‌ء معارفجه بركونه ذمت وايلشكي اولماديغي وايفاى حسن وظيفه ايلديكى معارف مجلسنك بالاده‌كي مضبطه‌سي مفادندن اكلا شلمغله اشبو مضبطه ذيلا تنظيم واعطا قلندى •

١٢ مارت ٣٢١

التعريب :

مضبطه مجلس المعارف :

ان صاحب الفضيلة محمد فهمي أفندى آل المدرس العضو فى مجلس معارف الولاية أدى توقيفات التقاعد من الخمسة بالمائة والواحد بالمائة مما تقاضاه من الرواتب لقاء تدريسه العربية والتركية والفارسية في المدرسة الاعدادية الملكية كما ينطق جدول الخدمة المربوط ، وليس فى ذمته شيء لادارتي المعارف والمدرسة لا من العضوية المذكورة ولا من التدريس ، وقد استجلب دعاء الخير لحضرة ملاذ الخلافة المقدس من عامة الطلاب الذين استفادوا من تدريساته ومن أخلاقه الحسنة فائدة تامة، وكذلك من هيأة التعليم الذين تركهم وهم راضون عنه •

وقد وفق في « عضوية المعارف » لأداء الخدمات الحسنة طبقا للرضاء العالى ، ولذلك اعطي هذه المضبطة الناطقة بحسن حاله وبراءة ذمته من توقيفات التقاعد •

٣ أيلول ٣٢٠

تصديق مجلس ادارة الولاية :

يُستبان من مضبطة مجلس المعارف ان صاحب المكرمة محمد فهمي أفندى آل المدرس العضو فى مجلس معارف الولاية ومدرس العربية والتركية والفارسية في المدرسة الاعدادية ليس فى ذمته شيء لادارة المعارف عن زمن خدماته الناطق بها الجدول المربوط ، وانه ادى الوظيفة على أحسن ما يرام •

ولذا اعطي هذه المضبطة ١٢ مارت ٣٢١

الغرض مرض :

ومما جاء في المقال من تشويه الحقائق قوله : « يدعي ان تدريس علوم : النفس ، والاجتماع ، والتربية ، وما وراء الطبيعة أمر لازب ، ويدعي باننا لم نفارق مسقط رأسنا ولم نعرف لغة أجنبية ، ونحن نوافقه على ذلك اذاً من الذى هو أهل لتدريسها على رأيه أهو ؟ اننا ننكر تدريس هذه العلوم فى شعبة الهية » .

يذكر القراء ان البحث فى المقال السابق لم يدر حول التنقيب عمن يقوم بتدريس هذه العلوم ، بل كان حول القول بمعارضتها للدين ، كما صرح به الآن ، وكنا قد أوضحنا المطلب فى الجواب الاول بما يستحقه من التعليل والتحليل ، وأثبتنا عدم معارضتها للدين ، بل هى منه واليه .. على ان هذه العلوم لها أساتذة قائمون بتدريسها ..

وغريب أمر هذا الرجل .. فلما كان يرتزق من « الجامعة » كان فى نظره كل شىء موافقا للدين ، ولما انسلخ عنها صار كل شىء مخالفا له وللدين ، فما لهذا الدين المطاط ؟ ينبسط وينقبض ، ويتمدد وينكمش طوع يمينه ... فاذا قبض انبسط الدين ، واذا منع انقبض الدين ..

اللطائف العلمية :

أما اللطيفة العلمية التى نفكه بحديثها القراء فهي قوله : « ولاظهار جهله نقول ان جامعة تجمع على جوامع وجامعات ، كفاطمة وعاصمة فانهما يجمعان على فواطم وفاطمات وعواصم وعاصمات سماعا وقياسا ، وهذا غير خاف على تلامذة المدارس الابتدائية ، فمن هو الجاهل يا نحرير » .

فهل للقياس وجه فى هذا التمثيل ؟ وان الجامعة من المصطلحات العلمية الحديثة ، والجامع من المصطلحات الدينية ، ودفعا للالتباس جمعت « الجامعة » على « جامعات » واستقل « الجامع » بجمعه على « جوامع » ..

ومن المعلوم ان الاصطلاح فى الوضع يصير لغة فلا يجوز العدول عنه ، والا لانهدمت جميع المصطلحات العلمية ..!

ومنها قوله : « أعجب من انكاره على المطلع تسمية الفقه الحنفي بالفقه الاسلامى ، فهل الفقه الحنفي ليس من الفقه الاسلامى ؟ هذه فلسفة وعلم لم يحط بهما الا الاستاذ ، اليس كذلك » .

لا محل للعجب ، فقد فات رجب ، فان الفقه الاسلامى يشمل المذاهب عامة ، والفقه الحنفى خاص بمذهب الحنفية ، والنظام خصص ولم يعمم ..

لا يفيد :

أما مباحث الفلسفة والمناهج فلست أظنني قادرا على تفهيمه اياها ، لأن ذلك يحتاج الى درس ، فقد قال بشأنها ، بعدما قلنا كلمتنا في الموضوع وأشبعنا البيان حقه : (يغالط ويموه على الذين لا يعرفونه فينسب عدم تفريق المطلع بين حكمة التشريع والفلسفة الاسلامية ، ولكنه هو بنفسه يقول معترفا « ولكن النظام نص على تدريس هذه العلوم بعنوان حكمة التشريع والمعنى واحد » ، وأظنه يريد ان يقول ان الأبحاث المقتضبة من كتاب الملل والنحل ولسان العرب هى ابحاث كتبت باسم الفلسفة الاسلامية لا باسم حكمة التشريع ، والحال ان هذه الأبحاث سواء جعلت تحت عنوان الفلسفة الاسلامية أو حكمة التشريع تثبت مدعى المطلع وتبرهن عليه) .

والقراء يتذكرون أن الرجل التبس عليه الأمر في مقاله الأول ، فظن ان « الفلسفة الاسلامية » هى « فلسفة التشريع » فأفهمناه ان هذين العلمين يختلفان باعتبار الموضوع .. فالمقصود من « الفلسفة الاسلامية » فلسفة العقائد والمذاهب ، والمراد من « فلسفة التشريع » العلم الذى يبحث عن الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات مع بيان الاسباب الموجبة لها حسبما تقتضيه الغرائز الاجتماعية ، و « حكمة التشريع » و « فلسفة التشريع » ـ كما قلنا ـ بمعنى واحد ولكن النظام اختار العنوان الاول ، وأطنبنا فى الايضاح حتى أزعجنا القراء .. كما قد أوضح له ذلك عدة مرات لما كان مدرسا فى « الجامعة » ووقع على ضرورة تدريسها ..

وكذلك كان قد تورط في مآخذ العلوم ، فظن ان كتاب « الملل والنحل » و « لسان العرب » مأخذان « لفلسفة التشريع » فبينا له ألا علاقة بين « فلسفة التشريع » وهذين المأخذين ، لأن الاول قد يوجد فيه شيء مما يناسب « الفلسفة الاسلامية » أي فلسفة المذاهب ، لا « فلسفة التشريع » و « لسان العرب » قاموس لا غير .

وأظنه تناسى ذلك ، فاخذ يخبط في الموضوع خبط عشواء ..

بيت القصيد :

وبعد رحلة طويلة المدى تخلص الى بيت القصيد ، فقال : (أما كون المجلة من الفقه الحنفي فذاك أمر معروف ولكنها ليست هي الفقه الحنفي ـ قسم المعاملات ، ولا يقول ذلك الا جاهل أو مموه مغالط ، لأن الفقه الحنفي ـ قسم المعاملات هو الاحكام المختصة بالمعاملات واسباب تلك الاحكام وعللها ومآخذها من قرآن وحديث واجماع وقياس وكيفية أخذها والخلاف بين المذاهب وأئمة المذهب ومنشأ ذلك) .

أين كانت هذه التعليلات والايضاحات لما كان في « الجامعة » وهو من جملة الراضين بتدريسها فهل هذه القذائف موجهة الا اليه ، حقا انها لسجية شجبية ، فلما كان له نصيب من « الجامعة » كانت « المجلة » من « الفقه الحنفي ـ قسم المعاملات » ولما حرم منها تبدل موضوع المجلة .

ومن يراجع مقدمة المجلة وشروح المجلة التركية والعربية ، وبالأخص (مرآت المجلة) ، يظهر له جليا ان المواد مستنبطة من كتب الفقه الحنفي ومطابقة للمآخذ الاربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

الايهام :

ومما صار يوهم به العوام ـ بعد انقطاع نسبته من الجامعة ـ قوله عن التفسير والحديث : « لأن تدريسهما في هذه اذا دام في الصفوف

الأربعة ـ وهى مدة التعليم ـ لا يتجاوز مائة واثني عشـــر درسا وهى بضاعة لا يحق للمشتغل بهذين العلمين ادعاء معرفته بهما .. الخ » .

الكلمة الأخيرة :

ان تحصيل العلم فى الجامعات ليس باحصاء الدروس ، وعدد الساعات ، بل بطرائق المحاضرات وأســـاليب التفكير والبحث ، فقد يغني الدرس الواحد من العـالم المثقف المختص عـن المئات من الدروس التي ألفهـــا « المطلع » وبهذا الاعتبار يكون حسابه ، وضربه لأخماسه فى اسداسه غير صحيح .

وليس المراد من الشعب الدينية فى الجامعات تكوين اختصاصيين فى كل علم وفن ، كباقى الشعب ، بل ايجاد ثقافة علمية من مجموع العلوم المقررة فى المنهاج يمتزج فيها العلم ، والفن ، والفلسفة ، والدين أمتزاجا تنكشف من بينها العقلية الاجتماعية المهذبة المطابقة لروح العصر .

والشعب الدينية من « الجامعات » لها مناهج تمحصـت على أيدى القرون ، وجامعة آل البيت سائرة على تلك المناهج ، « ولا تقف ما ليس لك به علم .. »[1] .

الخـاتمـــة :

القراء يعلمون ان هذا « المطلع » فصل من تدريس « الجامعة » قبل سنتين وعين للوظيفة كفؤهـا ، فلمـا يئس أخذ يريش سهامه ، ويصـب مطاعنه على الجامعة ، وأمينها ، وأساتذتها ، وطلابها وعلى الآباء والأجداد والاحساب والأنساب ، والأحياء والأموات ، وعلى العلوم ، والمنهـاج ، والنظام ، والنفقة ، والادارة ، والدروس ، وساعاتها ، وكتبها ، ولـم يسلم من تحرشه ـ في الظاهر ـ الا وسائط النقل من سيارات وعربات.. لا يبتغي من وراء ذلك شيئا غير تقويض الجامعة ، وابادة من فيها ليمرح

(١) الاســـــراء : ٣٦

بين أطلالها ، وبدون ذلك لا يهدأ له بال ، ولا يهنأ له عيش ، ما دامت « الجامعة » مكتظة العرصات بالطلاب ، زاخرة بالعلوم ، تخرج للبلاد أساتذة مثقفين ، وعلماء عصريين ، ينيرون طريق الحياة للعراق ، ويسيرون بالعقل من الشك الى اليقين ، ويرسخون فى القلوب مبادىء الايمان وحسن العقيدة ، ومهما شاغب ، فالجامعة سائرة ، وله أن يحرق الارم .. « ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله »[٢] .

«خبير»*

العراق :ـ

كل من فى هذه البلاد يعرف ما لفهمي بك المدرس من المنزلة العلمية والاجتماعية ، واننا لم نكن نتوقع ان يحتاج فهمي بك يوما من الأيام الى أن يعرف الجمهور بشخصيته الكبيرة ، لأن الجمهور كما قلنا يعرفه تمام المعرفة ، ويعرف ماضيه المجيد ، وحياته الحافلة بالخدمات الصادقة نحو بلاده ووطنه .

ولو كنا جاحدين لحرية النشر لما نشرنا مثل هذه الأمور التى لا تغني قراءنا شيئاً ، وعلى كل فاننا قد غلقنا هذا الباب بعد هذا اليوم مهما كلفنا الأمر ، لأن المسألة قد توسع نطاقها وتجسمت .

---

(٢) فاطر : ٤٣

(*) جريدة العراق العدد ٢٦٧٦ الصادر يوم الخميس ٣١ كانون الثانى ١٩٢٩ الموافق ٢٠ شعبان ١٣٤٧ .

متى سار المعارضون وراء العواطف ؟

نشر « صدى العهد[1] » فى عدده «٩٠» فصلا مسهبا تحت عنوان « أثر المعاهدات فى الحياة الدولية » حمل الكاتب فى مقدمته على المعارضين حملة لا تليق بكرامة الصحافة وشأن السياسة ، ولا تلائم اساليب النقد وآداب اللياقة التى تتطلبها صحف الوزارة من غيرها لدى كل فرصة .

فقد أوّل الكاتب « المعارضة » بالاوهام والخيالات والعواطف وفسرها بالنهضة التائهة ، واستنكر القول بان المعاهدات سر من اسرار الاستقلال ومصدر عظمة الامم ومجدها ، وسخر من القول بانها تمثل مبلغ الامم من السعادة والشقاء والكيان الرسمى أو الاستعباد . واعتدى على القائلين بان المعاهدات فى نظر الامم المغلوبة على أمرها قضية موت وحياة . ونصح للمعارضين أن لا يجعلوا المعاهدات وعقدها وابرامها شغلا شاغلا لهم في الحياة العامة والخاصة . ونعتهم بالتطرف ، واتهم « المعارضة » بانها بضاعة يتاجر بها المعارضون ويستغلون بها عواطف العامة لمنافعهم الشخصية .. وهذا مما لا يرتضيه غير العراقيين لنا ، اذا ما ارتضاه العراقيون لانفسهم « ومن لا يكرم نفسه لا يكرم » .

ولسنا فى صدد الرد على هذه المقدمة التى لا يؤمن بها الكاتب نفسه، ولا الذين نطق بلسانهم ، بعد ان اذيعت مدافعاتهم فى الصحف واطلع الرأى العام عليها فوجدها لم تتعد حدود هذه المقدمة . واذا كانت خطابات المعارضين مطعونة فى نظر الكاتب فما قوله بخطاب « بهجت بك زينل »

---

(١) جريدة يومية سياسية أدبية علمية ، انشأها ببغداد المرحوم عبدالرزاق الحصان وصدر عددها الاول فى ٧ آب ١٩٣٠ ، فلما ألف نوري السعيد (حزب العهد) فى الثانى عشر من شهر تشرين الاول ١٩٣٠ أصبحت (لسان حال حزب العهد) . وقد لبثت تصدر بانتظام نحو ثلاث سنوات وهى تكافح خصوم نورى السعيد مكافحة لا هوادة فيها .

عن : عبدالرزاق الحسنى

الذى لم يكن من المعارضين المفرطين ولا من الذين يستغلون عواطف الامة لمنافعهم الشخصية ، وما كان ـ مدة حياته ـ ممن اتخذ المعارضة بضاعة تاجر بها ، فضلا عن انه من اشياع الوزارة ومن مرشحيها ، وقد جاء فى خطابه من الادلة والبراهين على تفنيد كل كلمة من المعاهدة ما يذوب أمامها الحجر الصلد لا القلوب المخلوقة من لحم ودم .. فليذكر لى ـ جزاه الله خيرا ـ جوابا على نقطة واحدة لا اكثر ، ما عدا التعريض بالشخصيات ونبش القبور والتهديد وانكار البديهيات والادعاء العجيب بعدم وجود استقلال تام فى العالم ولا استقلال بريطانية .. على أن نقد المعاهدة لم ينحصر في المعارضين العراقيين بل تناولته صحف سورية ومصر وتركية وايران . ولو فرضنا ان جميع المعارضين والناقدين فى الاقطار الشرقية يسيرون وراء العواطف والاوهام والخيالات والمنافع المذمومة ، فما قول الكاتب بما نشرته صحف الانكليز وما صرح به ساستهم ، وما ترشح من معارضى « عصبة الامم » ..؟ على كل حال هذا أمر فرغنا منه ، وكل مسؤول عن رأيه وملزم به وكل ميسر لما خلق له ، وكل امرىء بما كسب رهين ، ولا بد للخسران من بارد العذر ..

أما الذى نريد ان نستلفت اليه الانظار فهو الاعتراف ـ بعد الوقوع وبعد خراب البصرة ـ بالضيم والصفقة الخاسرة والقيود والاصفاد شأنهم فى المعاهدات السابقة ، كما جاء فى قوله :

« ان الامم الضعيفة الرشيدة التى لا حول لها ولا طول تعقد المعاهدات التى تكون صفقتها فيها خاسرة وما ذلك الا لانها تعرف انها فى موقف لا يمكنها من المطالبة بحق أكثر فتصبر على الضيم ثم تعمد الى العوامل التى ساقتها الى هذا الموقف فتعمل على ازالتها وتتذرع بما له الصوت العالى فى الحياة وتأتى لتمزيق المعاهدات المجحفة بحقوقها وتحطيم القيود التى كبلها بها الزمان » .

هذا فيما لو احاطت بالامة ظروف تضطرها الى ان تخسر صفقتها وتخضع لعقد مجحف بحقوقها وتمد يديها ورجليها لتكبل بالقيود .. فاذا

لم تكن ضرورة فهل تعذر الامة على الخضوع والاستسلام كالميت بين يدى الغسال ؟ واذا كانت ضرورة للاستعجال أليس من الضرورة أيضا التصريح بها دفعا للاعتراض ؟

على ان التصريحات كانت بخلاف ذلك ، فالمعاهدة اعتبرت فوزا مبينا وتوفيقا سماويا ورحمة للعراق والعراقيين ، والآن انقلب السحر .. وتأييدا لهذه الفلسفة أخذ الكاتب يورد الامثلة من التاريخ المملوء بالعبر ومن جملتها قوله « دك نابليون الكبير العروش واحتل الممالك وضمها الى فرانسة واسس فيها دولا ، ولما أفل نجم مجده وعزه عقدت معاهدة ديانه سنة ١٨١٥ فهدمت كل ما بناه نابليون وأرجعت فرانسة الى حدودها القديمة قبل الثورة » .

فعلى م اذن زج « رفائيل أفندى بطى » مدير « الزمان » فى أعماق السجون ، ألكون المثال كان خاليا من عبارة (ولما افل نجم مجده وعزه) أم لانه لم يرد فيه (فهدمت كل ما بناه) أم لان الاستشهاد كان شرقيا وهذا غربى ؟!

ثم استشهد الكاتب بأمثلة من الشرق فقال : « واذا كان الحلفاء قد حاولوا تقويض استقلال تركية فى معاهدة سيفر فان تركية عززت استقلالها فى معاهدة لوزان وخرجت منها برأس مرتفع » .

وهذا عين المثال الذى اتهم به « رفائيل أفندى بطى » الا انه قيل فيه (الفوز المبين) بدل (برأس مرتفع) .

وجاء فى استشهاد آخر ما يلى : « فان معاهدة فرساى مهما كانت قاسية بشروطها وبنودها لم تتمكن من اذلال الشعب الالمانى ولم يدب اليه بها دبيب الانحلال والفناء وهذا صوت ألمانيا يرتفع اليوم فتهتز له الامم والشعوب » .

وقد ورد هذا المقال بعينه فى مقال « الاستفتاء ومصيره » ولكن فى الشكل الآتى :

« أو كمعاهدة ورساى التى ارغم عليها الالمان بالقوة القاهرة فأجمع على رفضها الاحزاب فى هذه الايام » • وما لنا سـوى ان ننتظـر العدل والانصاف من القضاء ـ ولا شك فيهما ـ لان العدل أساس الملك ولان الأنصاف نصف الدين ولان الرعية أمام القضاء على حد سواء ••

«عراقي»*

---

* « جريدة نداء الشعب » العدد ٣١١ السنة ٢ الصادر فى ٢٣ تشرين الثانى ١٩٣٠ / ٢ رجب ١٣٤٩

حول تحديد الثقافة والحجر على الاحزاب

الشعب ناضج والشعب غير ناضج

كان الشعب العراقي عام ١٩٢١ ـ وهو مرعم على سياسة الانتداب غنيا في ماله وغنيا برجاله (بالغا درجة راقية يمكن معها الاعتراف بكيانه كالامم المستقلة) كما نصت عليه المادة ٢١ من ميثاق عصبة الامم •

فابيح له ان يفتح ابواب الاحزاب السياسية وأن يعلن الدستور ويؤلف البرلمانات الغاصة قاعاتها بمقاعد الاعيان والنواب وجاز له ان يبرم المعاهدات والمقاولات الخطيرة ، ويشرع القوانين وان يتوسع في تشكيلات الدولة باصولها وفروعها الى اقصى مدى وان ينال من التمثيل الخارجي ، ويشيد الصروح لمختلف الكليات العلمية والفنية على أن تكون منهلا عذبا لرواد الشرق عامة كما كان العراق على عهد المستنصرية والنظامية •

وبعد اثنى عشر عاما من أعوام التدريب والارشاد على ايدى الاختصاصيين الاجانب بعد ان استقل العراق استقلالا تاما وأوشك ان يصافح الدول المعتزة بنفسها في حظيرة الامم ، وبعد ان انفسح له المجال لان يتوسط بين الاقطار العربية لتوحيدها تحت راية واحدة أو لانقاذها من براثن الاستعمار تراءى للمجددين من رجال الحل والعقد ان اقصر الطرق لبلوغ اقصى الغايات هو الشذوذ عن المحجة التى تسلكها الامم في مضمار التقدم والرقى ••

ومن ذلك الشذوذ الغاء المعاهد العلمية كمدارس الهندسة والزراعة والتجارة وكلية الصيدلة ودار المعلمين العليا ودار المعلمين الاولية وغيرها وكلما ألغوا معهدا اقاموا الادلة على ان الالغاء اضمن لتقدم الشعب تقدما سريعا وبهذا المنطق العجيب اذيع في الخطب والقصائد والفصول الضافية ان قد اعدنا عهد (الرشيد) وحضارة (حمورابى) ومن مظاهرهما ايام المعرض وليالى الجزيرة •

ومن الشذوذ الموصل الى أقصر الطرق اباحة الملاهى والمنكرات وكل ما من شأنه افساد الاخلاق مع العناية بكم الافواه والحجر على الصحافة ومنع الاحزاب السياسية من الاجتماعات العامة وفتح الفروع وممارسة السياسة .

واذا ما اعيتهم الحجة على تنفيذ هذا المنهج الاستعمارى البحت والخضوع له حرفيا لجأوا الى التذرع بالازمة الاقتصادية ووصم الشعب بعدم النضوج ، والاموال تنفق على اللذائذ والشهوات من جهة وعلى الدعايات التى لا ينتفع بها غير الاجنبى من جهة أخرى .

والغريب فى هذه المحاجة ان الشعب لم تلح على سحنته تعاريج عدم النضوج الا بعد ان تم للاجنبى ما اراده وزيادة فقد كان الشعب ناضجا فى بيعة مليكه ، وناضجا فى دستوره وفى تأليف الوزارا توالبرلمانات وابرام المعاهدات والمقاولات الخطيرة وناضجا فى تشكيلاته الداخلية والخارجية وناضجا فى مناظر ذلك المعرض الذائع الصيت الذى قيل عنه انه ثانى معرض باريس وناضجا فى عقد المؤتمرات وكان مثالا أعلى لمناطق الانتداب فى الرقى واهلا للاستقلال التام وكفوا لان يصافح الدول العظمى فى عصبة الامم .

والآن وقد انتهى دور التكاليف من طريق الاعتراف بنضوجه تقهقر تقهقرا آنيا حتى أصبح غير كفء لتعليم الهندسة وفن الزراعة والصيدلة وغيرها من عناصر الثقافة وليس بكفء لان يتمتع بالحريات الممنوحة فى صلب الدستور الذى تناوله من يد الاقدار كدية لدمائه المسفوحة فى سبيل الحرية والاستقلال .

واذا اردنا ان نوافقهم على ان الشعب غير ناضج فهل لهم ان يؤاخذونا على مطالبتنا بفسخ ما تم الى هذه الساعة من العقود المجحفة بحقوقه وحجتنا بالغة .. ام ان الشعب العراقى مفرد فى فطرته يتطور بحسب المصالح الاجنبية فطورا يتقدم تقدما يخوله ان يتعاهد ويتحالف مع اعظم

دولة ويعلن الاستقلال التام على صفحات الصحف ويبوأ مقعده فى حظيرة الامم ويتصدر لانقاذ غيره من الاقطار العربية وطورا يتقهقر تقهقرا يحرم عليه ممارسة الثقافة والسياسة فيوما ناضج ويوما غير ناضج •

وكيف يحكم بعدم النضوج على شعب أختير من بين ابنائه فى خلال عشر سنوات خمسون وزيرا ومئات من النواب والاعيان ومثلهم من المتصرفين والمديرين العموميين ورؤساء الدوائر ما عدا القناصل والسفراء والممثلين فى العصبة واساتذة الكليات وبالاخص كليات الطب والصيدلة والحقوق وبلغ عدد المنتمين الى مدارسه ستين ألفا كما تذيع صحيفة العراق؟

اللهم الا اذا كانت هذه المظاهر مصطنعة لغاية لا يمكن تحقيقها الا على يدى رجال يهون عليهم الخضوع والاستسلام والتفريط فى حقوق البلاد !

وعلى فرض ان يكون الامر كذلك وان الظروف اختارت لتلك الغايات فئة خاضعة فتسلمت مقاليد الامور واختارت اناسا على شاكلتها وصدعت بما امرت به فهل مما يزيد هذه الفئة اعتبارا ان تصم الشعب بهذه الوصمة وهى بضعة منه ، ام ان هذا الوصم أيضا من جملة ماهى مكلفة به لقاء الجاه الزائف والحطام الممتص من دم هذا الشعب ..؟

أما نحن فلا يسعنا الا ان نؤل الوقائع ونحملها على محامل أخرى ونطالب المسؤولين بالرجوع عن المقررات المتخذة حول تحديد الثقافة ومصادرة الحريات قبل ان يعقد المؤتمر العربى فى بغداد •

العراق والمؤتمر العربي

فاذا ما توافد مندوبو الاقطار العربية والحالة فى العراق على ما هى عليه فالنتيجة منه لا تكون خيرا من عاقبة المعرض وغيره من ذرائع التبشير والدعايات •

وتأييدا لذلك ننقل ما يلى :ـ

نشرت صحيفة (النظام) الدمشقية فى عددها (١٦٤) فصلا حول الموضوع جاء فيه :ـ

(نريد من هؤلاء الذين يولولون بمناسبة أو بغير مناسبة ان يؤلفوا وفدا منهم يذهب الى بغداد او عمان ليسألوا القوم هناك هل هم احسن حالا وانعم بالا منا معشر السوريين ..؟ ثم نقبل بهم حكما مقبول الرأى مرضى الحكم بشرط واحد لا نشترط سواه . وهو ان يكونوا بعيدين عن المصادر التى تنثر المال هناك يمينا ويسارا وتنفقه على الدعاية لها سرا وجهارا .. الخ .

هذا بعض ما ينعكس الى الخارج من الاعمال التى يعتقد العاملون عليها ان وراءها نجاحا باهرا ولا يزالون يواصلون السير على عين الخطة .

نعم .. قد يوجد فى الاقطار الشقيقة رجال ممن ضاقت بهم الارض ذرعا فغلبت عليهم الهواجس وصورت لهم الحبة قبة وراحوا يظنون بنا الظنون ، مثلهم كمثل الغريق الذى يتمسك بالحشيش ، أو ان حسن الظن اخذ منهم مأخذه واستحوذت على مشاعرهم اذاعات الصحف المأجورة أو ان هنالك دوافع أخرى .

فاذا ما حضروا دار السلام واتضح لهم ان الاحزاب السياسية محظور عليها ممارسة السياسة وان اهم معاهد التعليم مؤصدة ، وان لسان الصحافة مشدود بنسعة وان الدستور مغلول وان المراجع الرسمية لا تملك من الامر شيئا وعرفوا ان السبب فى ذلك كله هو عدم النضوج ، أو ما تصبح امانيهم اضغاث احلام وقد شدوا الرحيل الى هـذه الديار وهم يعتقدون بأولوية العراق على غيره من الاقطار العربية فى اتخاذه قاعدة لتكوين الوحدة ؟

اذ كيف يعقل ان قطراً محظوراً عليه ابداء الرأى حول مصلحته وقضاياه الحيوية يتسنى له ان يعين اقطاراً هى على شاكلته ان لم نقل احسن منه حالاً من بعض الوجوه ؟

انا لا نريد الآن ان نخوض غمار البحث عن الوحدة العربية والمؤتمر العربى أو توحيد التاجين ، وانما الذى نريد ان نعرضه على مسامع من يهمهم الامر ان الحالة الحاضرة فى العراق لا تدل على شىء من الحرية والاستقلال حتى يصح لغيرنا ان يستمد منا القوة ويعول علينا ويبتغى من وراء ذلك التعويل نفعا .

فاما ان نسير على قدم الامم الناهضة ونطلق حرية التثقيف ونرفع الحجر على الصحافة والاحـــزاب السياسية ونلغي القوانين الاســتثنائية ونصلح الاخلاق ونوطد الامن ونرعى للصحة جانبا ونستشعر الرزانـة والوقار ونصدق فى أقوالنا ونخلص فى أعمالنا ونحترم الرأى ونظهـر العراق بمظهر البلاد المستقلة استقلالاً حقيقياً ونثبت ان الشعب ناضج وانه شاعر بمقتضيات الحياة فى القرن العشرين بالاعمـــال لا بالاقوال الفارغة وبعدئذ نمد يد المعونة الى غيرنا اذا كنا حريصين على بلوغ الغاية من المؤتمر العربى كما يفكر احراز العرب لا المتاجرون بسياستهم ، واما ان نتوانى فى مثل هذه التعهدات الخطيرة التى لا يعقبها غير الفشل .

واما الدعايات الباطلة فان عمرها قصير لا تكاد تنتشر حتى تنقلب الى النقيض (ان الباطل كان زهوقا)[1] .

«عراقي»*

---

(١) الاسراء : ٨١

* جريدة الاخاء الوطني العدد (٢٧٦) ١٤ ايلول سنة ١٩٣٢ .

صفحة من التاريخ

الاخلاق بين العرب والغرب

- ١ -

كان العرب فيما مضى من أحرص الناس على اخلاقهم ومن أشدهم ولوعا بها ، فمكنهم ذلك من تدوين تاريخهم الذى حملته القرون على الاكتاف ، فكان مصباحا تستنير به الدنيا ، والغرب لا ينكر فضل العرب عليه .

عاملان قويان بعثا من الغرب خلقا جديدا ... والحروب الصليبية التى امتدت مائتى عام ما بين غالبيات ومغلوبيات جمعت بين الفريقين في صعيد واحد وكانت واسطة اقتباس الفضائل والاخلاق واساليب الحرب من العرب .. وحلول العرب فى قلب أوربا واستيلاؤهم على شمال ايطاليا وجزائرها وجنوب فرنسا ودوام دولتهم فى اسبانيا زهاء ثمانية قرون ... وما ضعفوا وما استكانوا الا عندما تسرب الوهن الى اخلاقهم وما انتصر الغرب الا بعد ان اتخذ الاخلاق له شرعة ومنهاجا .

والامم الغربية لم تقتبس من العرب الاخلاق فقط بل اخذت عنهم الآداب والعلوم العالية والصنائع والحضارة بفروعها . وتغذت باللباب من فلسفتهم وسياستهم وشجاعتهم وذوقهم السليم .

دخلت العلوم العربية فجر جامعات الغرب منذ عهد الفتح العربى وبقيت الى هذه الساعة .. وكانت البعثات العلمية تتوافد من بلاد الغرب الى جامعة (اشبيلية) فى كل سنة .

وقد حكى لنا التاريخ ان (البابا) فرانسوا سيلوستز ، أكمل التحصيل فى مدة ثلاث سنوات فى شعبة الالهيات من الجامعة المذكورة . وبذلك نال حظوة الملوك وقام بتدريس الامراء واقتفى اثره كثيرون من رؤساء الدين .. وهناك عوامل أخرى بعثت فيهم روح التجدد والنهوض

منها الازداج واختلاط الدم على توالى القرون • ولذلك لا تزال عادات العرب واذواقهم تتمثل فى الرجال والنساء فى البلدان التى دخلت فى حوزة العرب ، ولاسيما مملكة الاسبان •• ومن آثارهم الخالدة فى الغرب ذوقهم الهندسي والكتابات العربية على المعاهد والمؤسسات والمبانى العالية القائمة الى الآن فى جزيرة (صقليا) لان اللغة العربية بقيت فى هذه الجزيرة لسان الدولة الرسمي بعد انسحاب العرب منها الى أمد بعيد •

ولو احتفظ الغرب بسيرة الفتح وتدرعوا جلادة (طارق بن زياد) وتصلبوا بصلابة (موسى بن نصير) وبعزائم (عبدالرحمن الداخل) وواصلوا الزحف لفتحوا الغرب أجمع •• ولكنهم اصطدموا بقوتين قاهرتين الحسد والغرام •••

فتن فريقا منهم جمال الطبيعة وجذبتهم الروابي الخضر والبطاح المزهرة الى ظلال الصنوبر والبان وخمائل البنفسج والاقحوان • وانغمسوا فى الملذات وغابوا بين ألحان العنادل واسجاع الحمام وسحرتهم الحواجب والعيون ، وغدائر الذهب الابريز ، وقدود الياسمين ومحاجر الزمرد وقلائد اللؤلؤ والمرجان ، ودبت الحميا فى المفاصل فهاموا بين زبرجد القرط وبلور النحور ورنة الخلخال ، والخصر الدقيق ، واناخ الحسد بكلكله على آخرين فطاشوا وجردوا السيوف على اخوانهم وتنازعوا وطمع الولد فى عرش ابيه ، واقتتلوا وجزأوا الملك وانقسموا على بعضهم ثم عادوا الى عبادة الشمس والقمر والكواكب والنجوم ولكن بين الكاس والطاس وغنج الساقية والساقي وبين سهام الاهداب وورد الخدود وحول ابتسامات الرياض ونغمات الازهار وعلى صفحات اللجين الذائب وعند لواعج اوتار ذلك الخيال الرقيق المتدفق من نمير الحياض المترعة ولآلىء النضاخات المتناثرة من حلقات الغدران على حواشى الزنبق والنسرين وعلى أمواج الألوان الطافحة من عيون النرجس وأحداق الشقيق وأكمام القرنفل والجلنار •

وتخنثوا وتناسوا المجد والواجب والتاريخ وعكفوا على الملاهي واكبوا على الشهوات .. وفرقوا بين الجفن والكرى وواصلوا شرب الليل بالنهار حتى عم الفساد وثارت الفتن وتسرب الاحتلال من بلد الى آخر وتوالى القتل والقتال فى الداخل والخارج وفقد الامن وشاعت الفاحشة ، وتفسخت الاخلاق وسادت الفوضى وعبث الحكام فى حقوق الضعفاء وتمزقت الادارة على أيدى السفهاء وتولى السياسة جهالها وانحلت أواصر الحكم واضطربت الرعية واختلفت العناصر وتلاعبت الاهواء فى القضاء فتفرقوا شيعا وتتابعت قوافل الهجرة الى شمال « أفريقيا » وعز الناصر والمعين وتململ العدو المتربص واختلس الفرصة واستمد القوة من ذلك القلق السائد على كل ناحية من نواحي البلاد ومن ذلك الهرج والمرج والقنوط المستحوذ على البائس والمعتر وسقطت (غرناطة) عام (٨٩٨ م) وبكى (عبدالله الصغير) وغضبت أمه الملتهبة غيرة وشهامة واجابت سقط الدموع الذليلة قائلة : ابك يا خائن النساء ابك ابك على ملك لم تستطع ان تدافع عنه دفاع الرجال .

ورثى شاعرهم أبو البقاء ذلك الملك الكبير الذى استحال بدهاء اولي العزائم من الملوك والخلفاء والامراء وحصافة أهل الرأى والتدبير روضة من رياض الجنة تجرى من تحتها الانهار تعلوها القصور الشامخة والمعابد الرهيبة وصروح الجامعات ومعاهد الصنايع والآداب تكسوها يد العمران حلل السندس والاستبرق حتى ضربت به الامثال ... وندب كل مدينة على حدة ووقف عند الزهراء والقصر العظيم وتلهف وارسل اليها العبرات .. والتفت الى الجامع الكبير القائم على (٨٥٤) اسطوانة من المرمر الثمين النادر والذى تم بناؤه فى قرن وربع قرن وعدد الخطوب وذكر الاسى وودع واغرورقت عيناه ونعى (غرناطة) و (الحمراء) وناح على العلم والعلماء والفلسفة والآداب الرفيعة وتمثل له (ابن رشد) من سماء قرطبة فأطرق اجلالاً وعزى العرب وعرج على الملك المضاع وقال :

وصار ماكان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان[1]

فهمي المدرس*

---

(١) البيت لابى البقاء صالح بن شريف الـــرندى من قصـــيدته المشهورة التى مطلعها :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان

* مجلة الرابطة الاسلامية
العدد ١٧ المجلد الثانى السنة الثانية دمشق ١ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢

الاخلاق بين العرب والغرب

- ٢ -

وشتان بين ذلك الملك الذى استعبر وبكى ... وبين ملك يصور لك الغيرة والشهامة والتواضع والعظة والهمة القعساء فى كلمة قالها قبل الوفاة وهى :

(حكمت خمسين عاما ، ملؤها شرف وسعادة ومال وجاه ، انى التفت رأيت الملوك يعظمونني ويحسدونني ويهابونني ... وقد حسبت أيام السعادة الحقيقية فى خلال هذه السنين الطوال فكانت أربعة عشر يوما !! فيا أيها الانسان الفاني ! اذا أردت أن تقيس الدنيا والعظمة والحياة فقسها بهذا المقياس) .

ذلك هو مؤسس المجد العربي في قلب أوربا ، ذلك هو الناصر لدين الله (عبدالرحمن الثالث) أول من حاز لقب الخلافة من الملوك الأمويين في الاندلس !

تناولت حياة هذا الملك العظيم الحروب والفتوح من جهة ، والاعمار والاصلاح والاحياء والتأسيس والتشييد من جهة أخرى ، وقد تكللت حروبه جميعها بالظفر ، ومنها حربه مع ملك (ليون) التى انتهت باندحاره واسترداد ما احتله من البلاد على عهد سلفه ... وأما آثاره الخالدة فانه أنشأ اسطولاً كان الأول من نوعه ، وبنى مدينة (الزهراء) البديعة على حافة (الوادى الكبير) وشاد قصراً اتخذه الغربيون مثالاً للذوق والهندسة والدقة في (صنعة التنزيل) و (التخريم) والحفر والنقوش البارزة وعمر جامعا عظيما وخزانة للكتب جمع فيها ستماية مجلد .. كل جلد منها عليه اشارة بخطه ، وازدانت أنحاء المملكة بالعلوم والمعارف والصنايع ، وراق الأدب ورق الخيال وشعت أنوار الفلسفة ، وبدأ دور التفكير ، فطفق

أقطاب الفضل والادب يزدحمون على البلاط وعلى منازل رجال الدولة وعظمائها من مشارق البلاد ومغاربها ، ويترددون على أبواب الجامعات فيقابلون بمنتهى الحفاوة والتعظيم ، وارتفع قدر العلم والعلماء فى زمنه الى أقصى الدرجات .

ألمعنا بهذه الصحيفة المؤلمة من تاريخ العرب لتفهم وتعلم ان الأخلاق هى أسرار العظمة ، وعندما تفسد تفتك بالأمم بدون رحمة وبدون استثناء .. فتذهب بالراعي والرعية والآمر والمأمور والشرف الباذخ والتاريخ المجيد ، والصغير والكبير والجاه والمال والحضارة والعمران ، والنساء والرجال على حد سواء .. ويا لها من عظة بالغة لقوم يعقلون ..!

أمة تشيد بأخلاقها العظيمة دولة قوية الشكيمة ثمانية قرون في قلب الأعداء ، كلها شوكة ومهابة وعز ونعيم وصيت ذائع فى الدنيا ، فتفسد أخلاقها فتخرج صفر اليدين ؟؟!

* * *

وفي الختام أوجه كلمة الى شباب العرب النوابه ،عسى أن تصادف بين ربوعهم قبولاً حسناً (فذكر ان نفعت الذكرى)[1] .

يا معشر الشباب :

لسنا اليوم فى عصر يهيم فيه الانسان على وجهه تائها ، ويعيش رهن الطالع والمصادفات كما تعيش السوائم ، وكما نعيش نحن ... !

وانما أنتم فى عصر لكل أمرىء فيه مبدأ وغاية . أما المبدأ فهو المذهب الذى يختاره للكفاح فى معترك الحياة .. وأما الغاية فهي المصلحة العامة التى يتوخاها فى ضمن ذلك المبدأ .

وليس من سجايا العصر الحاضر وأخلاق جيله ، الايمان بالجبت والطاغوت والتقرب اليهما بالمعاصى والمنكرات ، وبلوغ الأمانى من ناحية الكذب والزور والغش والدس والتضليل .. هذه صفحات مضى دورها وانطوت بين طيات اللحود ..

---

(١) الاعلى : ٩

وليست الغاية اليوم من الحياة سد الرمق ونيل الشهوات ، تلك حياة البهائم والهوام وهى مضمونة لكل ذى روح بلا نزاع ولا جدال .. (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها)[1]

وعار على الانسان أن يكون في مضمار الحياة الاجتماعية أقل نفعاً من المخلوقات المفطورة على نظام التعاون ، ولقد مشينا عشر سنوات مشية البهم في الليل البهيم جاهلين ومجهولين ، حتى نسينا بل فقدنا كل ميزة ورثناها من الماضى ، وحتى تقمصنا كل خلق ذميم وعبرنا عنه بالمهارة و (المرونة) .

وأى عذر ينتحله المرء لنفسه اذا تقاعس عن واجبه وهو عالم به ، وكان صحيح البنية قوي الحواس ؟ إن للانسان واجبات ازاء نفسه وازاء وطنه بعد واجباته ازاء خالقه : أما واجباته ازاء نفسه فهي التهذيب الصحيح الكامل الذى لا تشوبه شائبة ، والذى يمكنه من القيام بعمل من الأعمال فى مجتمع هو فرد من أفراده ، لئلا يكون عالة على المجتمع وعضوا مفلوجاً يستنكره الخاص والعام .. واذا اعتاد الفرد حياة الذل فقد ذابت ذاتيته وماتت ارادته واقتدى به غيره بطريق العدوى وفسد المجتمع .

وأما واجباته نحو وطنه فهي التفاني في حبه وجعله فوق كل شيء .. ولا يشعر الانسان بحب الوطن ولا يتفانى فى سبيله ما لم يهذب النفس ويجردها عن كل نفع من شأنه أن يعارض المحبة الوطنية و (حب الوطن من الايمان) .

هذه نبذة من أوصاف الانسان في القرن العشرين !

واذا أردتم أناسي لا همّ لهم سوى تذليل الوطن وتشويه سمعته بالأفعال والأقوال واهانة الرأى العام .. فاعلموا انهم أجانب عنه وان كانوا من ابنائه : (قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح[2] .

---

(١) هود : ٦

(٢) هود : ٤٦

فاستعدوا للكفاح ولا تعتمدوا الا على أنفسكم ، وأكبروا الارادة في نفوسكم وغذوها بالعلم والعمل ، واستعينوا على تناول الثقافة بتأليف الجمعيات وجمع المال .. لأن الظروف لا تمكن ميزانية المعارف من توسيع نطاق التعليم .

فما علينا سوى أن نفكر في مصيرنا ونقتصد من قوتنا لتحرير عقولنا « وما حك جلدك مثل ظفرك » .

وآخر كلمتي أن تستمدوا العظمة من الأخلاق ، لتحطموا القيود وتهدموا ما بناه الجهل والضلال وتبنوا لقومكم مجداً يغبطكم عليه أبناء جيلكم .. « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون »[٤] .

فهمي المدرس*

---

(٤) آل عمران : ١٣٩

(*) مجلة الرابطة الاسلامية ـ العدد ١٨ـ١٩ دمشق ـ جمادى الثانية ١٣٥٢ هـ

الاخلاق بين العرب والغرب

ـ ٤ ـ

واذا رجعنا الى الماضى البعيد وصافحنا الاحقاب المتسلسلة من عهد الاساطير الى قرون اليقظة وادوار المجد وانتهينا الى الفجايع الدامية والالواح المزدهرة واحدقنا بما حملته اعناق الدهور من عبر وعظات واستعرضنا الامم والدول والاقوام والحكام والعروش والتيجان والجحافل والاعلام يحف بها النصر والفتح ومن دونهما الجثث الهامدة والارواح المذعورة والدماء المسفوحة والرماح والنبال والفوارس والابطال والسابحات العتاق تقودها الحشمة والابهة والخيلاء تجر وراءها قوافل السلب والنهب تبعثها مقاصف اللهو والنعيم تحدق بها القصور الشامخة والصروح الممردة تتلوها الرسوم والاطلال .

اقول اذا رجعنا الى تلكم العصور وشرحنا صدور العز والعظمة لكل أمة جمعت المكارم والمفاخر ثم انقلبت على اعقابها فانا لا نجد للعلو والهبوط وللتكامل والسقوط وللتوقف والتقدم والتقهقر سوى علة واحدة هى الاخلاق فقط . والاخلاق هى التى تقلب الشعوب ذات اليمين وذات الشمال وهى التى تهين وتسيطر وترفع وتخفض وتفقر وتغنى وتعز وتذل وتبدىء وتعيد .

فالاخلاق السامية تحرك ايدى العاملين على بناء المجد وتشييد عروشه وتنشر لواء العدل والاحسان وتدحض الفروق الباطلة وتساوى بين الطبقات والافراد وبين العناصر والطوائف فى حالتى السراء والضراء وهى التى تدير اساليب الوئام والوفاق وتبث أواصر الحب والاخاء حتى بين الخصوم والاعداء وتبعث من بين الملايين من البشر نفسا عظيمة تسطر آيات الشرف الباذخ والحب الرفيع على نواصى الانسان والاجيال وهذه هى الحكمة البالغة فى قوله : (تخلقوا بأخلاق الله) .

وما من أمة اجترمت الجرائم واتسمت بالمعايب والتصق بها العار وذاقت وبال الذل والخنوع الا وفساد الاخلاق قائدها وهو الباعث لنفسخها وانحلالها ولذلك بنيت الاديان على مبدأين عظيمين « معرفة الخالق وتهذيب الاخلاق » ومشت مع الانسان فى تطوراته حتى بلغ اقصى مراتب الكمال فى امرى المعاش والمعاد وذلك هو سر البعثة النبوية المنوه عنه في قوله : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق »[1] ولا تزال جرثومة الفساد كامنة فى الارحام تبعث من مرقدها اما لغلظ فى الفطرة أو لضعف فى التربية أو لمرض فى النفس أو غير ذلك مما يعترى المتحنين بشهواتهم من اعراض فجائية تسد عليهم طرق المحاكمة وتجعلهم يتخبطون خبط عشواء و (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)[2] واجدرها بالذكر نزعات الظروف القاسية التى تمقها يد غريبة عنك شاءت الاقدار ان تعبث فى مقدراتك فتستغل هذه وامثالها لغايات اقل ما فيها شل الوحدة والفت فى ساعد الجمهور والاخلال في السمعة وتمزيق الكرامة ومن وراء ذلك تأمين المنافع وترويج المصالح الاجنبية : (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله)[3] واذا علمت ان القوانين تسن لاحتكار الرزق وتذليل النفوس وثقت ان الفقر بالغ منتهاه وان الجهل ضارب اطنابه وان ابواب الكسب موصدة لا الصنعة تروج ولا التجارة تنجح ولا الزراعة تسمن أو تغنى من جوع وتحققت ان فساد الاخلاق امر لا مفر منه .

فلا عتب ولا عجب اذا ما راجت اليوم سوق الفساد فى الاخلاق وفي الادارات واذا كان العدل أساس الملك فالاخلاق أساس العدل واذا كان شيوع الفضيلة منوطاً بالتقدير والاحترام فى الاوساط الحرة المالكة لارادتها والتى تغار على سمعتها وذاتيتها فهى بعكس ذلك فى الاقطار

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل
(٢) البقرة : ٢٧٥
(٣) الاعراف : ٢٠٠

المغلوبة على أمرها لان السلطة الاجنبية يتوقف بقاؤها على أمور أهمها الجهل والفاقة وسوء الاخلاق وهذه العناصر الثلاثة هى الدعامة التى تبنى عليها صروح الاستعمار !

واذا ما استحكمت شعائر الفضيلة بتشريع القوانين وتكامل نظام الحياة الاجتماعية واثرى الشعب وارتفع مستوى الثقافة تعلمت النفوس انها تعيش في قرن تحررت فيه حتى العبيد والمماليك ولو عولجت القضايا الحيوية بهذه العقلية فالاستعمار يسقط بذاته ذلك لان الاستعمار والاخلاق السامية ضدان لا يجتمعان .

فمن العبث ان ينتظر العرب من زعمائهم ومن ذوى الشخصيات التى كانت (لا تريش ولا تبري) فتزعمت فى هذا العصر ورأت ان تعتصم بحبل الله وتعتنق الفضيلة وتتقمص الاخلاق السامية وتضحي بكل غال ورخيص فى سبيل العتق وفك القيود وانما الامر بعكس ذلك فالتفريط فى المبادىء والمقدسات وبث العداوة والبغضاء بين طبقات الشعب وبين الافراد وتبرير هذه الاعمال من ناحية الاستهتار والغمز والطمس على الحقائق والجهر بالسوء والكيد بالابرياء والتعاون على الاثم والعدوان وخنق الحريات والتشهير بهذه الامة على ايدي ابنائها كل اولئك من الامور الطبيعية لا تستدعى الاستغراب والفات النظر .. بعد ان تحقق الجهل وسوء الاخلاق !

والذي يدمي القلوب ان الامم كانت تعتقد بأن العرب اذا اتاح لهم القدر الفرصة وانفصلوا عن الدولة العثمانية وأسسوا دولتهم سيكون لهم شأن فى منظومة الدول يعيد الى الذاكرة تاريخهم المجيد ولم يكن يخطر على بال أحد ان يتنازع سادتهم وكبراؤهم على الحطام الفاني وتؤلف حكوماتهم واحزابهم لمنفعة الغير وتذهب أموالهم وخزائنهم ودماؤهم ادراج الرياح وفى النتيجة لا يبقى فى كنانتهم سوى الالقاب والعناوين المجردة وتتأصل فى نفوسهم الضغائن والاحقاد وتبقى وحدها فقط ميراثا للاولاد والاحفاد .

هذه كلمة موجزة عن صفحات التقهقر وفساد الاخلاق ..

فيا ايها العربي التائه السائر فى المنام أما آن لك أن تستيقظ من رقادك وتفقه مايراد بك وتبعث من نفسك قوةتستمد منها الغيرة والشهامة وتنفض عن جبينك غبار الذل والعار واذا لم يكن ذلك الطالع افلا ترجع الى القبور وتبحث فى أعماق اللحود عن عظمة آبائك الاولين الذين ذللوا الامم وثلوا العروش وحطموا التيجان وبسطوا جناحا على الشرق وآخر على الغرب وتستوحى الرمم البالية والعظام النخرة وتجرد من بين ذراتها المحدقة بك فزعاوغيظا ـ روحا تستفزالهمم وتصارع الاقدار اذا خانتك الذاكرة وغضب عليك التاريخ وعز النصير ؟!!

وانتم يا شباب العرب : الى كم تغركم الزخارف وتخدعكم الظواهر وقد ديست الامة بعد ان كانتمواطىء أقدامها هام الملوك والسلاطين ؟.. أن وراءكم واجباً وان في ذمتكم امانة تسألون عنها في المستقبل القريب فالى العلم الى تهذيب النفس الى اخلاق عظمائكم الذين طوقوا الاعصار مجداً لا يبلى بالرغم عن الانوف ، اذا شاءت نفوسكم ان تحيى حياة الابطال .

فهمي المدرس*

(*) مجلة الرابطة الاسلامية العدد ٢١ السنة الثانية دمشق ١٥ رجب ١٣٥٢ . هذا ما وفقنا فى العثور عليه من هذه المقالة المتسلسلة اما الحلقة الثالثة منها والمنشورة فى العدد العشرين من المجلة المذكورة فلم نوفق فى الوقوف عليها .

الجمهورية التركية في عامها العاشر

لم يشهد التاريخ فى جميع أدواره انقلاباً تناول جميع مناحي الحياة سياسية وادارية واجتماعية وأدبية وعلمية واقتصادية في آن واحد وسار على خط مستقيم لا عوج فيه ولا التواء ، وأقبلت عليه النفوس وتغلغل في انحاء المملكة ، وتخلل طبقات المجتمع على اختلاف العناصر والمذاهب والأديان وعلى تباين العقول والافهام فى عشر سنوات حاملاً راية الفوز والنجاح فى كل صفحة من صفحات التجدد والاصلاح وهو محفوف بأنواع العوارض والعقبات ، حتى قبض الغازي كمال باشا على ناصية النهضة التركية وقام بذلك الانقلاب الخطير الذى وقفت عنده دهاة العالم وساسة الامم ، فكان أعظم حجة على مواهب الشرق وما هو كامن فيه من نوادر الخصائص والقابليات ، وحقيق بالشعوب الناهضة أن تتخذه قدوة لها ومثالاً أعلى .

وثب الغازى من عرينه والمملكة العثمانية مقطعة الأوصال ، والأمة التركية لا تستطيع حراكا لما انتابها فى الحرب العامة والحروب المتواصلة قبلها من نقص فى الأموال والأنفس والبلدان .

خزينة خالية ، وديون مثقلة ، وفقر عام ، وسلطنة تئن تحت حراب العدو ، ونفر من الجند منهوك القوى ، هائم فى جبال الأناضول ، وأمة تستغيث ولا تغاث .

هذا ما خلفته الحروب ، وهذا ما ورثه الغازي عن أسلافه الفاتحين من تلك المملكة المترامية الأطراف ، والشوكة التى كان يرن صداها فى مشارق الأرض ومغاربها ستمائة عام .

نفخ الغازي في روع الجيش التائه من روح الوطنية والبسالة ما بعث منه أبطالاً يحملون المجد على الجثث والهام سواء عندهم الموت والحياة .

وخاض غمار الحرب مع اليونان وفتح البلاد ، ودخل العاصمة ، وأجلى جيش الحلفاء ، ورفع أعلام الحرية والاستقلال على المعاقل

والحصون ، وقلب نظام الحكم وأعلن الجمهورية ، ولم تفتر عزائمه نشوة الظفر ، بل واصل الجهاد وتناول خطة الاصلاح من جميع نواحيه ، وجاء بالخوارق والمعجزات .

قضى على الأساطير والخرافات التى كانت تحول دون التقدم والرقي كما هي الحالة عندنا اليوم ، واستبدل القبعة الأوربية بالطربوش اليوناني ، والحروف اللاتينية بالحروف العربية وبعث من ملايين الأميين أمة تقرأ السواد وتتقن الحساب بالأرقام فى خلال أربع سنوات ، بعد أن كان القروي لا يهتدى الى من يقرأ له الكتاب ويجيب عنه الا بشق الأنفس .. وأعد للجيش عدته بحيث أصبح من السهل أن يجتمع لديه فى شهر مايتان وخمسون ألف جندي بسلاحه ومدافعه ومدرعاته وطياراته على أحدث طراز ، وأسس من المعامل الصناعية ما يجعل البلاد بعد ثلاثة أعوام في غنى عن المنتجات الأجنبية .. وشيد الوفاً من المعاهد العلمية على اختلاف الدرجات حتى بلغ عدد الطالبين والطالبات ثمانمائة ألف والتأسيس مستمر وعدد الطلاب يزداد كل عام عشرات الألوف .. وشجع المنتجات الوطنية ووسع نطاق التجارة والزراعة وجعل مصلحة الاقتصاد بأيدي الترك بعد ان كانوا بعيدين عنها كل البعد وبعد أن كان حتى القمح يأتي من الخارج ، وحرص على الذهب ومنع خروجه من البلاد ووضع دستور :ـ كل شيء هو لنا ـ .. وبنى عاصمة للملك في أنقرة تضاهي عواصم الغرب فى بداعة حدائقها وهندسة مبانيها واستقامة شوارعها فى خلال سبع سنين على ما في البلاد من فقر مدقع وقد لا يتسنى لغيره أن يأتي بمثلها فى أقل من سبعين عاما .. وأسس المصارف للزراعة والعمل والمعادن والصنايع والأملاك والأيتام وصار يمد الناس بالمال ويحملهم على السعي ويجبب اليهم كدّ اليدين .. واشترى خطين حديديين لهما أهميتهما ، أحدهما خط مرسين ـ أطنه والثاني خط أطنه ـ فوزي باشا ، وأتم في هذه المدة القصيرة عملية (١٩٨٥) كيلو مترا من خطوط الحديد ، وما هو على وشك الختام تبلغ مسافته (٢٢١٣) كيلومترا ، وقد وصلت

الخطوط الآنفة الذكر أنقره بقيصرى وقيصرى بسيواس وسيواس بصامسون وكوتاهية بباليكسر واولو قشلة ببوغازكوى وايرمق بفيليسيوس وفوزي باشا بديار بكر • وأصلح نظام الجامعة وأبلغ عدد أساتذتها الى أربعماية أستاذ •• وأنشأ في كل قريةمن قرى الاناضول مسجدا ومدرسة وأكثر من انشاء المستشفيات وعني بالصحة العامة أكبر عناية ، الى غير ذلك مما هو مذاع فى احصائيات الجمهورية خلال عشر سنوات •

وجدير بالشعب التركي أن يحتفل اليوم بعيد السنة العاشرة للجمهورية ويقيم الأفراح والمسرات ويلقب هذا اليوم بيوم النجاة والسؤدد والمجد الطريف ، وهو غرة فى جبين الشرق عامة وعالم الاسلام خاصة •

وحقيق بنا أن نشاطر اخواننا الأتراك أفراحهم لما بيننا وبينهم من روابط مرت عليها القرون وجعلتنا كنفس واحدة فعزهم عزنا ومجدهم مجدنا وسعادتهم سعادتنا ، ولنا أسوة بهم اذا ما أردنا أن نسير واياهم في مضمار الحياة كفرسي رهان و (لمثل هذا فليعمل العاملون)[1] •

فهمي المدرس*

---

(١) الصافات : ٦١

(*) جريدة «الاخاء الوطني» العدد ٤٩٤ السنة الثانية ٢٩تشرين الاول ١٩٣٣ •

الجمهورية الكمالية

في عامها الحادي عشر

تقام الافراح اليوم في أنحاء تركيا الحديثة احتفالاً بعيد الجمهورية الكمالية التى مرّ على تأسيسها أحد عشر عاماً كل يوم من أيامها عيد وأي عيد ... !

واذا ما احتفل اخواننا الترك بهذا اليوم فانما يحتفلون بحريتهم واستقلالهم وبذلك التقدم السريع فى مضمار الحضارة الذى عم البلاد شرقا وغربا فى كل ناحية من نواحي الحياة حتى بلغ أقصى ما تصل اليه قابلية البشر في مثل هذا الزمن القصير ، ومنتهى ما يتناوله العزم الخارق من الفوز فى احياء مجد مندثر وتدبير مملكة تكاد تلفظ آخر أنفاسها وليس لها ولي ولا نصير .

حكمة بالغة ودهاء فوق كل دهاء ، وعزم لم يبلغ مداه أحد من المجددين فى طي الزمان بتلك السرعة الذائعة الصيت التى شغلت صحف العالم على الاطلاق ، ورددها الساسة والزعماء مع الاعجاب والاكبار في مشارق الأرض مغاربها ، الاصدقاء منهم وغير الأصدقاء .

حقاً لقد أنجب الشرق بعد عقم دام قرونا من بين مئات الملايين من رجاله دهاء يحق للأقوام الشرقية ان تفاخر به الامم الغربية اذا عدت مناقب الفتح والتجدد والاصلاح .

أسس الغازي مصطفى كمال باشا الجمهورية على أنقاض دولة كادت تتلاشى بين أضراس الحرب العامة . لم يُبق لها الطالع الغشوم من تراث الفاتحين سوى ذكريات العظمة المطمورة فى أعماق التاريخ .

ملك مضاع ، وشعب مأسور ، وسلطنة لا تملك من الأمر شيئاً ، وبقايا مملكة تخفق عليها أعلام الاحتلال ، ولم يكن من عناصر القوة سوى

نفر منهوك القوى هائم على وجهه يتنقل من قمة الى قمة يترقب الموت على عدد الدقائق والساعات .

وهذا ما حمل بعض السياسيين فى الغرب على التصريح :ـ بان الترك ماتوا وقبروا ووضع عند رأسهم حجر التاريخ ، ولكن غيرة الله أبت الاّ أن تكون كلمة الحق هى العليا .

نهض الغازي باولئك النفر المتشردين فى الفيافي والجبال ، ونفخ فيهم روح الحماسة والشمم وعرض عليهم من صحائف آبائهم الأولين ما جعلهم يؤثرون الموت على حياة الذل والاستعباد وجرد السيف وسار بهم الى الأمام وأقام على سواعدهم دعائم المجد ، ورفع راية النصر والفتح المبين .

ولم يكن هذا النصر مقصوراً على الأمة التركية بل عمت أفراحه الشرق من أقصاه الى أقصاه .

فعيد الجمهورية الكمالية هو عيد الشرق بأسره على اختلاف العناصر والمذاهب والأديان ، كما ان مصيبة الاحتلال من قبل ذلك النصر العزيز لم ينفرد بآلامها الشعب التركى وانما كانت مصيبة الشعوب الشرقية بدون استثناء .

التطور فى عهد الجمهورية :

أما تطور البلاد فى عهد الجمهورية الكمالية بعد وقوف دام قرونا وبعد نوائب الانقلابات ومصائب الحروب المتواصلة فهو من الأمور التى تتوقف معرفتها على المشاهدة ، اذ ليس من السهل ان يتصور الكاتب حركة مستمرة كل يوم هى في شأن ، والسر فيها ان (الغازي) لم يقصر نظره على ناحية من نواحى الحياة ، بل نظر الى جميع النواحى بما تستحقه من العناية وعالجها فى وقت واحد وبسرعة خارقة معالجة حكيم حاذق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة طبقا للخطط التى رسمها فى مخيلته من قبل أن يقبض على ناصية الحكم ، وأهمها العلم والقوة والمال .

فأعدّ لهذه العناصر الحيوية عدتها على ما فى البلاد من انحلال وجهل وخراب وفقر عام ، وأصبح لديه فى خلال أحد عشر عاما جيشان : جيش مجهز بأحدث الآلات والأدوات الحربية ، وجيش مثقف تثقيفا عصريا في جميع الشعب العلمية والفنية .

بدأ بالأصلاح العلمي من تعليم الأميين ، وتعديل مناهج التعليم الابتدائي والثانوى وجعلها مطابقة لمناهج العصر الحاضر الى أن ألغى (دار الفنون) وأسس بدلاً منها جامعة على نسق الجامعات الاوربية بعنوان (اونيوه رسيته) استدعى اليها أساتذة اختصاصيين من الأجانب ، وأحدث فيها كرسيا خاصا لألقاء المحاضرات حول انقلاب أنقرة يلزم بها طلاب التحصيل العالى .

وأنشأ المصارف الزراعية والصناعية ومعامل لمختلف الحاجات وأضاف اليها في هذا العام معامل السكر في (باقر كوي) وفى (أزمير) وفى (تور حاللي) وافتتح فى أزمير في ٩ أيلول ١٩٣٤ معرض بين الملل الرابع ، واشترى سكة حديد (ديار بكر ـ أرغني معدني) وسكة حديد (أزمير ـ ايدين) علاوة على السكك الحديدية التى اشتراها فى العام الماضى وحصر التجارة بأيدي الأتراك ، وفضل القرض الداخلى على قرض من دولة أجنبية حذراً من أن يؤدي الى صراع قد يؤثر في روح العلائق الودية أو يجر الى التحكم فى بيت المال .

والذى يظهر من النشرات أن البلاد ستكفي بمنتجاتها الوطنية بعد ثلاث سنوات .

وبعد أن كانت النفوس لا تتجاوز (١٤) مليونا أصبحت تزيد على (١٨) مليونا بفضل الوسائل المعدة لهذه الزيادة ، من التشجيع على الزواج وتخفيف نفقاته بحكم القانون ، ومكافحة الأمراض الفتاكة ، وحماية الأطفال ، وتشويق الاتراك على الهجرة من البلاد الاجنبية الى تركيا .

ونهج فى السياسة الخارجية منهج التودد والمسالمة مع جميع الدول

على أساس دفع الشر بالتى هى أحسن ، لأن البلاد فى دور تفتقر فيه الى الاستقرار التام والانصراف الى السعى والعمل .

ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام ما أبداه من المهـــارة فى تحقيق الحلف البلقاني الذى عقد فى ٥ شباط ١٩٣٤ الضامن للسلم والموالاة بين تركيا ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان على أن ينعقد المؤتمر عند الحاجه في استانبول . والاتفاقات المهمة بين تركيا وروسية ، وتأييد الروابط بـين الشعبين التركى والفارسى والتآخي بينهما عندما زار أنقرة صاحب الجلالة (رضا شاه بهلوي) شاهنشاه الامبراطورية الايرانية فى ١٢ حزيران ١٩٣٤ ، وانتخاب تركيـــا للعضوية فى مجلس عصبة الأمم فى أيلول ١٩٣٤ ، وتسوية ما حدث فى شواطىء أزمير من الحادثات الثلاث المعلومة مع بريطانيا وايطاليا وفرانسة بأسلوب ينـم عن دهـــاء وحكمة وانتباه ، وانعقاد مؤتمر البرلمانات الدولى في استانبول في تشرين الاول ١٩٣٤ .

وبين هذه الأعمال التى يحتاج كل منها الى زمن والى انقطاع عمـا سواه بنى عاصمة للملك على خطط عواصم الغرب .

أوردنا هذه الكلمة لا لاطلاع القراء على حركة التجدد والاصلاح فى قسيمتنا تركيا خلال أحد عشر عاما المعلومة لدى معظمهم من طريق المشاهدة أو من اذاعات الصحف ، بل لنلفت الانظار الى ان وضع تركيا قبل تأسيس الجمهورية الكمالية لم يكن بأحسن من وضع العراق حين الانفصال ، ولكن جهاد اولي العزم من رجالها أوقف كل طامع عند حده وجاء بما لم يكن فى الحسبان . اذ لا عذر اليوم لأمة تقف أمام الحركة العالمية وقفة المتفرج لا تبدي حراكاً مهما كان شأنها فى منظومة الدول ، والظروف الحاضرة جعلت الامم تحسب للدقائق حســـابها فضلاً عـن الأعوام .

وان الذى يدرك وضع العالم ويقدر وضع بلاده ويعلم ما يعده البشر للبشر من الدواهى والآفات لا يلذ له عيش ، ولا يقر له قرار ، ولا تأخذه سنة ولا نوم حتى يرى بلاده في أقصى مراتب العز والكمال .

فهمي المدرس*

(*) جريدة «الاخاء الوطني» العدد ٧٩٢ السنة الرابعة ٢٩تشرين الاول ١٩٣٤/٢٠ رجب ١٣٥٣ .

فلسطين بضعة من العراق

ما أذاع البرق نبأ التقسيم الا التهب الشعب العراقي ، وأخذ الحماس منه مأخذه ، وعمّ الهياج ، وغصت الميادين بالجماهير الملتهبة احتجاجا على ما حواه تقرير اللجنة الملكية من الاعتداء على اخواننا الفلسطينيين فى حقهم المشروع وعلى مقدساتهم وأمانيهم القومية وتراثهم التليد ، والضربة القاضية على مجد العرب وعلى مفاخر المسلمين منذ عهد الفاروق (رض) الى يوم الانتداب .

ولم يخطر على البال ان الانتداب الوقتي الذى فسرته (عصبة الامم) بالمساعدة والمشورة ينقلب الى جعل الارض المقدسة نهباً مقسماً ، وان التدريب على الحكم الذاتى يتمثل فى استباحة ملك الاهلين واجلائهم عن مواطنهم تاركين وراءهم أقدس الخواطر وأعز الذكريات ، وان يحل في محلهم شراذم من المتشردين الذين جيء بهم من شتى البلاد النائية لغايات هى ونص الميثاق على طرفي نقيض .

اضطرب العراق وارتعدت فرائصه لهذا القرار ، ووثب وثبة الأسد الهصور لأن فلسطين بضعة منه ، فقد ضمت الارض المقدسة عظام الآلاف من العراقيين الفاتحين الذين جاهدوا فى جيش بطل العراق (صلاح الدين الايوبي) ذلك الفاتح العظيم الذى انحنى لجلاله وعظمته العالم بأسره ، وركع أمام ضريحه (ويلهلم الثانى) في أيام شوكته واضعاً عندرأسه التاج اجلالاً لمقامه الرفيع .. وتلك من المفاخر التى تتوارثها الأعقاب جيلاً بعد جيل .

وما من أمة استسلمت للقضاء على مفاخرها الاّ اندثرت وبادت وأصبحت أثراً بعد عين . لذلك كان النبأ المفاجىء وقعه الأليم فى الأندية والمجتمعات العراقية على اختلاف العناصر والطبقات .

ولو لم تعالج الحكومة تلك الثورة النفسية وذلك الهياج العام بالحكمة والموعظة الحسنة لما وقف الأمر عند هذا الحد ، اذ ليس الباعث

على ذلك فوران الشعور الديني وغليان العصبية القومية فقط ، وانما هنالك بواعث أخرى استفزت العواطف وهزت الاعصاب .

فان إحداث دولة من رعايا أكثرهم أجانب عن البلاد ، رؤساؤها لهم السيطرة على العالم بما لديهم من أموال لا حساب لها ، خطر يهدد العراق أولاً وبالذات .. لأنه من المستحيل ان تبقى تلك الدولة المستحدثة محصورة فى الساحل ما دام باب الهجرة مفتوحا وليس فى الامكان سده مهما تعهدت الدولة المنتدبة ومن ورائها عصبة الامم ، واذا ما ضاقت بهم الارض وانسدت فى وجوههم طرق المعيشة فلا مانع يمنع ذلك السيل الجارف من التسرب الى العراق والاستيلاء على موارد حياته ، بل ولا مانع يمنع غيرهم من الاقوام الذين تضيق بهم الارض ويتعذر عليهم سد الرمق من الهجرة الى ارض الرافدين ومزاحمة الاهلين فى ارزاقهم قياسا على الذين يهاجرون اليها من أرض فلسطين ، فضلا عن الاخطار التى ذكرتها الحكومة فى مذكرتها الى عصبة لامم المنشورة فى الصحف المحلية ، وكل منها سبب كاف للدفاع عن فلسطين ومقاومة ذلك القرار .

فكان حتما على العراق ان يحسب لها ألف حساب ، وان لا يقر لـه قرار ، وان يسبق غيره من الاقاليم العربية والاسلامية برفع الاحتجاجات أما من ناحية الشعور الدينى والعصبية القومية فلا نظن أن مسلما صادق الايمان وعربيا يجرى فى عروقه دم العروبة يتوانى فى تضحية أعز ما لديه فى هذا السبيل .

وانا على يقين بان دول الاسلام بما فيهم ملوك العـــرب وامراؤهم سيكون لهم فى هذا الامر الخطير موقف رهيب . اللهم الا من طبع على الذلة والمسكنة ولاذ بالخيانة من طريق الحياد لينال من الاجنبى نصيبا زهيدا من الجاه الزائف والحطام الفانى ، ولا نظن ان بين العرب والمسلمين من تحدثه نفسه بمثل تلك الخيانة ، وان وجد على سبيل الشذوذ فذلك ليس بمسلم حقيقى ولا عربى خالص الدم ، ولا بد من أن يذوق وبال أمره ، ويستحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ولقد رأينا من صالحنا ومن صالح حليفتنا ان نقترح لهذه المعضلة حلا يضمن الاستقرار والطمأنينة الى أمد بعيد ، ولا يدع مجالا للفتن والانتقام، ألا وهو استفتاء الشعب الفلسطيني في شكل الحكم الذى يرتضيه ، باستثناء الدخلاء الذين جيء بهم الى الارض المقدسة في عهد الانتداب ، اذ ليس لهم أي حق يخولهم الاشتراك في مقدرات بلاد ليسوا من أهلها .

كما اننا نعتقد بان ذلك الحل في صالح اليهود المتوطنين في البلاد العربية منذ قرون ، وهم يتمتعون بعين الحقوق التى يتمتع بها غيرهم من الطوائف آمنين مطمئنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وهم المهيمنون على اقتصاديات البلاد ، وهم أصحاب الثروة ونحن الفقراء .

أما اذا تم التقسيم ـ ولا نعتقد ذلك ـ فالعاقبة مجهولة ..

اذ كيف يعقل ان تفتك السياسة بالعرب والمسلمين ذلك الفتك الذريع ومئات الملايين من المسلمين يخلدون الى السكينة ويلتزمون الحياد ، والشعور بالواجب في هذا الموقف سواء بين العربي والتركي والفارسي والافغاني والهندي والكردي والصيني وغيرهم من العناصر المسلمة .

هذا ما اردنا بيانه حقنا للدماء ، وحرصا على محافظة السلم العالمي وقطع دابر الفتن ، معتقدين في ذلك الخير لنا ولهم (والسلام على من اتبع الهدى)[1] .

« عراقي* »

---

(١) طه : ٤٧

(*) جريدة «البلاد» العدد ٩٤١ الصادر في ١٠ آب ١٩٣٧/٣ جمادي الثانية ١٣٥٦ .

الشرق وأساليب الاستعمار

مارس المستعمرون طبايع الشرقيين وعجموا عودهم ، فتبين لهم بعد الممارسة والتجارب فى مختلف المقاطعات ان الامر لا يتم لهم الا بتمزيق الوحدة وافساد الاخلاق .

أما تمزيق الوحدة فذلك عليهم هين . لان كل مقاطعة من مقاطعات الشرق تضم بين ظهرانيها طوائف وعناصر شتى ...

ومن السهل ايقاظ الفتن اذا كان القوم طرائق قددا ، واذا كان التعصب الاعمى مسيطرا على العقول ، ومن وراء ذلك سياسة الاغراء تمدهم بالقوة والمال .

فما احتلوا أرضاً من أراضى الشرق الا استفحلت العداوات ، وانتهبت الحزازات ، وتوالت الفتن وتمادت الثورات ، وسالت الدماء ، وتمزقت الوحدة ، ساءت الاخلاق . والامثلة على ذلك أمامنا ونصب اعيننا ، ومن الطرق المؤدية الى هذه الغاية التلويح بالمناصب لنفر من الاسقاط ، لانهم أسلس قياداً ، ولانهم أسرع واسطة لمسخ الشعور وافساد الاخلاق ، وترويج المقاصد فتثور في النفوس ثائرة الحسد ، وتدفعهم العنجهية الى التكالب على المنافع الشخصية من وراء الجاه الزائف .

فمن تزلف ومواربة ، ودس ومغامرة ، الى تشاحن وتباغض ، الى نزعات هدامة ، حتى تنكشف المعايب والمساوىء ، وتفصم عرى الوئام ، ويقوم الحكم على أساس فاسد لا يمكن تلافيه والاستعمار (باسط ذراعيه بالوصيد)[1] .

هذا ما ظهر للمستعمرين من تجاربهم التى مكنتهم من الاستعباد على طول المدى .

---

(١) الكهف : ١٨

ولن تتبدل تلك السياسة مادام الاستعمار فاغراً فاه لا يغادر بقعة من بقاع هذا الشرق الغافل الاحاول احتلالها •

الحكم الاهلي :

وقد افادتهم التجارب ان تأسيس الحكم الاهلى فى المستعمرات اضمن لمصالحهم من الحكم المباشر واقل مؤنة •

فيؤلفون حكومات واسعة النطاق لها من التشكيلات الادارية والسياسية والصحية والعلمية والزراعية ، ومن مؤسسات العدل والامن والعمران مالغيرها من الحكومات العريقة في الحكم ، وقد تكون اوسع منها بالرغم من حداثتها واحتياجها المحدود • ذلك ليتناول جم غفير من الاهلين رزقهم من بيت المال بدون ادنى مشقة وعناء ويعرضوا عن الاكتساب عن طريق التجارة والصناعة والمهن الحرة والتشبث الشخصى المتوقف على مواصلة السعى والعمل ، واقتحام العقبات •

فتستغرق ميزانية الدولة نفقات الرواتب والترف والابهة وفى ذلك فائدة اخرى للمستعمرين وهى التمويه على المقاطعات التى لم تصل اليها ايديهم من بلاد الشرق لعلها تنجذب الى تلكم المظاهر الخلابة فتقع فى الفخاخ كما وقع غيرها •

واذا ما تحتم انفاق شىء على مشروع ما حقاً كان أو باطلاً فعندئذ يفتح باب القرض على مصراعيه لتنوء البلاد بأعباء الفائض ورأس المال •

الحكومة الاهلية ومظاهرها :

تتألف الحكومة الاهلية على هذا النمط فتغص دواوينها بجماهير الموظفين من مديرين ، ومعاونين ، ومميزين ، وملاحظين ، ومدققين ، ومراقبين ، ومشاورين ، ومفتشين ، ورؤساء ، وحكام ، وكتاب ، وطابعين ؛ وغيرهم •

واذا تتبعت الآثار فانك لا تلمس من هذه التشكيلات المطنطنة سوى عدد كبير من السيارات المصطفة فى قاعات الحكومة وغرف مؤثثة بأجمل

الاثاث واضبارات مسطرة على المناضد تسع وتسعون بالمائة منها معامـــلات تدور حول أمور لا شأن لها سوى تكثير السواد ؛ وقوانين تعدل وتغـير بحسب الاغراض ، ونقل وتحويل لا داعي لهما ســـوى الاشتغال بالعبث والاسراف في النفقات ، والغاء يعقبه احداث بعين المعنى ، وعود على بـــدء كلما تغيرت الوزارة ، وجمهور من المراجعين على ابواب الدواوين يترقبون الرحمةمن أولياء الامور ،وآلاف من المرضى تعبثفي حياتهم اطماع الدجالين:

والناس في غفلة عما يراد بهم
كأنهـم غنـــم في بيت جزار

أما مؤسسات المعارف ، والصحة ، والامن فمما تحمل على الاعتقـاد بانها لم تؤسس الا لافساد الاخلاق ، وقبض الارواح ، وتشجيع الجرائم ؛ ومما يحمل المستعمرين اوزارا فوق اوزارهم .

الملاهي والخلاعة :

ولكي يصرف الرأى العام عن التفكير في هذا الوضع الاليم يفسـح المجال لتشييد مواقع اللهو والخلاعة والمقامرة بأنواعها فينغمس الشعب على اختلاف الطبقات ذكوراً واناثاً في اللذائذ الدنيئة والشـــهوات البهيمية المؤدية الى الافلاس ، ومسخ الاخلاق ، واقتراف الجرائم ولا ســـائل ولا مسؤول .

الدستور والبرلمان :

ومن أساليب الاستعمار ان يخلع على المستعمرة دســـتوراً يجعـل الحكومة مسؤولة تجاه برلمان ينتخب اعضاؤه من قبل الشعب وفقاً لقانون خاص ، ولا يعمل به . لان الوضع يقضي بأن لا يتعارف النواب والشعب الا في قاعة البرلمان .

غير انه ـ تحلّة للقسم ـ تجرى مراسم صورية تتناول ما جـــاء في قانون الانتخاب من هيئات تفتيشية ، والواح معلقة ، وخزانات مهيأة فـي المناطق ، واذاعات في الصحف عن فوز المنتخبين الثانويين والنواب ...

والشعب لا رأى له فى جميع ما يجرى من هذه المراسم التى عرف دخائلها فابى الا الابتعاد عنها ،ويعبر عن هذه المقاطعة العمومية بالهدوء والسكون • والغرض من هذه المراسم ان يصطبغ البرلمان صبغة مشروعة في الظاهر لان كل وزارة تتبوأ مقاعد الحكم مكلفة بتنجيز قسم من مطالب المستعمر كتشريع القوانين التى تتطلبها مصالحه وتصديق المعاهدات والمقاولات المجحفة بحقوق البلاد •

واذا سمح للشعب بانتخاب نوابه على الطريقة الدستورية فمن الملحوظ ان لاتتحقق الاكثرية المؤيدة للوزارة والوزارة مضطرة الى مجلس يؤيدها على كل حال، بعد ان تحل المجلس السابق بحجة استفتاء الشعب فى الاصلاحات الخطيرة والاصلاحات الخطيرة فى لغة المستعمرات هى تنجيز تلك المطالب الاستعمارية عن طريق البرلمان ، كأن الشعب هو الراغب فيها •• واما ما يخص البلاد من الاصلاحات فابقاء ما كان على ما كان هو الاصلح ليستمر التطور المعكوس المؤدى الى التفسخ والانحلال وبذلك يطول أمد السيطرة ويمتد النفوذ من طرف خفى الى كليات الامور وجزئياتها فيظهر عندئذ رجحان الحكم المباشر على الحكم الأهلي ولذلك يطلب الى رجال الحكم ان يصرحوا بأنهم احرار فى تصرفاتهم لتسند الخيانة اليهم ويشتد التذمر من أعمالهم والاستهتار بهم ، والنقمة عليهم ويتخذ ذلك سببا لاسقاط الوزارة عند انتهائها مما هى مكلفة به من الاصلاحات الخطيرة التى مر ذكرها وهكذا دواليك •

المعارضة المصطنعة :

ومن جملة الاساليب ايجاد فئة معارضة فى البرلمان على ان لا تتجاوز حدود الاقلية الضئيلة للايهام على الخارج وعلى الاجيال المقبلة بمشروعية الاعمال ، فتتحمس ، وتجادل ، وتصخب وتثير ضجة يرن دويها فى الآفاق ، وتُهان ، ويخرج بعض رجالها من المجلس ، ويستقيل وان هى الا أمور مصطنعة •

وان هذه المراسم الصورية وتلك المعارضة المرتبة لما يسد باب الاعتراض فى المستقبل على المشاريع التى ينجزها مثل هذا البرلمان ضد مصلحة البلاد .

الاحزاب والجمعيات :

وقد تتألف الاحزاب والجمعيات فما تلبث ان تخمد انفاسها لما تقاسيه من مطاردة الحكومة الاهلية ، فلا يسعها التوسع وايقاف الرأى العام على ما يضره وينفعه لان ذلك يعارض أهداف السياسة الاستعمارية التى ترمى الى تدريب الشعب على الجمود والانخذال .

حرية الصحافة :

ومن الاساليب المألوفة لديهم اطلاق الحرية للصحافة المحلية قبل تأسيس الحكم الاهلى فاذا ما حكم الاهلون ضاق عليها الخناق وتقيدت بالمدح والاطراء ما دامت الوزارة قائمة واذا ما انتهى أمدها قلبت لها ظهر المجن وانقلبت الى طعن وتشنيع لئلا يبقى بين الاهلين من يوثق باخلاصه ونزاهته وتبقى الكفة الراجحة فى جانب الحكم المباشر ، وتوزن الاخلاق بهذا الميزان .

الغرابة فى منح الحكم :

ومن اغرب ما فى الاساليب انهم لا يمنحون هذا الحكم الهزيل الا بعد الملاحم الدامية والتهجير والتقتيل والحبس والنفى ، والاعدام ... ليتراءى للشعب المجاهد بعد الحصول عليه انه خرج من الظلمات الى النور ... فيقيم الافراح ، والاعياد والحفلات ، والمهرجانات ، ويرفع الاعلام ، ويطوف المدن ويضرب الطبول ويعزف ويترنم بالاناشيد ويهنىء بعضه بعضا باسم الحرية الكاذبة والاستقلال الموهوم .

واذا ماعرضت عليه المعاهدات والمقاولات فانه يقبلها عن طيبة خاطر ، وهى تلكم الصكوك الاستعمارية الا انها تكتسب شكلا مشروعا بالموافقة عليها .

الاستعمار ومسخ الشعوب :

ولو شاء المستعمرون لجعلوا من المستعمرات جنانا مزدهرة بأزاهير

الحضارة والمدنية لا تختلف عن بلادهم فى شىء .. ولكن غرضهم الاسمى هو القضاء على البقية الباقية من مواهب الشرق ليتسنى لهم الاستعباد الى أمد بعيد .. ولذلك لهم من الاساليب ما من شأنه ان يجرد الشعب من الارادة وحرية الأختيار ويسلبه جميع خصائص الانسانية من رأفة ورحمة وغيرة وحمية وشهامة .

فلا يتألم لفاجعة ، ولا يحزن لمصيبة ، ولا يرق لبائس ولا يشعر بواجبه تجاه نفسه ووطنه وخالقه ، ولا يستنكر الفاحشة ما ظهر منها وما بطن (كأنهم خشب مسندة)[٢] .

الخاتمة :

اتينا بهذه النبذة من الاساليب المعلومة لدى الكثيرين من متتبعى سياسة الاستعمار لتنبيه اخواننا المسلمين المجاهدين فى البلاد المعذبة الى ان مثل هذا الحكم الممقوت (لا يستحق) التضحية بالانفس والاموال فلا تغرنهم الفخفخة ولا ينخدعوا بالظواهر كما انخدع غيرهم (ولات حين مناص)[٣] .

« **عراقى** »*

---

(٢) المنافقون : ٤

(٣) ص : ٣

* الكفاح ، العدد ٢٦٨ الصادر فى ٤ آب ١٩٣٨

بمناسبة الاصلاحات المنتظرة :

حول التربية والتعليم

يجب ان تبنى التربية على أسس التعاليم الاسلامية

التعليم الابتدائي :

لما كان التعليم الابتدائى هو الاساس الذى تبنى عليه درجات التعليم فى جميع شعبه وفروعه وأول مرحلة يجتازها المتعلم فى سن تتطلب الملايمة مع نفسيته وبنيته وادراكه وجه اليه ذوو الشأن فى البلاد الحرة أقصى ما يمكن من العناية والاهتمام بعد الممارسة والتجارب الدقيقة فأعدوا له طبقة من المعلمين الذين فى استطاعتهم ان يتمشوا مع مستوى التلميذ وحالته النفسية المتغلب عليها الانفعال لادنى شيء .

والتزموا فى منهاجه وكتبه منتهى السلاسة والسهولة مع مراعاة التدرج بحسب النمو والقابلية بحيث ان التلميذ لا يشعر بأقل كلفة فى تلقى المباحث وحفظها والانتقال من صف الى آخر .

وحدودا عدد التلاميذ فى الصفوف ليتمكن المعلم من تمرينهم فرداً فرداً .

وجعلوا للمدرسة ميزة على غيرها فى تنسيق حدائقها والعابها ليقبل عليها التلميذ اقباله على أحب شيء اليه .

وابتكروا من الهدايا ما يتناسب مع اذواق التلاميذ ليزدادوا شوقا ونشاطا وحبا للمدرسة .

وقد مضى على تأسيس الحكم الاهلى فى العراق (١٨) عاما ولم نفكر فى اعداد طبقة من المعلمين والمعلمات على الوجه المذكور ولا وضعنا منهاجا وكتبا تلايمه ولم نحدد عدد التلاميذ فى الصفوف ولاتزال دور السكنى المعدة لبضعة اشخاص على هندسة سقيمة لا يتخللها الهواء الجيد ولا فسحة

فيها للتنفس فضلاً عن الحدائق والالعاب يكتظ فى حجراتها المئات من الاطفال بالرغم من اختلال صحتهم واضطرابهم من ذلك الازدحام .

ومن النقائض البارزة فى التعليم الابتدائى ان معظم كتبه غير مشكول وذلك مما يشكل القراءة على الطفل ويتعب ذهنه ويولد فى نفسه الملل ويعوّد ابناءنا وبناتنا على اللحن حتى بعد الدراسة الثانوية كما هو واقع بالفعل .. والاستغناء عن الحركات انما يصح اذا كان تدريجيا وبنسبة الممارسة والرسوخ والوقوف على القواعد والا فالتلميذ يستمر على اللحن حتى يصبح اللحن عادة ملازمة له .

وقد اطلعنا على كتاب الدين فوجدنا اكثر المباحث لم يقسم على الصفوف تقسيما يلايم قابلية الطفل والطفلة كتكليفهما بمعرفة (الصفات الثبوتية والسلبية) وهما فى الصف الثالث وان الكلام هو المعنى القائم بذات الله.. والزامهما بمعرفة الفروض والواجبات والسنن والمستحبات .. فذلك كله مما لايسعه ادراكهما . على ان الطريقة العملية فى الوضوء والصلاة فى هذا الصف أكثر فائدة من حفظ الالفاظ بدون فهم وتطبيق .

وبعض المباحث لازم حذفه بالنظر الى الاناث كالزام البنت الصغيرة بمعرفة أحكام اللحية الكثيفة واللحية الخفيفة فى الوضوء وكيفية صلاة الجمعة والعيدين وهى غير مكلفة بها .

وابحاث تشمئز منها نفس الطفل والطفلة كتكليفهما بوزن مقادير النجاسة المغلظة والنجاسة المخففة فى الصحيفة (٧) والمياه تتدفق من كل جانب .. الى غير ذلك مما نؤمل ان يتناوله منهاج الاصلاح فيما يتعلق بتهذيب كتب الدراسة الابتدائية .

ولذلك نجد الطفل مغتبطا يوم قبوله ، وبعد قليل تبدو عليه علائم النفرة والانزعاج ثم يؤول به الامر الى انتحال الاعذار للتأخر والانقطاع واستعمال وليه معه الشدة والارهاب حتى تنقلب المدرسة فى نظره الى سجن وينقلب العلم الى آفة من الآفات .

ومن هنا يظهر الفرق بين اسلوب التعليم والتربية فى العراق وبين اسلوبه فى البلاد الاخرى ومع ذلك يزدحم أولياء الاطفال على أبواب المدارس كلما حان وقت القبول ازدحاما لا يتفرق الا بالقوة .

العراق والمواهب الفطرية :

على ان العراق لم يكن ـ قبل هذا العهد ـ محروما من التربية والتعليم وان العراقيين لهم من المواهب الفطرية ما يمكنهم من قطع المراحل بأقصر مدة ويجعلهم فى مقدمة الناجحين فى الاعمال .

كما سبق لهم ان امتازوا عن غيرهم فى المدارس العثمانية ـ على اختلاف درجاتها ـ ملكية وعسكرية مع ان لغة التدريس كانت غير لغتهم .

ويكفى دليلاً على ذلك ان معظم القائمين بالعمل منذ تأسيس الدولة العراقية هم اولئك العراقيون الذين تخرجوا في تلك المدارس ومارسوا الاعمال فى ذلك العهد .

الوضع الخاص وتأثيره :

ولولا اساليب الوضع الخاص وعوامل اخرى ليس هذا محل بيانها لما كان نصيب العراق من التقدم والرقى بأقل من نصيب قسيمته تركية وجارته ايران فى خلال السنوات العشر الاخيرة .

فان من أساليب الوضع فى العراق التزام عدم التجانس بين رجال العمل ، وتوديع الامور الى غير أهلها لاعتبارات لا أثر لها فى غير هذا القطر . وذلك مما يجعل السير مرتبكا ـ بطبيعة الحال ـ فى جميع المشاريع الحيوية ومن جملتها مشروع التربية والتعليم .

فكلما تكونت المادة الصالحة اعتورتها الاهداف المتضاربة والتهمت من الوقت الثمين ما يتعذر تلافيه كالمناقشة حول تقرير (مونرو) الذى لا يستحق البحث والمناظرة لان الرجل لا يعرف من تقريره سوى التوقيع .. والجدل حول التربية اللاتينية والتربية الاميركية المجهولة مفاهيمها لدى الفريقين والاختلاف حول القراءة الصوتية القراءة الجميلة وكتبها التابع فيها

الفوز ـ بين آونة واخرى ـ لانتقال القوة من جهة الى جهة ، وعود على بدء بحسب التنقلات الادارية المتوالية التى لا داعى لها سوى ايجابات الوضع وتأثير العوامل التى اعرضنا عن ذكرها لضيق المقام •

حتى انقلبت ساحة التربية والتعليم الى حلبة نضال شخصى ومبارزات هى ومصلحة العلم على طرفى نقيض •• وأدت الى النقل والاقصاء وحملت فريقا من الاكفاء على اعتناق عمل آخر وفتحت ثغرة فى الملاك وجعلت مهمة التربية والتعليم ما بين جزر ومد •

نتائج التذبذب :

وكان من نتائج ذلك التذبذب حدوث الوقايع الاخيرة التى أماطت اللثام عن حقيقة التربية المنازع فيها بضع سنين بين فريقين كلاهما على ضلال ••• لان أساليب التربيتين اللاتينية والامريكية بعيدة كل البعد عن نفسية هذا الشعب وبيئته وحالته الاجتماعية وطبيعة الاقليم فضلا عن التباين فى خصائص العرقين السامى والآرى •

التربية الاجنبية والبيئة العراقية :

وأنّى لأبناء الشمال والجنوب ان يتأدبوا بآداب التربية اللاتينية والاميركية ، وهم حفاة عراة تلفح وجوههم الشمس ، ويهري أجسامهم الزمهرير ، قصورهم الاكواخ ، وحماماتهم المستنقعات ، ومستشفياتهم المرابض ، ووقودهم الروث والسرجين ، وقوتهم الدخن والشعير ، يعيشون على المصادفات ، متكلين على مراحم الطبيعة يفتك بهم الحر والبرد والمطر والريح العاصف والبرد والثلج والسيل والمحل ، علاوة على فتك الحميات وسائر العلل والعاهات •

فمن أى النواحى يتسنى تطبيق الاساليب اللاتينية والاميركية على هؤلاء البؤساء الذين يحسبهم اللاتينى والامريكى من بقايا القرون الاولى •• ؟!

ان لكل قوم تربية تلايم طبيعتهم ومزاجهم وشروط حياتهم وتقاليدهم وعنعناتهم •

فمن المستحيل ان يتأدب الفرنسي بآداب التربية الانكليزية ، وبالعكس وكلاهما غربيان والمسافة بينهما لا تزيد على ساعة وخمس دقائق في الـ (مانش) فكيف العراق ... !

والعراق يختلف شماله عن جنوبه ، ومدنه عن اريافه والمدن يختلف بعضها عن بعض باختلاف العناصر وتغلب البداوة والأمية على أكثر أقسامها حتى العاصمة . يختلفون في الطعام والشراب والمعاشرة والنفسيات والعادات والطبايع والازياء واللغات والقوانين ... وفي مثل هذه الفوضى الاجتماعية تزدحم على مداركهم القاصرة أساليب مختلفة الغايات والنزعات باسم التربية والتعليم .

النزعات وعواقبها :

فمن تربية لاتينية الى تربية أميركية ، الى تلقين صناعة الموت الى تقوية الشعور القومي الى وحدة عربية الى تنبيه العنصريات الى نعرات طائفية الى امبراطورية مترامية الاطراف الى شطحات مقتبسة من أساليب (جمعية الاتحاد والترقي) حتى تفرقت الكلمة وتمزقت الوحدة العراقية وصار النشء يتعثر بالاساليب السقيمة والنظريات العقيمة ويخبط خبط عشواء .

واذا كنا لا نستطيع ان نكون جامعة تجمعنا في عقر دارنا او في زاوية من زوايا المسجد للنواح على شهدائنا فكيف نقوم بمشاريع خطيرة وأعمال جبارة تتوقف على القوة والاتحاد والحرية والمال ؟

واذا كانت التربية العراقية أمريكية والتربية اليمانية تربية دينية واللبنانية افرنسية والتربية المصرية اسلامية في الدرجة الاولى وفي سائر الاقطار بدوية والوحدات القومية انما تقوم على اساس التربية والثقافة فعلى أي أساس تتحقق الوحدة العربية ..؟

انا لا نريد ان نستعرض الصفحات التي طواها العراق في خلال (١٨) عاما ولم تترك وراءها سوى الاسراف في الوقت والمال .. فذلك مما يجدد الاسى والألم . وانما نريد ان نستفز الهمم لوضع قواعد للتربية والتعليم

يكون لها أثر حسن فى حياتنا الاجتماعية المتألبة عليها عوامل الفساد منذ الاحتلال .

ومن جملتها أساليب التربية العامة التى اقتضت الظروف ان يتولى أمرها بعض العناصر ممن لا تسع مداركهم خطورة التعهد بهذا الامر الخطير الذى يتناول صلاحه وفساده حياة الملايين ومن النفوس فكانوا عالة عليها .

وان من شروط القيام بهذه الممارسة النضوج والتخصص بتحليل النفسيات بعد التشبع من المبادىء القويمة منذ الصغر فى احضان الامهات وفى بيئة تقيم للتربية الصالحة وزنا وتحسب للنقيصة الف حساب ... والنظريات وحدها لا تفى بالمرام .. والقائم بها يجب ان يكون مثالاً للغيرة والاخلاص ومحاسن الاخلاق بعيدا عن كل نزعة ما عدا النزعة الوطنية مجبولاً على احترام التقاليد والعنعنات ، شاعراً بالتبعة ، لم تشبه شائبة مما ينتقص من كرامة مركزه الدقيق فى المجتمع حريصا على حسن السلوك لئلا يكون قدوة سيئة ولاسيما فى التغاضى عن انتهاك الحرمة والكرامة . ولذلك لا يتعهد بها الا القليل .. وقد سبق السيف العذل .. وأصبحت الفكرة المختمرة فى الاذهان ان الغاية من الحياة هى التأنق والخلاعة واتباع الشهوات والاسراف عليها من حلال او حرام ، والخروج على كل اسلوب من أساليب التربية المألوفة فى العالم والحصول على الوظيفة بأنواع الطرق كما هو ظاهر للعيان .. وقد يكون للحادثات الاخيرة علاقة بهذه الفكرة المنبعثة من اساليب التربية السقيمة التى شوهت خصائل هذا المجتمع النزيه .

والعاملون عليها ما بين شامت ومتفرج . وقد بحت الصحف المحلية فى خلال (١٨) عاما بالتنبيه الى الخطر المحدق بهذا الشعب من وراء التربية الفاسدة وصاحت وناحت ولكن الوضع ابى الا الاستمرار على الفساد حتى استفحل الامر واستحالت التربية الفاسدة الى طبيعة ثانية .

وان أهم ما توجه اليه العناية فى ساحة التربية والتعليم توجيه الناشئة الى الهدف الاسمى فى معترك الحياة أثناء تجهيزهم بما يؤهلهم لخدمة المجتمع من الثقافة والتهذيب وتلقينهم بآداب اللياقة فى الاكل والملبس والمشى والمعاشرة والمقابلة واحترام النفس واجتناب المساوىء والتخلق بمكارم الاخلاق ليكون المتعلم عضواً نافعا لا مجرماً وشقياً والهدف الاسمى هو خدمة المجتمع بشتى الاعمال من ناحية الوظائف فقط .. وان يقتنع الطالب بأن طلب العلم هو للعلم أولا وبالذات. واذا كان الهدف مقصوراً على الوظائف فالعراق يضيق ذرعا وذلك خطر على مستقبل البلاد اذ لابد من ان يحدث يوما ما عداء بين المنتظرين وبين القائمين بالامر فيقع مالا تحمد عقباه .

المسؤولية والوضع الخاص :

وان الوضع الخاص الذى من شأنه ان يجعل الاكفاء المخلصين مكتوفى الايدى فى مراكز المسؤولية وآخرين فى حل من تصرفاتهم الشائنة هو الذى هيأ أسباب الفوضى .. والا فما هو العذر المبرر بعد ان اتسع نطاق التشكيلات العلمية اتساعا لم يدع جهة مما للحكومات العريقة فى الحكم من جهات الاختصاص الا تناولها ، وأخذت الحكومة تنفق عليها المال بسخاء .. كمديرية التربية والتدريس العامة ، والمفتشية العامة ومديرية المباحث الفنية ومديرية التعليم الثانوى ومديرية التعليم الابتدائى والقروى وعدد كبير من المديرين والمعاونين والمفتشين وملاحظيات للنشر والترجمة والاحصاء والرسائل والبعثات والحسابات والمكتبة العامة وشعب للامور الذاتية والصحة والطبابة والاشغال والتربية البدنية والتدريب العسكرى ولجان للمناهج وكتب الدراسة وتعادل الشهادات والترقية والانضباط واسئلة الامتحانات والمبايعات ومكتب خاص .. الخ وفوق ذلك المجلس الاعلى والى جانبه مديرية المعارف العامة .

وانا على يقين من ان هذه المراجع تضم بين جوانحها من رجال العلم والعمل من يغار على تهذيب الناشئة وتقويم عناصر الفضيلة ولكنه لا يملك من الامر شيئا فيكظم مكلوما أو يغادر مهموما .

وما كنا لننتظر من الوضع غير الذى عودنا اياه منذ (١٨) عاما لولا ان الحادثات المؤسفة أخذت شكلاً يحتم على ذوى الشأن وضع حد لها .

وعسى ان تعالج بهذه الفرصة معضلة التربية على الوجه الأصلح اذا سمحت الظروف لان خطر الفساد لا يقتصر على شخص او على فئة أو جماعة وانما يتناول عشرات الالوف من ابناء العراق عن طريق المشاهدة والاقتباس .

التربية والتعاليم الدينية :

والوجه الاصلح ان تبنى قواعد التربية على الاسس والتعاليم الدينية الملائمة لنفسية الشعب على أختلاف العناصر والطبقات فتسير به فى مضمار الحياة سيراً مستقيما موحداً ..واذا ماتحققت وحدة التربيةعلى هذا الاساس فان الوحدة العراقية تتكون بذاتها والوحدة العراقية هى حجر الاساس فى بناء الوحدة العربية . ومن ورائها الوحدة الاسلامية .

والتربية الصالحة هى التى تقوم عناصر النجاح فى كل أمر خطير ولا تتحقق هذه التربية الا بتصفية العناصر الفاسدة ... ولكن الوضع عودنا خلافه فان الذى يسد فى وجهه باب الرزق تفتح له أبواب التربية والتعليم كأن التربية والتعليم من سقط المتاع ، وان المراجع المختصة لا تتمسك بالعناصر الطيبة .

أما اذا لم يقم التعليم على أساس التربية الصالحة فلاحاجة الى تكثير المعاهد التى يتسع بها نطاق الجهالة وسوء الاخلاق ..

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم)[1] .

« عراقى »*

---

(١) التوبة : ١٠٥

* الكفاح ـ العدد ٢٧٠ الصادر فى ١٨ آب ١٩٣٨ .

بمناسبة الاصلاحات المنتظرة :

الامية وآفاتها وواجب المعارف

يتألف الشعب العراقي ـ باعتبار الاكثرية الساحقة ـ من طبقات الاميين المنبثين شمالاً وجنوباً على طول البلاد وعرضها الذين يرجع في أحكامهم الى العرف والعادة لا يفهمون من صفحات الحضارة سوى المنجل والمحراث اللذين ورثوهما عن آبائهم الاولين منذ قرون ، خاضعين لنفر من الرؤساء خضوعا مطلقا اقتضته التقاليد لعدم تمييزهم بين ما يضرهم وينفعهم في أمر دينهم ودنياهم .

يكدون في الليل والنهار ذكورا واناثا وليس لهم من حاصل كدهم سوى سد الرمق وستر العورة بابخس المواد ، والرؤساء هم الذين يتمتعون بالخيرات حسب اذواقهم . وفوق ذلك يعبثون بدمائهم ارضاء لجهة من الجهات لقاء (سلفة) أو اعفاء دين ، او قطعة أرض ... ولا حظ لهم فيما يناله الرؤساء سوى انهم يخربون بيوتهم بأيديهم .

والرؤساء هدفهم الزيادة التى لا حدود لها من الملك والمال (فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون)[1]

هذا ديدنهم وتلك حياتهم وذلك مبلغهم من العلم .

تمر العصور وينقلب نظام العالم وتتغير أساليب الحياة ، وهذه العنعنة لا يعتريها نقص ولا زوال ... ولن تتغير مادام الجهل مخيما بالربوع وما دامت الامية ضاربة اطنابها ومن وراء ذلك سياسة الوضع التى لم يكن يلايمها الا ابقاء ما كان على ما كان فى جميع الادوار .

وشعب هذه اكثريته ، حقيق بأن يتأخر فى مضمار الحضارة وان يكون عالة على غيره .

والاصلاح غير عسير فى هذا اليوم الذى توفرت فيه الوسائل وتمهدت السبل وعرفت الاساليب ... وقد اصطلح كثير من الشعوب فى زمن لم

(١) التوبة : ٥٨

تكن أسباب الاصلاح متهيأة فيه والامم الناهضة اخذت تحسب للدقائق حسابا فضلاً عن الشهور والاعوام !

ونقص كبير ان نهمل هذه الناحية الخطيرة وان تغذى الهمجية وتنمو في احضان المدنية وفي عصر العلم والنور .

التشكيلات العلمية ونتائجها :

ولما اتسعت التشكيلات العلمية اتساعا من شأنه ان يحدث انقلابا خطيرا في ساحة التربية والتعليم تبادر الى الذهن ان نظام التوسيعات سيتناول ـ اولاً وبالذات ـ مناطق الامية ومعالجة الامراض الاجتماعية في انحاء الجنوب والشمال ليعرف الفرد ماله وما عليه ازاء نفسه وخالقه ووطنه ويقدر رغد العيش فلم تخدعه احابيل المضللين وبذلك يقطع دابر الفتن ويصبح الفرد عضوا نافعا بعد ان كان آلة شر وفساد .

وان رجال التربية والتعليم المتخصصين في أساليب التربية الامريكية ادرى من غيرهم بأن اقصر الطرق الموصلة الى هذه الغاية ان يقوم ذوو الاختصاص بالقاء محاضرات على العوام باللغة المألوفة لديهم حول الصحة والزراعة والدين والواجبات الاجتماعية وقوانين الحكومة حتى يتزود السواد الاعظم بما يرفع المستوى العقلي ويقرب الى الاذهان ضرورة اليقظة والانتباه لئلا تكون الاكثرية الساحقة عقبة في سبيل التقدم كما قامت الجامعة الاميركية بمثل ذلك فكان أول عامل من عوامل تقدمها السريع ونهضتها الوحيدة في تاريخ النهوض .

ومما يتبادر الى الذهن ان نظام التوسيعات سيكون له اثر بليغ ـ بالسعي المشترك مع المراجع المختصة ـ في انشاء القرى العصرية المجهزة بالماء الصحي والكهرباء ... في كل قرية مدرسة ، ومسجد ، وحمام ومستشفى وصيدلية وروضة للاطفال وسوق يتناول المواد الغذائية تحت مراقبة مأمور الصحة وغيرها من الحاجات الضرورية المتوقف عليها نظام الحياة في هذا العصر ودائرة بلدية وسينما لتمثيل المناظر الزراعية والروايات المهذبة

للاخلاق وطرق معبدة ووسائط للنقل تربط القرى بعضها ببعض اذ ليس من المروءة ان يتمتع رجـــال التربية والتعليم بمعيشة هنيئة على حساب الاكثرية الساحقة والاكثرية الساحقة تمثل حياة البؤس والشقاء لجهلهم بمقتضيات الحياة .

هذا ما كان ينتظر من توسيع التشكيلات العلمية .

وبعد الانتظار الشديد بعد ان مضى على تأسيس المعارف الحديثة (١٨) عاما والناس يعللون النفس من عام الى عـــام ، ومن دور الى دور ، اذاع وزير المعارف الاسبق معالى السيد صادق البصام[٢] على اسرة المعارف بيانا بتاريخ ١٨/٩/١٩٣٥ جاء فيه :

(فعلى كل منا ان يؤدى الامانة المطلوبة منه وان يعمل بكل صـدق لابقاء هذه المؤسسة منبعا لناشئة قوية متحلية بالاخلاق القويمة والشعور القومى الصحيح بعيدة كل البعد عن الافكار المضرة والنزعات الهدامة التى حاول بعض الاغرار ادخالها فى صفوف اسرة التعليم) .

واولئك الاغرار المؤتمنون على تهذيب الناشئة وهم الذين تولوا قيادة الحركات المنافية للمصلحة العامة وسياسة الدولة ومبادىء الوحدة ... وفريق من السذج يجرفهم التيار على حساب الافكار المضرة والنزعـــات الهدامة وهم لا يشعرون .

النتائج المعكوسة :

وكان من نتائج التشكيلات العلمية الارتباك فى النقل والتحويل على الدوام والاستمرار وبسرعة تنم عن نوبة عصبية فقد عين أحد الموظفين ملاحظا للمكتب الخاص وبعد يومين نقل الى المميزية الذاتية وبعد ثلاثة أيام أحيل الى ملاك التعليم وبعد عشرة ايام عين ملاحظا للاحصاء . وأمثال ذلك مما يضيق به المقـــام .

---

(٢) وزير سابق ، اشترك فى عدة وزارات ، واختير لعضوية مجلس الاعيان لدوراته الرابعة والخامسة والسادسة . عمل فى المحاماة والصحافة العراقية فأصدر جريدتى « الدفاع » و « الحياد » . توفى فى ٢٨ آذار ١٩٦٠م/١ شوال ١٣٧٩هـ .

ومنها فتح مدرسة الهندسة ودار المعلمين العالية ثم اغلاقهما فى دور التقدم والنضوج ثم فتحهما بعد سنين وهذا التذبذب مما جعل العراق عالة على غيره فى استقدام المدرسين •

وابلاغ عدد المناطق الى اربع عشرة منطقة ثم تنزيلها الى خمس ثم تزييدها الى سبع •

وتغيير الانظمة لا لحاجة ماسة بل لتبديل عبارة بمثلها في المفهوم كتعديل النظام لتعديل عنوان (رئيس المفتشين) بـ (المفتش العام) والتقهقر فى الثقافة بدلالة الرسوب بنسبة تتجاوز النصف والنفقات الطائلة على بعوث يستخدم اعضاؤها خارج دائرة اختصاصهم •

والانحطاط فى التربية العامة الدالة عليه الحـــادثات الاخيرة التى شوهت سمعة العراق وأدت الى عدم الثقة وهدمت دعائم الفضيلة ومحاسن الاخلاق •

وكان على المسؤولين ان يتباعدوا عن مراكز المسؤولية بعـد هذا الفشل المريع كما هو جار فى غير العراق عندما يبين الخلل ويتحقق عدم الاقتدار •

الوضع الحاضر وبواعثه :

ومن البواعث على هذا الوضع ان مؤسسة المعارف قام بتأسيسها ـ فى وقت حرج ـ رجال لا تتفق اهدافهم والمصلحة العامة ولم يكن فى الامكان تغييرها • وقد تولى أمرها من الأهلين صنفان صنف لهم من الكفاءة والممارسة ما يؤهلهم لتنظيم شؤونها وليس لهم من الامر شيء •

والصنف الآخر عكس الاول على خط مستقيم ولكنهم احرار فـى تصرفاتهم فصارت تتقلب ما بين نقض وابرام ومحو واثبات واحداث والغاء وفتح واغلاق حتى انتهت الى الوضع الحاضر ويكفي على الانحطاط ان المسؤولين فى هذه المؤسسة نفسها لم يعتمدوا على مدارس المعارف وكذلك غيرهم من أصحاب المناصب والمقامات ••• والا لما اختاروا لاولادهم مشقة السفر وكلفة الغربة ولوعة الفراق والنفقات الزائـدة •

واجب العراقيين ازاء الوضع :

ولما كانت هذه المؤسسة مكلفة بتكييف المادة الصالحة للتعليم العالى وهى تهيء للدولة رجال العمل فى مختلف الدوائر وتهذيب الرأى العام وما كل عراقى فى استطاعته ان يهذب أولاده خارج العراق كما يعالج ذوو السعة منا أمراضهم فى المستشفيات الخارجية وعلى فرض الاستطاعة لا يصح ايفاد الطفل الى الخارج من أجل التعليم الابتدائى أو الثانوى لما فيه من محاذير لا تقبل المكابرة ومن جملتها المباينة فى الشعور وفى أساليب التربية التى تجعله اجنبيا فى بلاده كما هو ثابت بالتجربة كان لكل عراقى الحق المشروع فى ابداء رأيه حول هذه المؤسسة ويطالب اولياء الامور بانقاذها من حالتى التذبذب والانحلال وأساليب التربية التى أدت الى القتل والجرح والاعتداء وقذف المعاهد بالنار والتهديد .

واذا كان الله قد منّ على بعضهم بالقدرة على أن يهذبوا ابناءهم وبناتهم في غير العراق فليجعل أولو الامر منهم نصب اعينهم الوقوف بين يدي الله (يوم لا ينفع مال ولا بنون)[٣] ويفكروا فى مصيبة الالاف من ابناء جلدتهم المفجوعين ما بين ثقافة مشوهة وتربية فاسدة .

الاكثرية الساحقة واهمالها :

وهذه الاكثرية الساحقة تتخبط فى ظلمات الامية وان بقاءها على ما هى عليه خطر يهدد البلاد فى كل حين .. ويقلق الراحة والأمن ويلهي الحكومة ويبتلع المال ويؤخر العراق عن التقدم المفروض عليه ليسير مع اخوانه على حد سواء ويظهر الشعب العراقى بمظهر لا يليق ويجعل نصيب الاقلية المثقفة غير متناسب مع المواهب الفطرية وما تستحقه القابلية من العناية .. لان المتعلم اذا ما قاس ثقافته ـ على نقصها ـ بأمية الاكثرية المحيطة به من كل جانب توهم انه بالغ أقصى مراتب الكمال .. كما ان المراجع المختصة قد تغلب عليها مظاهر الامية التى لا تفارق الانظار داخل البلاد وخارجها سهولها وبطاحها وعلى قمم الجبال وخلال الديار فيتراءى لها انها كونت ثقافة وتربية على الوجه الاتم .

وان أول مرحلة من مراحل الاصلاح انشاء مدارس منظمة تنظيما كاملا فى الشمال والجنوب لا كبعض مدارس المنطقة الكردية فى زاوية من زوايا الاصطبلات ولا كبعض مدارس الجنوب فى الصرائف وعلى مقاعد من جذوع النخل فان ذلك مما يزيد من الحطة والوضاعة •

ومن الضروري تهذيب الرأى العام فى ساعات الفراغ على الطريقة المعروضة فى صدر المقال •

ومما يجب الاهتمام به تكثير المدارس الاولية فى المنطقتين بحسب الحاجة وهذا أمر يتطلب من ذوى الاختصاص العـزم والاخـلاص والسعي المتواصل •

ان الواجب يحتم علينا ان نعرض ذلك على من يهمهم الأمر عسى ان تأخذهم الرأفة بهذا الشعب فى أمر المعارف فان الاستغاثة مما حـل بمدارسنا بلغت أقصى حدودها •

والله من وراء العزم والاخلاص

« **عراقي** »*

---

(٣) الشعراء : ٨٨

* الكفاح/العدد ٢٧١ الصادر فى ٢٦/آب ١٩٣٨ •

حول التعليم القروي والتخصص

توفد الامم الشرقية الى البلاد الاجنبية من الطلاب من تعتمد على اخلاقهم وتثبت كفاءتهم بالاختبار للتخصص فى الصنايع والعلوم فتنتفع بهم اضعاف ما تنفقه عليهم من المال كالامة اليابانية .

فقد كانت حكومة اليابان فى بداية نهضتها توفد الى أمريكا وانكلترا وفرانسة والمانيا وغيرها من البلاد الاوربية آلافا من الطلاب للتخصص فى الصنايع والفنون والطب والسياسة والفلسفة والآداب تحت مراقبة شديدة وبموجب قانون يفرض أشد العقوبات على من يرتكب المخالفة منهم .

حتى توفرت لديها المادة الصالحة للعمل فى مختلف الفروع واخذت تضاهى اوربا فى مدارسها وجامعاتها وتزاحمها فى الصنايع والحرف وصارت المصنوعات اليابانية تتغلغل فى بلاد الشرق والغرب بلا منازع وأصبح لها كيان يحسب له حساب فى عالم السياسة .

فكانت فوائد البعوث بالنظر الى ما انفق عليها من المال اضعافا مضاعفة .

البعوث العراقية وعواقبها :

والحكومة العراقية التفتت الى هذه الناحية وبدأت منذ عام ١٩٢٤ توفد الى الكلية الامريكية فى بيروت طلابا على نفقتها غير ان المراجع المختصة لم تعين خطة مرسومة للبعثة ولم تلتفت الى ما يطلبه الايفاد من قيود وشروط تجعل البعثة صالحة للانتفاع بها كما هى العادة فى سائر البلاد . بل التزمت مبدأ الارضاء ورعاية الخاطر ومسايرة الظروف فى المحل الموفد اليه وفي انتخاب الموفدين وفى درجة التحصيل .

وان من أهم الشروط الملتزمة فى البعوث ان يوفد الطالب بعد ان يجاز من أحدى الشعب العالية لمهمة التخصص لا لدرجة دونها ، لما فيه من محاذير نبهت اليها الصحف المحلية فى حينه ولم تجد اذنا صاغية .

ومن جملة المحاذير تأثر الشعور القومى والتربية الوطنية بشعور أجنبي وتربية اجنبية فيعود الموفد غريبا عن قومه وبلاده وذلك مما يبعث على التبلبل فى الحياة العملية لما يتخللها من عناصر غير متجانسة كما هو واقع بالفعل فى دائرة المعارف نفسها •

ثم جاء دور التخصص فلم تلاحظ الكفايات المطلوبة وقابلية الطالب في جهة الاختصاص فاصاب فريقا منهم الفشل ولم ننتفع بالآخرين لاستخدامهم فى وظائف خارجة عن دائرة الاختصاص بالرغم مما يعادل الاتعاب والنفقات من الفوائد •

ولو ان المراجع المختصة استطاعت ان تلتزم جهة الكفاءة من ناحيتى العلم والاخلاق واعتبرت المصلحة العامة فوق جميع الاعتبارات ووجهت للمتخصصين أعمالاً داخل اختصاصهم لكان للبعوث من الفوائد ما لغيرها فى سائر البلاد ولكن النتائج دلت على أن الغاية من الايفاد لم تكن عين الغاية التى تستهدفها الامم ، وانما هنالك مآرب أخرى •

التعليم القروي ونتائج الاختصاص :

أما التخصص فى مصلحة التعليم القروى فالذى يترتب على الموفد لهذه الغاية ان يمارس حياة القرية من جميع نواحيها : مزارعها وحدائقها وجداولها ومعابدها ومطاعمها ونظافتها وطرقها ووسائطها النقلية ومعامل المواد الغذائية وآدابها الاجتماعية وانتظام القرويين فى الملبس والمأكل والمعاشرة وتقسيم الاعمال وصورة نقل الفواكه وغيرها الى المدن وتربية الحيوانات الاهلية وهندسة البيوت وغير ذلك من آثار السعي والعمل والمظاهر الجميلة المتمثل فيها منتهى ما يبلغ اليه الجد والاجتهاد • ويستنبط من مجموع مشاهداته وتتبعاته خلاصة نستعين بها من ناحية التعليم القروى على اصلاح القرية العراقية التى لا تزال فى حالة ابتدائية يتسع فيها مجال العمل •

ومما لا شك فيه ان مشاهدة الموفد آثار النظام فى حياة القرية الاجنبية أمريكية كانت او اوربية تبعث فيه روح العزم والنشاط وتحمله على العناية

بما يتطلبه القروى العراقى من الاصـــلاح والتهذيب اذا كانت مداركه تساعده على التقدير والاقتباس والتطبيق •

واذا ما قام بواجب الوظيفة فانه يعوّض بمساعيه المنتجة ما انفق عليه من المال وما عاناه من الاتعاب فى سبيل التخصص •

وليس من الصعب حث القرويين على النظافة وافهامهم شروط الصحة والسعى وراء ردم المستنقعات وازالة الاوســاخ والاوحــال من المنازل والطرقات وان يبث فيهم روح الوطنية الصحيحة وحب السعي والعــمل والتجدد فى الزراعة والتمسك باهداب الدين كما يتمسك القروى بكنيسة فى القرية الاجنبية • ويصلح من أمراضهم الاجتماعيــة ما يبغض اليهم الشقاق والنزاع لادنى شىء ويحبب اليهم التعاون المشروع ويدربهم عــلى آداب اللياقة فى الاكل واللبس والمباشرة ويهىء لهــــم بواسطة المرجع المختص من يرشدهم الى وسائل الانتفاع بأثمارهم وحاصلاتهم أكثر من المعتاد عن طريق التحسين ومعالجة الآفات • بعد ان يعد للتدريس منهاجا يلائم الوضع والحاجة ووسائل للقراءة تتناول المواضيع المذكورة زمرة من المعلمين المتخصصين بالتعليم القروى لا فى دار المعلمين الريفية البعيدة كل البعد عن تمكين المتخرجين من القيام بما ذكرنا • وبهذه الطريقة تتقــدم حياة القرية تقدما يساعد على سير الحضارة فى المدينة •

أما اذا كان التعليم القروى مقصورا على الدراسة الحاضرة فذلــك لا يحتاج الى التخصص وانفاق المال وكلفة السفر الى الديار النائية وها هى القرية تلك القرية والقروى ذلك القروى غير ان الاخلاق ازدادت شراسة وانحطاطا كما يظهر من تراكم الدعاوى الباطلة فى المحاكم •

وليست مظاهر العاصمة بأحسن منها •

التربية الامريكية ومبادؤها :

ان ما يبدر من طبقات المثقفين من الاوضاع لا يأتلف مع آدابنا ولا مع آداب التربية الامريكية القائمة على مبادىء الجــد والرزانة واحترام النفس وحب الاجتهاد والصدق فى القول والعمل ••• ومن شدة التصلب

فى هـــذه المبادىء يوصف الامريكيون بالجمود وبرودة الطبع حتى ان الطالب والطالبة ليقيمان فى غرفة واحدة من غرف الجامعة ليلا ونهارا ويسود بينهما الطهر والعفاف •

ومن مؤثرات تربيتهم المطبوعين عليها ان الذى يدعى الى المحـــكمة يحرم حق الانتخاب ، وان انتهت الدعوى ببراءته •• لانهم يعتبرون مجرد الشخوص الى المحكمة مما يخل بالكرامة ••• والسبب فى ذلك ان انتقال القضية الى المحكمة يدل على عدم الاهتمام بالشخوص أمام المحاكم أو عدم الاقتدار على التسوية بوجه من الوجوه قبل الانتقال اليها •

ولذلك لا يمكن ان يتأدب بالآداب الامريكية الا الامريكى ، لان مبادئها على جانب عظيم من الصلابة والمتانة والقيود الثقيلة ، واذا تعـــذر على الانكليز والالمان اعتناق مبادئها وهم من عرق واحد فكيف يهضمها غيرهم ؟

القرويون والوضع الحاضر :

أما بقاء القرويين على وضعهم الحاضر فمما يؤثر فى حياة المدن عد ترددهم ، اذ لايبعد ان يحملوا اليها الجراثيم وذلك خطر يهدد المجتمع العراقى •

والامم الراقية تهتم بحياة القرية أكثر من اهتمامها بحياة المدينة ، لان القرية هى التى تمون المدينة وهى الاساس الذى تبنى عليه قواعـــد الانتخابات •

فاذا كان القروى جاهلا أفسد على الشعب أمرين من الامور الحيوية• وابناء القرية العراقية ـ على تأخرهم ـ يحملون من الذكاء ما يسهل على ذوى الاختصاص مهمة التهذيب والتربية •• ولا ينتظر من المتخصص أن يبعث من القرية العراقية قرية أمريكية فى عام او عامين بل المطلوب منهم البدء بالعلم على خطة معينة تتمشى مع الزمن بسير مستمر •

الاهمال ونتائجه :

ولكن آفة هذه المؤسسة هى الاهمال الناشىء من عـــدم المسؤولية

كاهمال المستنقعات المحيطة بمدارس العاصمة .. التى مضى عليها شهور وهى تنفث السموم ، وما ردمها بالامر العسير ، وليست هذه المرة الاولى .

ومن جملة الاسباب المؤدية الى الوضع الحاضر عدم توديع الامور الى أهلها لاعتبارات ليس هذا محل بيانها حتى آل الامر الى هذا الانحلال الخطير .

واى انحلال اشد خطرا من تسرب السياسة الى صفوف التعليم ، واقتراف الجرائم العظيمة والهفوة التى كادت تؤدى الى توتر العلاقات بين شعبين عربيين ، والفشل فى مهمة البعوث ، والاسراف فى المال بغير حساب كابتياع مقاعد من أمريكيا بمائتي دينار تحطم قسم منها قبل الاستعمال وزورقين من نوعها للسياحة من بلجيكا بمثل هذا المبلغ ، واستيجار دار بمائة وثلاثين دينارا فى السنة لمنام الطلاب ولم تكن صالحة فجعلت مخزنا لرسائل القراءة الممنوعة سنتين ، وانفاق الاموال على هذه القراءة ثم يقرر منعها ، وأمثال ذلك من الاسرافات الدالة على عدم المبالاة بالمال . وتلاميذ القرية يستغيثون من حياة الصرائف والمستنقعات والاصطبلات والمراجع العليا انما تقدم المال لينفق على مشاريع ضرورية لا على شهوات المبذرين .

وانا اذا بحثنا عن المعارف فانما نبحث عن الوضع بوجه عام ، لم نقصد مقاما أو شخصا معينا لان المعارف ليس فيها شخص مسؤول منذ بداية التأسيس ، وليس فيها من هو قائم بالامر على الدوام .. ولا غرض لنا سوى بيان ما هو الاصلح او الانفع لمستقبل البلاد بحسب اجتهادنا .

ولقد كتبنا فى هذه المواضيع لدى كل فرصة منذ عام ١٩٢٤ مع العلم بأن الوضع لا يتغير مهما تغيرت الوجوه .. غير ان العادة جرت ان ينتقد الخلف اعمال السلف ، وأعماله من نوعها . كأنما هناك خطة مرسومة .

التربية الاسلامية والاستهتار :

وان كان هذا هو الوضع فما معنى الانانية والشذوذ عند آداب البحث والمناظرة بعد الاعتراف بجميع ماكتبناه وزيادة ؟

نحن نقول : ان التربية الصالحة للبلاد هى التربية الاسلامية القائمة

على أسس التعاليم الدينية ، ودين الدولة الاسلام •

فيقال : هذه فكرة رجعية ، وعقلية بالية ، وبقية من بقايا العهد العثمانى ، وفتنة تثير العواطف (تهديد ••!) وتعارض التجدد (المزعوم••) الى غير ذلك من عبارات التهكم والاستهتار • وهذا مثال من أمثلة التربية التى نوهنا عنها فى مقالنا السابق •

أما التربية الاسلامية فهى منزهة عن أمثال هذه الشطحات لانها تأمر بالتفكير والامعان والتحليل من وجوه علمية ، لا بالاساليب المزرية بشأن المركز المؤتمن على حراسة العلم والادب والتربية والاخلاق •••

والآن وقد ايدتنا الحكومة المصرية فماذا يقال عن التربية الاسلامية أهى فكرة رجعية وعقلية بالية وبقية من بقايا العهد العثمانى أم ماذا ؟ ومهما كان الامر فانا نقترح تطبيق التشريع والمنهاج اللذين وضعتهما الحكومة المصرية حول التربية الاسلامية وصيانة اخلاق الشباب ، اذ العراق احوج من مصر الى مثل هذه التدابير والرأى العام في جانبنا •• وفى ذلك فائدة أخرى وهى تأمين الوحدة المنشودة بين العراق ومصر واليمن والحجاز وسائر الاقطار العربية على هذا الاساس المتين •

مصر والثقافة الاسلامية :

ولكى يطلع الرأى العام على ما يدور فى مصر حول الثقافة الاسلامية وحماية اخلاق الشباب ننشر المقتبسات الآتية :

(الفت وزارة المعارف لجنة من كبار رجال التعليم لوضع برنامج مفصل عن الثقافة الاسلامية يدرس فى السنتين الرابعة والخامسة من المدارس الثانوية ، يتناول تمكين العقيدة فى نفوس الشبان فى هذه الفترة الدقيقة من حياتهم ، وكذلك شرح الدين لهم شرحا مبرءا من الشوائب وتصويره لهم تصويرا ملهما يملأ نفوسهم ايمانا وعزة •• ويشتمل البرنامج على بحوث حول التاريخ الاسلامى فى ازهى عصوره وحول البطولة الاسلامية والسيرة المحمدية الطاهرة وما يتصل بهذه البحوث كلها من ابراز جمال القدوة والمثال •

وقد أخذ صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف فى وضع تشريع يكفل صيانة اخلاق الشباب وتقويم اعوجاجهم وحمايتها من عوامل الضعف والانحلال والتبذل وقد عكف معاليه وقتا طويلا على دراسة القوانين الموضوعة فى هذا الصدد فى مختلف البلدان تمهيدا لوضع هذا التشريع • كما ان معاليه كتب لوزارة الخارجية المصرية كى تحصل له على الانظمة الموضوعة لحماية الشباب بنين وبنات من ارتياد الملاهى ، والنظم الموضوعة لمراقبة دور الملاهى والسينما والمطبوعات بقصد حماية الاخلاق والآداب العامة فى انكلترا وفرانسا والمانيا وايطاليا وتركيا)•

هذا ما كان على دائرة المعارف عندنا ان تفكر فيه وتكون قدوة حسنة، لا انها تقابل الاقتراح بتلك الغلظة والخشونة زاعمة ان التجدد الذى تقوم به لا يتفق والتربية الاسلامية التى تعتبرها حركة رجعية وعقلية بالية، متجاهلة ان ذلك التجدد جر وراءه ضعف الايمان ، وسوء الاخلاق ، واقترف الجرائم والخيانات والاسراف فى المجان والتذبذب والانحلال وفشل البعوث والرسوب الهائل ، والثقة المشوهة السائرة على منهاج قديم باعترافها ، ومع ذلك تفاخر بعشرات الالوف من المثقفين على هذا المنوال •• ولا تفكر فى ان العبرة للكيفية لا للكمية ، وان الف مثقف تثقيفا صحيحا خير من مائة الف مما يعدون •

البعثة العلمية واولو الأمر :

أما هذه المؤسسة فهى الكل فى الكل بين مؤسسات الدولة ، وعليها المعول فى اعداد رجال العمل ، ومن أهم العوامل لبلوغ هذه الغاية البعثة العلمية • واذا استقل بها الذين دلت النتائج على تساهلهم فى أمر الانتخاب ومراعاة الشروط فمن الملحوظ ان يكون مصيرها كمصير اخواتها •

وما لنا سوى ان نلفت انظار اولي الامر الى مراقبة أمرها بما يستحق من العناية والاهتمام ، لانهم هم الذين يقدمون المال لتحقيق الفائدة منها وهم المسؤولون أمام الله والذمة والتاريخ •

« عراقي »*

---

* الكفاح العدد ٢٧٣ الصادر فى ٨ أيلول ١٩٣٨ •

بمناسبة البيان عن شؤون المعارف :

المعارف بعد ثمانية عشر عاماً

ثمانية عشر عاما توالت على حياة المعارف الحديثة في العراق ، تولى أمرها في خلال هذه المدة ثمانية عشر وزيرا وتسعة من المديرين العامين ، يساعدهم طائفة من المستشارين والمرشدين والاساتذة والخبراء المستقدمين من مصر وغيرها ، وذوى التجربة من العراقيين ، ومجالس ومؤتمرات وتشكيلات واسعة النطاق تضم زمرة من المثقفين والاختصاصيين والمجددين، وبعوث علمية في كل عام ، ونشرات ودعايات ، وأسفار الى تركية والمانيا وفرانسة وانكلترة وأموال بغير حساب .

وبعد هذه العناية التامة والمدة الطويلة والنفقات الكثيرة ، والضجة حول التجدد والاصلاح ، والتحامل على العهد السابق بما لا يليق ، والخطب الرنانة والمحاضرات المطنبة حول الأسفار ، والدبدبة والطنطنة والانتظار الشديد ، تبين ان القوم لم يأتوا بجديد ، لأنهم في دور التجربة كما علله البيان المنشور في احدى الصحف المحلية بتاريخ ١/أيلول ١٩٣٨ .

وهذا ما كان منتظرا من الوضع منذ بداية التأسيس .. لأن الظروف اقتضت أن يتحكم في مقدرات هذه المؤسسة التي عليها تقوم تشكيلات الدولة ، ومنها يشع نور الحضارة والمدنية ، نفر يصعب عليهم تقدير الغاية من تأسيس المعارف ، والاموال التي تنفق عليها ، وحقوق الملايين من النفوس والعواقب الوخيمة ، فصارت تتقاذفها الاهواء ، وتقلبها ذات اليمين وذات الشمال ، على مرأى ومسمع من أولى الامر ولا سائل ولا مسؤول . فالاساتذة والخبراء المستقدمون لا يفسح لهم مجال العمل ليسأموا البقاء ويغادروا البلاد ، أو يفتك بهم الاغتيال والجرح والاهانة على صفحات الصحف ، وذوو التجربة من العراقيين يجعلون نصيبهم التنقل من عمل الى عمل ومن دار الى دار لئلا تنتج جهودهم ومساعيهم ، والامور تودع الى

غير أهلها ، والاموال تصرف فى غير محلها ، والبعوث تعبث بها الاهواء ، والمصلحة العامة تنبذ جانبا ،والاختصاصيون لا يُنتفع بهم لعدم المبالاة لجهة الاختصاص ، والافكار المضرة والنزعات الهدامة تتسرب الى صفوف التعليم .. ويرتفع الحساب بين التلاميذ والقائمين بأمر التربية ، ولم يعد فى الامكان اعادة النظام الى نصابه ، ولم يجدوا مخرجا سوى التعلل بالاعذار الواهية .

وضع المعارف والمحاولات :

وبعد مضى ثمانية عشر عاما يحاول الكاتب المجهول تعليل النتائج الفظيعة بما ملخصه :

ان الوضع الحاضر هو من سيئات العهد العثمانى ، ومن ضيق الميزانية . وعدم كفاءة المعلمين ، والمدة لم تكن كافية لوضع الخطط والمناهج وتخريج المعلمين الاكفاء والتجربة من الامور الضرورية ، والتبعة تقع على الذين تولوا الأمر فى بداية التأسيس .

والعراق انفصل عن العهد العثمانى منذ (٢٣) عاما ولم يبق أى اتصال بينهما..والميزانية مهما اتسعت فانها تزداد ضيقا مادامت الاموال تصرف فى غير محلها .. والمعلمون الاكفاء مهما كثروا لا يُستفاد منهم مادام الوضع يحمل على استخدامهم فى غير مهنة التعليم .. ولما كانت المعارف منزهة عن التبعة فلا حاجة الى تعيين جهة لها .. واذا كانت الاعوام الثمانية عشر لا تعد شيئا مذكورا وتلك الاعذار تبرر الوضع الحاضر فالوضع اذن لا يتغير (حتى يلج الجمل فى سم الخياط)[1]

ولم يلتفت الكاتب الى يمينه وشماله ليرى مظاهر التقدم فى تركية وايران .. ولم تكن ايران قبل عشر سنوات بأرقى من العراق ولا كان مستوى الاناضول بأرفع من مستوى بلادنا ولا كانتا أغنى منا مالا . ولكن رجال العمل عرفوا كيف يخدمون معارفهم ويبعثون منها عوامل التقدم

(١) الأعراف : ٤٠

والرقي في جميع مناحي الحياة . ثمانية عشر عاما تكفي لان تبعث الامم من مراقدها ، فتمزق الاكفان ، وترمي حجر التاريخ الى ما وراء الحدود ، وتنبذ العهود ، وتسل السيف ، وترفع راية النصر على هام الطامعين كتركية وايران والمانيا ولا تكفي عندنا لوضع منهاج للتعليم الابتدائي .

ثمانية عشر عاما والاطفال مكلفون بوزن النجاسة المغلظة ، والنجاسة المخففة ، والطفلة ملتزمة بمعرفة أحكام اللحية الكثيفة واللحية الخفيفة في الوضوء وأمثال ذلك مما نوهنا عنه سابقا .

واذا قيل لهم اصلحوا المنهاج رأفة بالأطفال ، قالوا هذه فكرة رجعية، وعقلية بالية ، وانما نحن مجددون ، والتجدد يحتاج الى التجربة والزمان.. والذي يترتب عليهم في هذا الموقف الخجل والاعتذار .

المعارف وأساليب الوضع :

ومن أساليب الوضع في هذه المؤسسة أن يقابل كل أقتراح مفيد وكل نقد نافع بالهجمات العامية واشلاء الاقلام المأجورة لئلا يقدم أحد على مثل ذلك ماداموا فيها ، والا فما هي المناسبة بين طلب اصلاح التعليم الابتدائي وكتبه التي مرّ مثال منها وبين الفكرة الرجعية والعقلية البالية .. وما هي العلاقة بين ترجيح التربية الاسلامية على غيرها وبين احداث التفرقة وشقة الخلاف وما هي الصلة بين تصوير الواقع لمجرد التشجيع على الاصلاح وبين الطعن بالمدارس العراقية في العهد العثماني واتهامها بتلقين الالحاد وبث أمور خلاف الدين والصاق المثالب بالرغم من التناقض ..؟!

حقا ان الوضع الذي لا نزال نبحث عنه ليخرج موقف القائم بالدفاع عن المعارف ويورطه في مثل هذه المغالطات والمناقضات من حيث لا يشعر مهما كان متفننا في قلب الحقائق وجريئا على التمويه والتضليل .

المدارس في العهد السابق والمثالب :

ومما جاء في عبارات الطعن بالمدارس العراقية على عهد الدولة العثمانية قوله :

« ان العراقيين الذين امتازوا عن غيرهم أقلية لا يصح اتخاذهم مقياسا لأحكامنا ، فالحقيقة التى لاغبار عليها هى ان البـــلاد بقيت محرومة من ارتشاف مناهل العلم وعارية من ارتياد المعاهد والمدارس التى فتحت وقتئذ وظل الناس ينظرون الى المدرسة كمحل لتلقين المفاسد حيث لا يأمـــن الاباء على اولادهم ، وكان تلميذ المدرسة مدار التقولات المشينة ومبعث الشك والريبة ، وكانت كلمة (مكتبلي)[٢] عندهم تضم ضروب المعـانى البذيئة ، هذا فضلا عما كان معروفا عن المدارس من أنها تلقن الالحاد وتبث أمورا خلاف الدين مع ان الحقيقة خلاف ذلك وقد استمرت الحالة الى حين قيام الحكم الوطنى) .

هذه هى أساليب الوضع فى المعارف ، وهذا نموذج من التربية التى نوهنا عنها فى مقالنا السابق .

أما المتخرجون فليسوا بأقلية وانما يبلغ عددهم الآلاف من (مُلكيين) وعسكريين بينهم وزراء ومتصرفون وكبار موظفين ورؤساء دوائر وقضاة وحكام وماليون وحقوقيون وسياسيون وكتاب وأدباء وأساتذة ومهندسون وأطباء ومحامون وضباط وأمراء الجيش ونواب وأعيان فى العهد السابق وفى هذا العهد (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر)[٣] .

ولولا البقية الباقية من العهد العثمانى من (مُلكيين) وعسكريين فمن كان يتولى ادارة الدولة العراقية ويملأ الفـــراغ ... ؟ وما هو الداعى للتشهير ، وما هى علاقة العهد العثمانى بالوضع الحاضر بعد الانفصال الذى مر عليه ثلاثة وعشرون عاما ... ؟

وأية تربية فى العالم تبيح وصف المعاهد العلمية بذلك الاسلوب ومس كرامة النائمين فى مراقدهم ، والعاكفين على أداء واجبهم ، والمنزوين فى عقر دارهم من مئات المتقاعدين ؟

---

(٢) مكتبلى : تلميذ مدرســـة ، منسوبا الى « مكتب » على الطريقـة التركية فى النسب باضافة «لي» .

(٣) الأحزاب : ٢٣

ولو فرضنا أن المدارس العراقية فى العهد العثمانى صادفت شيئا من عدم الرغبة فى بداية تأسيسها قبل ثمانين عاما بتأثير التعصب الذى لايفارق الامم لدى كل شىء جديد ، أيباح الـ يتخذ وسيلة للتطرق الى هتك الحرمات ولو عن طريق النقد والرواية ، وفى ضمن المتخرجين رجال الدولة منذ تأسيس الحكم الاهلى وزمرة فى دائرة المعارف نفسها .. ؟

وللأمم من مناقب التعصب ما ملأ بطون التواريخ فان جامعة (كمبريج) لما احدثت الشعب الفنية بعد ان كانت الجامعة دينية بحتة تحفز المتعصبون من الانكليز للقيام ضدها ومهاجمة الطلاب بالحجارة والمواد المبتذلة لدى ذهابهم وايابهم مدة من الزمن ، حتى أصبحت هذه المهاجمة عنعنة وصارت تمثل لدى كل حفلة تقام فى الجامعة للمجاز عند نيله الشهادة الى الآن .

يجتمع الطلاب فى ساحة الاحتفال يحملون المجاز على الاكتاف ويطوفون به أشواطا وفريق منهم يقذفونه بالمواد المذكورة تذكارا لعهد التعصب .

فاذا تأخر البعض عن التحصيل فى تلك المدارس أيعد ذلك التأخر مثلبة للمدارس ويحمل على محامل شائنة .. ؟

واذا كان الآباء لا يأمنون على أولادهم فمن اين تخرج الآلاف من العراقيين ؟ أما ألف (مكتبلي) فقد كان كفواً لمصاهرة أغنى وأنجب العوائل العراقية مشهورة بشدة التعصب فى أمرها المصاهرة .

وكان محظورا على الطالب ارتياد الملاهى ملكيا كان أو عسكريا واذا تغيب عن الصلاة وقتا من الاوقات يمنع من الخروج شهرا كاملا فى المدارس العسكرية الداخلية ، ولم يقم بادارة المعارف فى ذلك العهد اشخاص من المبتدعين وأشباه الأميين حتى تسقط المدارس الى الدركة التى اختلقها الكاتب لغرض من الاغراض .

فأذا تأخر البعض عن التحصيل فى تلك المدارس ايعد ذاك التأخر مثلبة للمدارس ويحمل على محامل شائنة ..

واذا كان الاباء لايأمنون على أولادهم فمن أين تخرج الآلاف من العراقيين ؟ أما الف (مكتبلي) فقد كان كفؤا لمصاهرة اغنى وانجب عائلة والعوائل العراقية مشهورة بشدة التعصب فى امر المصاهرة .

وكان محظوراً على الطالب ارتياد الملاهي ملكيا كان او عسكريا واذا تغيب عن الصلاة وقتا من الاوقات يمنع من الخروج شهرا كاملا فى المدارس العسكرية الداخلية ، ولم يقم بادارة المعارف في ذلك العهد اشخاص من المبتدئين واشباه الاميين حتى تسقط المدارس الى الدركة التى اختلقها الكاتب لغرض من الاغراض .

وكان التدريس يضم نخبة من افاضل العراقيين الممتازين بالكرامة والحيثية .

وماهى الحكمة فى تسطير تلك المثالب اذا كانت الحقيقة خلافها.. اليس الغرض هو التشنيع بها علانية بهذا الاسلوب المدسوس ..؟

فاذا نشرت الصحف مثلا فى وصف الكاتب المجهول تلك المثالب عينها وقيل بعدها (والحقيقة خلافه) .. فماذا يكون وضعه .. اليس هو الوضع الذى يتمثل للقارىء فى هذا المقام .. ؟ اللهم الا اذا كان لايعبأ بالمثالب والاهانات .. وهذا ما لا نعتقد .. وسدا للباب نحمل هذه الهفوة على قلة البضاعة وعدم النضج .

ومن الغريب ان الكاتب له ولع بتكرار كلمة (البالى ، والبالية) كأن التجدد فى نظره عبارة عن الالفاظ ... ونحن طلبنا التحدد فى المنهاج وهم العاكفون على القديم باعترافهم فى نفس البيان .

مصر والتربية الاسلامية :

اما اذا كان الغرض من البالى والبالية التعريض بالتربية الاسلامية فلنا اسوة بمصر الحديثة ، وقد نشرنا فى مقالنا السابق عناية الحكومة المصرية بها ، وبصيانة اخلاق الشباب ، وها نحن ننشر البلاغ الرسمي الاخير الصادر من وزارة المعارف الى عموم المدارس المصرية :

« تحرص وزارة المعارف على أن تكون دراسة الدين الاسلامي مقصودا بها تأديب الناشئة بآدابه واحساسها الايمان الصحيح والخلق السليم وان المرء لايكمل ايمانه حتى يحب لاخيه مثل مايحب لنفسه ، وتهذيب نفس الناشىء وتقوية عقله وقلبه بالمبادىء الاسلامية السامية ، مبادىء الاباء والمحبة والايثار والبر والتقوى .. ليصل بذلك الى كمال الخلق وليجعل منه القواعد السليمة لصلاته بغيره وهذه قواعد الحضارة اساسية يقوم النظام الروحي فيها اساسا لتكامل الخلق ويكون الخلق لها اساسا للمعاملات والحياة الاقتصادية .

وتثبيت هذه القواعد في نفس الناشئة بتثقيفهم فى قواعد الاسلام وتوجيههم الى ادراك الحياة على اساسها ادراكا علميا دقيقا وتفتح اذهانهم لذلك الى المثل الاعلى الذى يدعو الاسلام اليه وتقويم اخلاقهم ليكون هذا المثل الاعلى غاية مبتغاهم ، هو مانرجو ان يكون الثمرة للتعليم الديني في المدارس حتى يتأتى لمصر بقوة ايمان ابنائها ان تنهض بحظها من رسالة الحضارة فى العالم » .

وقد اقتفت سورية اثر مصر وقررت عقد مؤتمر يشترك فيه علماء سورية ولبنان وغيرهم من علماء المسلمين لتقرير منهاج وكتب للثقافة الاسلامية على أن تتخذ أساسا للتطبيق فى عموم المدارس تأمينا لوحدة الثقافة والتربية الاسلامية .

وبعد هذا الاتحاد بين مصر وسورية ولبنان واليمن والحجاز فى الثقافة والتربية الاسلامية ماذا يفكر الكاتب المجهول فى وضع العراق ازاء الاقطار العربية أيبقى بلا تربية كما هى الحالة الآن ويدعو الى القومية المجردة التى لم يلتفت اليها غير المرتزقة .. أم ماذا .. ؟

وعلى كل فانا نلفت انظار اولى الأمر الى معضلة التربية وحلها بأسرع وقت لان استمرار التذبذب خطر يهدد مستقبل البلاد ، ورجال

التربية والتعليم ليس فى استطاعتهم ان يضعوا خطة للتربية ومنهاجا للثقافة كما دلت عليه الوقايع والحادثات • وكلما تقدمت الأمم ميلاالى الامام رجعنا اميالا الى الوراء والتجربة اكثر من ذلك ضياع للوقت والمال •

« وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » (٤) •

« عراقي »*

(٤) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه •

* مجلة الكفاح العدد ٢٧٤ الصادر فى ١٥ أيلول ١٩٣٨ •

فلسطين بين الوعد والوعيد

عشرون عاما والدماء تسيل فى الارض المقدسة على مرأى ومسمع من العالم المتمدن والأمم المتظاهرة بالعطف على الرقيق ، وحماية الحيوان، والحرص الشديد على السلم وحقن الدماء •

وما من يوم الا والاثير ينقل الى انحاء البسيطة من اهوال المجازر ودماء الابرياء ما يتلطخ به جبين القرن العشرين المنعوت بعصر العدالة ، وانقاذ الامم الضعيفة ، واحقاق الحق الذى من اجله اقيمت محكمة العدل فى (لاهاى) ومن ورائها عصبة الامم •

تنقض المواثيق ، وتمزق المعاهدات ، وتنسخ خريطة العالم ، ويجلي مئات الالوف من اليهود من ارض المانيا وايتاليا وبولونيا ورومانيا وجيكوسلوفاكيا وغيرها ، فيتيهون فى الصحراء حفاة عراة يقطعون الفيافى مشيا على الاقدام وتلفظهم البلاد وتسد فى وجوههم الابواب جزاء بما كسبت ايديهم ، الا (وعد بلفور) كانه العروة الوثقى التى لاانفصام لها !

عشرون عاما وهذا البلد الامين يعانى اشد العذاب والعرب يرددون الانفاس مابين المشانق والسجون والجثث الهامدة ودوى المدافع والنار الحامية التى لم ينج منها الشيخ الهرم ولا الطفل الرضيع ولا البائس العليل فتستغيث الارض والسماء والدولة المنتدبة لاتنتهى من سياسة الوعد والوعيد وامريكا لاتعطف الا على الدخلاء اليهود فى ارض فلسطين •

واولئك الدخلاء هم الذين اوقدوا نار الفتن ودبروا المكايد وسببوا سفك الدماء والعرب المطاردون فى عقر دارهم هم المجرمون فى نظر السياسة • لاذنب لهم سوى حبهم لاوطانهم والدفاع عن حقوقهم المشروعة وليس وضعهم كوضع الحبشة او كوضع الصين •

وهذه امم الغرب ـ على نعمها التى غمرت بها اليهود منذ عهد بعيد، وساوت بينها وبينهم فى الثقافة والتهذيب ، والحرية الكاملة فى مزاولة

المهن الممتازة كالطباعة والصحافة والمحاماة والتجارة وغيرها من الصنايع والاشتراك فى السياسة والادارة والقضاء والتشريع والمناصب والرتب الملكية والعسكرية حتى رجحت كفتهم على كفة العنصر الحاكم ـ أخذت تستغيث من مكايدهم ودسائسهم فى جميع مناحى الحياة علاوة على احابيل الغش والخداع وكفران النعمة ، ولم تجد للخلاص من شرورهم سوى الاجلاء • وهو آخر علاج فكرت فيه • فهلا يكفى ذلك دليلا على ان العرب احق من غيرهم في جزعهم من هؤلاء الاشرار ومكافحة هذا الداء الوبيل الذى تطهر منه القسم الاعظم من بلاد الغرب فكانوا عالة على أرض فلسطين ، ومالبثوا ان عاثوا في الارض فسادا وسلوا السيف على أهل البلاد ، وليس لهم فيها اى حق ماعدا وعد (بلفور) •

اما وقد آل الأمر الى القتل والقتال ، فلم يبق للعرب سوى أحد أمرين ، اما ان تزهق ارواحهم الى آخر متنفس منهم ، واما ان يعترف بحقهم المشروع وحق المسلمين الصريح المعترف به منذ ثلاثة عشر قرنا من لدن عهد الفاروق الى عهد الانتداب الذى فسرته العصبة بالتدريب والمشورة والمساعدة ، فظهر ان معناه الحقيقي هو التقتيل والتهجير والسجن والنفي والاعدام والتدمير والتحطيم وغصب الحقوق •

وهذا مصير انضواء العرب تحت لواء الحلفاء قبل التثبت من عواقب الامور • انا لا نريد ان نعيد الى الاذهان اخطاء ذلك التسرع في اعتماد العرب على تعهد الحلفاء ايام محنتهم غير ملتفين الى ان ظروف الحرب غير ظروف الهدنة ، حتى وضعت الحرب اوزارها ، وقلب الحلفاء لهم ظهر المجن •• ومهما كان الامر فتلك نقطة سوداء في تاريخ المدنية يحملها العصر الحاضر الى الاجيال المقبلة للعظة والانتباه •

بين المقترحات والتسويف :

ولقد كثرت المقترحات حول الحل المرضي لمعضلة فلسطين واختلفت

الروايات ولم نجد بين ما تنقله الاسلاك البرقيـــة من الحلول ماهو مرض ولعلها ملتقطة من الافواه اذ الحل المرضـــي هو الاعتـراف بحق العرب وحدهم في تقرير مصيرهم ، ولا يتأتى ذلك الا عن طريق الاستفتاء العـام اذا كان حل المعضلة امرا مرغوبا فيه على ان يسلم الاستفتاء من كل شـائبة كما جرى فى منطقة السار •

واذا كان هنالك من ينظر الى العرب كأمة مســـتضعفة من الســهل اخضاعها بالقوة وارغامها على احدى الطـرق الملتوية ، فالقضـــية ليست منحصرة فى العرب وانما هى قضية اسلامية ومن حق العالم الاسلامى ان يستميت فى سبيلها على اختلاف المذاهب والعناصر •

وليس من السهل اخضاع مئات الملايين من المســـلمين المنبعثين على وجه البسيطة بالقوة ، كما انه ليس من الســـهل ارتياح الدول التى لهـا علاقة بالامة الاسلامية لحل غير مـــرضٍ والتنافس السياسى جعل الامم المتحفزة للوثوب تتلمس فى مطاوى الحادثات اضعف حجـــة لاستئناف الحرب العالمية •

ولاعبرة للحل السلى الذى تم على أيدى الدول الاربع فى مؤتمـر مونيخ فانه وقتي كما صرح به ساسة الدول انفسهم •

وليس من السهل ان تؤلف المنافع من الدول ذوات الشـأن كتلة تتفق على هضم حقوق العرب واهانة الامة الاسلامية والنزول عند رغبـــة اليهود المطاردين من قبل اكثر الدول الغربية •

لذلك ، ولكوننا من ذوى العـلاقة بالارض المقدســـة من النواحى الدينية والسياسية والاقتصادية كما بينا في مقالاتنـا السـابقة وكمـا جاء في مذكـرة الحكومة العراقية الى عصبـة الامم ، وللروابط التى تربطنـــا بالدولة المنتدبة بصفتها حليفة العراق نقتـــرح حل المعضلة عن طـــريق الاستفتاء العام لاعتقادنا بأنه الحل الوحيد الذى يقطع دابر الفتن • ومـن العدل والكياسة اطلاق الحرية للاكثرية الساحقة فى تقرير مصيرها وقد

جرت السياسة على ذلك فى معضلة «السار» ومعضلة «السوديت» لو لم يتم حلها على الوجه المعلوم • لان الارغام بالقوة لايطول امـــره فى الحقوق العامة كما دلت عليه الوقايع والحادثات ، ومن جملتها ارغام المانيـــا على معاهدة « ورساى » وارغام تركية على معاهدة « ســـڤر » •

وليس للدخلاء من اليهود اى حق فى تقرير المصير ، لان المهاجـر الى بلد لايخول حق الاشتراك فى مقدرات اهله المتوطنين فيه منذ قرون ولهم فيه روابط مادية ومعنـــوية وعنعنات وذكريات فى كل بقعة منه يتوارثها الابناء عن الآباء فضلا عن الشعائر والمقدسات والدخلاء لم يلبثـوا الا عشية او ضـحاها •

وبعد ان تحقق لدى الامـــم الغربية ـ على عظمتهـا ـ ان ليس فى الامكان احتمال اليهود الذين دلت معاملتهم على انهم مجبولون على الغـدر والخيانة لتأمين منافعهم وان أدى ذلك الى هلاك العالم ، كما سبق لهم ان دبروا الحرب العالمية ليستغلوا نيرانها ودماءها لجمع المال بمختلف الطرق والاساليب وتم لهم الامر كما أرادوا • ولولا ان تدارك اقطاب السياسـة معضلة «السوديت» وحلها بالطرق السلمية وقد كانت الحرب قاب قوسين او ادنى لذهبت الملايين من النفوس ضحية حيلهم واحابيلهم وتدابيرهـــم الشـــيطانية •

فهل بقى محل للتمسك بوعد «بلفور» واضطهاد العرب ؟ واحتقـار مئات الملايين من المسلمين ؟ واذا كان (بلفور) قد اخطأ فى وعده فما ذنب العرب ان يذهبوا ضحية الخطأ الذى قامت عليه الادلة والبراهين واذا كان من المحتم لدى الدولة المنتدبة ايجاد وطن قومي لليهود فأرض الله واسعة، أما فى فلسطين فمن المستحيل ان تنطفى شـرارة الفتن الى بضـــعة قرون والعالم فى أشد الحاجة الى الراحة والسكون •

ولما اليهود المتوطنون فى ارض فلسطين من قبل الحرب العالمـــية فاولئك غير مقصودين فيما نكتب ونقول •وانما البحث مقصور على الدخلاء

الذين ضاقت بهم الارض ففتحت لهم الابواب لغايات نوهنا عنها فى مقالاتنا السابقة ، ومن حق البشر لا العرب وحدهم ان ينفر منهم اينما حلوا .

وليس لهم الا ان ينتخبوا ارضا فى هذا الربع المسكون بعيدة عن الاختلاط ويتخذوها وطنا قوميا لهم ويرفعوا عليها راية الدولة الاسرائيلية ولهم بين الدول المعظمة من يميل الى حمايتهم حبا بالمال .

فهمى المدرس*

---

* مجلة « الكفاح » العدد ٢٨١ السنة العاشرة الصادر فى ٢٤ تشرين الثانى ١٩٣٨ .

عظمة محمد

صلى الله عليه وسلم

ليس فى الامكان تصوير العظمة التى تجلت على العالم فى مثل هذا اليوم بجميع ما انطوت عليه من حكم واسرار مالم يبلغ العلم فى صفحات تطوره اقصى مراتب الكمال • والعلم لايزال فى بداية انكشافه كما يظهر من سير البوادر والحادثات •• وما كشف العلم سرا من اسرار هذا الكون الا انتبهت الاذهان الى موضع الاشارة اليه فى خفايا الآيات البينات •

ومن ذلك يتبين ان الذى توصلت اليه الافهام فى استنباط حقايق القرآن ان هو الا جزء مما لم تتوصل اليه ، وان وراء ذلك دقايق لاتزال في طى الخفاء (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا [1])وهذه هى المعجزة التى هزت العالم ، واخضعت الامم ، وخرت لها العروش والتيجان وتلجلج امامها اولو الفصاحة والبيان ، فجادوا بأموالهم وانفسهم وما ملكت ايديهم لاعلاء كلمة الله • ولما كانت عظمة هذا اليوم تزداد روعة كلما تطور العلم والفن كان حتما ان يتعذر على الباحث فى هذا المقام الاتيان بما ينطبق على الحقيقة والواقع ، كما يتعذر التعبير عن هذا الكون الذى هو مضمون من مضامين تلك العظمة وسر من اسرارها ولم يتوصل العلم الا الى اكتشاف بعض حقائقه •

فما دام العلم يتردد بين الظهور والخفاء ، وبين التطور والانكشاف فلا ينطلق لسان التعبير فى هذا الموقف ولايتسع مجال البيان (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) [2] •

اما مايمكن ايراده فهو ماتناولته التواريخ وكتب السير عن طريق النقل والرواية • ومما جاء فيها على سبيل الاجمال ان ذلك الانقلاب

---

(١) الكهف : ١٠٩

(٢) الاسراء : ٨٥

العظيم الذى قلب نظام الاجتماع الانسانى وانقذ المجموعة البشـــرية من ظلمات الجهل والضـــلال والذى يزداد عظمـــة كلما اعيد ذكره على الاسماع ، لم يكن وراءه جيش عرمرم ، او مال غزير او ملك جبار ، او عصبية قومية ،او ملك لايبلى ، وانما الامر على النقيض من ذلك •

فقد كان يتمثل فى شخص يتيم ، امى ، عائل ، اعزل ، يطوى يوما ويقتات يوما ، ظهر من بين الصخور السود ، فى واد غير ذى زرع ،حاملا فكرة التجدد والاصلاح و (الله اعلم حيث يجعل رسالته [٣]) من حوله قوم جبلوا على الانانية وحب الذات ، لا يخضعون لسلطان ، ولاتلين لهـم قناة ولايلوون على احد ، وفوق ذلك لهم من تقاليدهم الموروثة عن آبائهم الاولين مايجعلهم يخرجون على كل جديد فى الحياة • مقيدين بسلاسل اعتقادات ولدتها الهواجس والاوهام ، توالت عليها القرون ، وانتقلت الى الاصلاب جيلا بعد جيل،حتى امتزجت باللحم والدم ،واستحالت جزءا من حجيراتهم ، فلم يكن فى وسعهم التخلى عنها ولو لمعت على رقابهم السيوف • ولم تكن هذه الحالة النفسية خاصة بهم ، دون غيرهم من الاقوام ، بل كانت هذه سيرة البشر على الاطلاق وفي هذا الموقف الرهيب ينكشف سر النبوة •• دعاهم الى الايمان غير ملتفت الى مالهم ، وعدهم ، وسلاحهم ، وحميتهم الجاهلية ، وليس له مما يشايعه سوى ايمانه بحلول الوقت لاصلاح البشر فى أمر دينه ودنياه ، والسير به على خطط مرسومة تقرب الى ذهنه المعرفة بخالقه وبحقائق الاشياء ، والغاية التي خلق من اجلها •

فناوأوه ، وآذوه ، وتآمروا عليه ، وسخروا منه ، وهو ثابت ثبات الجبال ••• حتى حل في مداركهم ، وسحر قلوبهم ، وامتلك شعورهم وهيمن على نفسياتهم ، وحرر عقولهم من تلكم الخرافات التى جعلتهم مطمورين قرونا في أعماق ماضيهم وقوض آلهتهم ونزع ما في صدورهم

---

(٣) الانعام : ١٢٤

من غل ، وجمع شملهم تحت رايته ،وأدبهم بآداب شريعته وبعث منهم خير أمة اخرجت للناس .

بعث من شتات ذلك القوم المتنافر المتمرد أمة متراصة متضامنة ذات بأس وقوة وعزم لايقل ، وارادة لا راد لها ، وايمان يلين له الحديد ، فامتطوا متون عزائمهم فذلت لهم الصعاب ودانت الارض بما فيها ، فطووا سهولها وحزونها وجبالها الشاهقة وبحارها الهائجة ، ولم يثنهم حر لافح ولا برد قارس ولا ريح صرصر ، حتى بسطوا سيادتهم على ما يقارب الربع المسكون ودوت كلمة التوحيد من بطحاء مكة الى أعالي تركستان وجنوب أوربا الى نهر الرون الى جبال بيرنه ومن بحر العرب والاقيانوس الهندي وصحراء أفريقية الى بلاد السند والبنجاب الى الاقيانوس الاطلانتيكي ، وملأوا الافاق علما وعدلا وحكمة وأمنا وهيبة وجلالا . تلك هي الروعة التي يتعذر على الباحث تصورها ، وذلك محمد بن عبد الله صاحب هذا اليوم العظيم (ص) .

ففى مثل هذا اليوم يفتتح البشر عهدا جديدا ، وتستهل الانسانية تاريخا حافلا بسياسة العدل والحرية والمساواة ومكارم الاخلاق والبحث والتفكير فى خلق السماوات والارض وطلب العلم وفرضه على كل مسلم ومسلمة والسير فى انحاء العالم وتمحيص الآثار وتزكية النفس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وينطوي عهد الاساطير والعبودية ، ويعرف الانسان ما له وما عليه ازاء نفسه وخالقه والمجتمع الذى يضمه ويؤويه . ويدرك أن الطبيعة وما فيها آية من آيات الله ليس لها من الامر شىء (ألم تر أن الله له من فى السموات ومن فى الارض [٤]) ، وليس الفضل لهذا اليوم مقصورا على المسلمين وانما هو شامل لجميع طبقات البشر التي اقتبست من نوره عن

---

(٤) الحج : ١٨

طريق الدرس والاتصال وممارسة الاثار الاسلامية (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين [٥]) .

سيأتي يوم يعترف به من لم يعترف اذا ما قطع العلم مراحل أبعد مدى في طريقه نحو التكامل والارتقاء ، لان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم في السياسة والادارة والاداب والاجتماع والاخلاق ونظام الحكم لكل جيل وفي كل قطر على اختلاف الطبائع والعناصر والطبقات قويها وضعيفها وفقيرها وغنيها حسبما تقتضيه المصلحة العامة وتدعو اليه الحاجة ولان مبادىء دين الاسلام اضمن لاستقرار الامن فى العلم وحفظ السلام العام (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) [٦] .

ومهما اصاب المسلمين من نكبات فان اعلام هذا الدين ستبقى خافقة مادام على وجه البسيطة أثر للحياة .

أما النكبة فكلما عظمت فانها تزيد الأمم المنكوبة يقظة وانتباها وغيظا وحقدا واحتقارا للحياة ، فتستأسد ، وترخص لديها الأرواح ، ويهون عليها كل عزيز ، وتستعذب الموت ، حتى تسترد الحق المغصوب ، وتعيد المجد ، وتحيي معالم العظمة وترفع راية النصر ولو على الخرائب والأطلال (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) [٧] .

فهمى المدرس*

---

(٥) الانبياء : ١٠٧

(٦) آل عمران : ٨٥

(٧) الروم : ٤٧

* مجلة « العالم الاسلامى » الجزء الاول والثانى ـ السنة الاولى ١٩٣٨م .

فلسطين بين التقسيم والامبراطورية العربية

عرفت سياسة الاستعمار كيف تستدرج بعض الرجال عام (١٩١٤م) وتحملهم على تلقين السواد الاعظم بان الغرب أخذ يعطف على الامم الضعيفة ، وان فى النية مساعدة العرب على نيل استقلالهم واحياء مجدهم بتأسيس امبراطورية مترامية الأطراف من الخليج الفارسي الى جبال طوروس ، ومن ساحل البحر المتوسط الى حدود ايران اذا هم انضموا الى مجموعة الحلفاء .

فانبثت الدعايات بين الطبقات بمختلف الأساليب حتى كاد العرب يلمسون الامبراطورية المزعومة بأيديهم .. وأخذت الحماسة مأخذها وانطلقت ألسن الشعراء والخطباء بتغريد الأناشيد واستعراض المجد الطارف والتليد ، كأن الأمر بين الكاف والنون . لأنهم لم ينتظروا من الحلفاء ان يستدرجوا أمة فى القرن العشرين بهذا الاسلوب كما يستدرج الطفل الصغير ، وانضووا تحت لواء الحلفاء وخاضوا غمار الحرب متكلين على الوعود .

وطووا كشحاً عن اقتراح حكومة (الاتحاد والترقي) على يد جمال باشا[1] قائد الفيلق الرابع فى دمشق حول اعتراف الدولة العثمانية باستقلال العرب على أساس (اللامركزية) فوراً اذا هم التزموا الحياد .

ونسوا ان الغرب منذ مئتي عام يحاول اقتسام البقية الباقة من بلاد الشرق لاستغلال منابع ثروتها ، ويبذل الجهود المتواصلة لتحقيق هذه

---

(١) ولد فى استانبول عام ١٨٧٢ ، وتقلد مناصب مهمة كثيرة كالمتصرفيات والوزارات وقيادة الجيش الرابع فى سوريا . وكان اتحاديا من اشد الاتحاديين تمسكا بالفكرة الطورانية ، وسفاحا يحسب الاعدام من واجباته اليومية . قتل فى (تفليس) عاصمة كرجستان فى ١٨تموز ١٩٢٢ .

الأمنية وفى ضمنها بلاد العرب كما نصت عليه معاهدة (سايكس بيكو)[٢] المنعقدة بين فرنسة وانكلترة عام (١٩١٥م) وكان قد آن الأوان ، ولذلك قامت الحرب على ساقها •

وكاد الأمر يتم لهم لولا أن قيض الله لتركية وايران من بعث فى الأمتين روحا يذوب أمامه الحديد ويفنى الجبروت •

وما وضعت الحرب أوزارها الا انقلب للعرب ظهر المجن •• فاذا بأعلام الاستعمار تخفق على ربوعهم واذا بهم يتخبطون بدمائهم ، ولا ذنب لهم سوى غيرتهم على أوطانهم ، والدفاع عن حرياتهم ، وقد مضى على فلسطين عشرون عاما وهى تردد الأنفاس بين المشانق والسجون •

فلسطين والانتداب :

اما الانتداب الذى فسرته (عصبة الامم) بالمشورة والمساعدة ورفضه العرب رفضاً باتاً فهناك صفحة من صفحاته :

ما خفق علم الانتداب على أرض فلسطين الا فتحت أبوابها لمئات الألوف من الصهيونيين المتشردين الذين جيء بهم لمزاحمة الأهلين فى مواطنهم ومقدساتهم وفيما ملكت أيديهم ، ولاحداث معضلة تشغل العالم بضع سنين ثم تتخذ ذريعة للتوصل الى حلها من طريق التقسيم المتصور من

---

(٢) معاهدة سايكس ـ بيكو : هو الاتفاق السرى المبرم فى ٢٦ أيار ١٩١٦ بين انكلترا وفرنسا والخاص بالاستيلاء على ممتلكات الدولة العثمانية وتقسيمها الى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية وتقطيع اوصال الوطن العربى الى خمس مناطق ساحلية وداخلية • وقد بقيت بنود هذا الاتفاق سرية حتى اعلنتها روسيا بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ فانكشفت نوايا انكلترا وفرنسا وروسيا تجاه البلاد العربية عامة والثورة العربية بصورة خاصة التى (تزعمها) امير مكة الشريف حسين باشا ضد الدولة العثمانية • وقد اشتهر الاتفاق بهذا الاسم نسبة الى المفاوضين الانكليزى والفرنسى اللذين وقعا قبيل توقيع روسيا القيصرية عليه ، وهما السير مارك سايكس الخبير الانكليزى فى شؤون الشرق الاوسط ، والمسيو جورج بيكو القنصل الفرنسى العام فى بيروت آنذاك •

قبل الحرب العالمية ومن قبل أن تقسم البلاد العربية الى مناطق نفوذ ، لأنه أمنع الوسائل لتعزيز طريق الهند وحماية أنابيب النفط .

وما وطئت أقدامهم الارض المقدسة الا ثارت الفتن ، وأريقت الدماء، وتحولت الربوع الآمنة الى مجازر على طول البلاد وعرضها ، وبلغ الجزع منتهاه فكانت المعضلة المقصودة . فمن لجنة الى لجنة ، ومن تحقيق الى تحقيق ، حتى تكامل العدد المطلوب من المهاجرين الصهيونيين لاسماع صوتهم فى قاعة العصبة كشعب مظلوم .

فلسطين ومشروع التقسيم :

أذيع مشروع التقسيم مع التصريح بأنه أفضل حل وجدوه ، لأن القسم المهم الذى تتألف منه (دولة فلسطين) وفيه القدس يلازمه الانتداب الى أجل غير مسمى ، و (دولة أرض اسرائيل) يخفق عليها علم الانتداب الى حين ، والبادية الجرداء يساق اليها العرب كما تساق البهائم ، وتؤسس فيها (دولة جنوب سورية) لان العرب مغرمون بهذا الاسم من القديم كما علله وزير المستعمرات فى لجنة الانتدابات .

وبهذا الاعتبار تقوم مقام المتصرفيات الثلاثة التى كانت على عهد الدولة العثمانية وهى : القدس ، عكا ، نابلس ، دول ثلاث لها عروشها وتيجانها وتشكيلاتها الادارية والسياسية ، وتدعى مراكز الألوية بالعواصم ، وتكلل مقاعد المتصرفين بأصحاب الجلالة ...

فلسطين ومؤتمر زوريخ :

ولكن مؤتمر (زوريخ) المعبر عن رغبات (١٧) مليونا من الصهيونيين والناطق بلسان مئات الملايين من الباونات رفض هـذا الاقتراح المرصع بالعروش والتيجان ، لأن القسم المخصص للدولة الاسرائيلية فى الساحل لا يسع تشكيلات دولة ولا يستوعب النفوس المنتظر تقاطرها عليه من يهود العالم ، وقرر المطالبة بفلسطين كاملة مع انضمام شرق الاردن اليها والا فلا.

فأوصت لجنة الانتدابات بأن يدرس مشروع التقسيم درسا دقيقا ويؤجل الى عام (١٩٤١م) .

فلسطين والامبراطورية العربية :

وعلى أثر التأجيل اقترح فريق من الصهيونيين تأسيس حكومة مشتركة بين العرب واليهود فارتأت الدولة ذات الشأن ـ ان صح الخبر اللاسلكى ـ ان تجمع بين قرار المؤتمر الصهيونى وبين هذا الاقتراح وتستدرج العرب ثانية بالالفاظ الخلابة ، وذلك بتأسيس امبراطورية عربية تضم العراق وفلسطين وشرق الاردن على أن يفسح المجال لاسكان مليونى صهيونى في هذه الأقاليم علاوة على الموجودين منهم البالغ عددهم مليونا بوجه تقريبي.

قد ينخدع بعض البسطاء بظاهر الألفاظ كما انخدعوا عام (١٩١٤م)، ولكن الذى نعتقده ان المفكرين من العرب لا تغرهم حبات الفخاخ بعد تلكم التجاريب وبعد ان عجموا عود السياسة واطلعوا على دخائلها .

فليس بالأمر العسير ان تنقلب (الامبراطورية العربية) الى (امبراطورية عبرية) بعد ان ينهال الملايين من الصهيونيين وينحدروا كالسيل الجارف ويصبح العرب فى حكم الأقلية..لان الصهيونيين لا ملجأ ولا حامي لهم بعد اليوم سوى بريطانيا العظمى ولديهم من المال ما يذللون به الصعاب ، وان الذى يفقد بقعة من الارض يأوي اليها تهون عليه التضحية بأعز مالديه .

واذا كان التقسيم مآله تهجير الفلسطينيين من أوطانهم فمشروع الامبراطورية معناه جلاء العرب عن المقاطعات المذكورة ، اذ لو كان من الممكن احتمال الصهيونيين بوجه من الوجوه لاحتملتهم ألمانيا وبولونيا ورومانيا وغيرها وهم فى كل قطعة منها أقلية ضئيلة ، وقد تخلقوا بأخلاق أهلها وتعلموا لغاتهم وتثقفوا بثقافتهم وتأدبوا بآدابهم ، واندمجوا فى طبقاتهم ومع ذلك استغاثوا ولم يجدوا لهم علاجا سوى اقصائهم عن البلاد .

فكيف يكون وضع العرب اذا ازدحم الملايين على مواطنهم وهم ضدان لا يجتمعان لما بين الفريقين من الأحقاد التى لا تمحوها القرون فضلاً عن اختلافهم فى الجنسيات واللغات والثقافة والأمزجة والمبادىء والعادات ، قبضوا على موارد الرزق واحتكروا المهن ، وتسربوا الى دواوين الحكومة.

والى قلب الجيش وأخذوا يتاجرون بالسياسة وامتلكوا البقية الباقية من الاملاك والاراضى وشادوا القصور وتغلبت عليهم الانانية وسولت لهم أنفسهم تأسيس (الامبراطورية العبرية) الموعودين بها ومن ورائهم أعظم دولة فى العالم تمدهم بالسلاح والعتاد كما هى الحالة فى فلسطين بالرغم من أقليتهم .. ؟!

وقد صرح الهر هتلر فى مواقف عديدة أن اليهود هم الذين أثاروا الحرب العالمية لغايات من جملتها استغلال الوضع كما وقع ، فقد انتقلت ثروة الألمان وأملاكهم اليهم علاوة على انتقال المهن ووظائف الدولة ، وفى رومانيا بلغ سوء الظن بهم مبلغا حمل الحكومة على منعهم من معاملات البيع والشراء بدون محضر من البوليس . وفى بولونيا ضاقت الأنفاس من تصرفاتهم فى الاقتصاديات وتلاعبهم فى السياسة .

فالذى يتحتم على العرب عامة وعلى العراق خاصة الوقوف ازاء هذا الخطر والذود عن كيان البلاد بالأرواح والأموال .. وخير للعرب أن يموتوا أعزاء من أن يعيشوا عيشة البائس والمعتر .

العرب واليهود المواطنون :

قد يغتبط مواطنونا اليهود بهذا المشروع لاعتبارات لا حاجة الى بيانها كما اغتبط العرب قبل أربعة وعشرين عاما فكانت العاقبة أضغاث أحلام .. ولكن الذى يجب أن يفكروا فيه هو ان اليهود الأوربيين كما انهم أجانب عنا كذلك هم أجانب عنهم فى طبائعهم وغاياتهم وأنانيتهم وتربيتهم الاجتماعية التى تبعث فيهم حس الاحتقار للشرقيين وان كانوا اخوانهم فى الدين .

فاذا ما استحوذ الملايين منهم على موارد الحياة فى جميع تفرعاتها – ولهم حق الرجحان من وجوه شتى – فمن المستحيل أن يستقيم لهم رغد العيش الذى يتمتعون به فى البلاد العربية منذ عصور .

نقول هذا وهدفنا الوحيد هو الصالح العام من دون تفريق • ولم يسبق أن فرق العرب بين مصالحهم ومصالح الطوائف التى أوت الى راية حكمهم قرونا وشاطرتهم الحياة على أتم الوئام •

هذه كلمة جئنا بها للتذكرة والانتباه و (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)[٣] •

« عراقي »*

---

* مجلة « العالم الاسلامى » الجزءان الاول والثانى ١٩٣٨ •

(٣) الطلاق : ١

فلسطين بين المشانق والمآدب

تتوالى الحفلات وتقام المآدب في (لندن) اليوم للوفود والامراء وتتخللها مقابلات مع اسمى مقام ، وتدور المفاوضات فى (سان جيمس) في جو هادىء بين العرب والانكليز من جهة وبين الانكليز واليهود من جهة اخرى حول معضلة فلسطين ، وفي فلسطين تحمل المشانق للعالم المتمدن ما يكشف الستار عن حقيقة المدنية الكاذبة ، وموقف الانسانية المخدوعة ، وسرائر المفاوضات .

تدور المباحثات فى (سان جيمس) وتنشر الوثائق وتعقد الاجتماعات ، ويعقب ذلك مزاورات وسياحات على حساب فلسطين ، وفلسطين تستغيث من جيش الاحتلال وما يستبيحه من تحطيم واحراق وحبس ونفي وانتهاك للحرمات على حساب اليهود الدخلاء .

أما المفاوضات فلا تخرج عن حدود التناقض على خط مستقيم بين الفريقين العرب واليهود فى الظاهر ، وبين العرب والانكليز فى الباطن ، لان اليهود فى الحقيقة ليسوا سوى أداة مسخرة لسياسة الاستعمار فى الارض المقدسة .

يشترط عرب فلسطين للدخول فى المفاوضات اعتراف بريطانيا اولا بالاستقلال وتأسيس دولة عربية ذات سيادة ، ومنع الهجرة اليهودية ، وبيع الاراضى لهم ، واعتبار اليهود أقلية لها من الحقوق ما للاقليات فى البلاد الاخرى .

ويشترط اليهود الاعتراف بالوطن القومى ، والاستمرار على الهجرة اليهودية ، واستملاك الاراضى ، واعتبار اليهود أكثرية بالنظر الى المستقبل القريب .. والضدان لا يجتمعان .

ولا عجب اذا ما اعتبرت بريطانيا العظمى شراذم اليهود المشردين والمطاردين من قبل ثلثي دول العالم كشعب له حق الكلام ، لانها هى التى لمت شعثهم فى الارض المقدسة لغايات لو عقل اليهود لما بذلوا فى سبيلها الجهود والاموال الغزيرة بالنظر الى تحول السياسة العالمية في البحر المتوسط .

غير ان الذى لم يسبق له مثال فى تاريخ البشر هو ان ترغم بريطانيا العظمى عرب فلسطين على احلال اولئك اليهود محلهم بقوة الحديد والنار ، وفلسطين وديعة مقدسة فى يدها ، والاستقلال منصوص عليه فى ميثاق العصبة وفى معاهدة (لوزان) وهى مكلفة بتقديم المساعدة والارشاد لترقية البلاد وأهلها كما جاء فى الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من الميثاق المنقولة فيما يلى :

(ان بعض البلاد كانت فى القديم تابعة للامبراطورية العثمانية وقد بلغت درجة راقية يمكن معها الاعتراف مبدئيا بكيانها كأمم مستقلة على ان تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى .. ان اعتبار رغبات هذه البلاد يجب ان يكون فى الموقع الاول فى انتقاء الدولة المنتدبة) .

فأين هذه المبادىء السامية من سفك الدماء وغصب الحقوق ، والتهجير ، والزج فى السجون وانتهاك حرمات المقدسات ..؟

وما بال عصبة الامم لا تبدى حراكا ولا تنبس ببنت شفة ، وهى انما تألفت لنشر السلام والامن فى العالم ، ولزيادة التعاضد المادى والفكرى بين الامم كيما تصبح حياة البشر أسهل وأسعد وأشرف من قبل ، كما نص عليه الميثاق .

وجاء فى الفقرة (آ) من المادة (٢٢) من الميثاق ما يلى :

(فى المستعمرات والاراضى التى لم تعد بعد الحرب تابعة لسيادة

الحكومات التى كانت خاضعة لها سابقا والتى يعجز سكانها عن القيام بالحكم الذاتى فى بلادهم تحت الظروف الصعبة فى العالم الحديث ، يجب ان يطبق المبدأ القائل بان رفاهية هذه الشعوب وارتقاءها وديعة مقدسة من ودائع المدنية وان يتضمن هذا الميثاق الضمانات اللازمة للقيام بهذه الامانة) .

فاذا كان ميثاق العصبة قد ضمن لسكان المستعمرات والبلاد العاجزة عن القيام بالحكم الذاتى هذه الضمانات الاكيدة لاسعاد الاهلين واعمار بلادهم ، وعدها وديعة مقدسة من ودائع المدنية ، فكيف بفلسطين التي شهدت عصبة الامم برقيها واعترفت باستقلالها فى ضمن المقاطعات المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية ..؟ واليهود ليسوا بشعب وليس لهم ذكر بين الشعوب .

وفلسطين لم تخفق عليها راية الاستعمار منذ عهد الفاروق الى يوم الاحتلال البريطانى ، وكان العرب فى جميع الادوار هم الحكام ولهم السيطرة التامة وكذلك وضعهم فى عهد الدولة العثمانية فانهم وان كانوا شركاء مع الاتراك فى الحكم الا ان السيطرة لهم ، وكلمتهم هى العليا ، وقد قاموا بواجبهم نحو المقدسات أحسن قيام .

ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام كلمة (المهاتما غاندى) عظيم الهند فى خطاب ألقاه على عشرات الالوف من المستمعين وهى :

(ان فلسطين ملك للعرب كما ان انكلترة ملك للانكليز .. ولماذا لا يريدون ان تكون فلسطين وطنا لشعب ولد تحت سمائها ويكسب رزقه فيها .. انه لمن الخطأ ومما يخالف المبادىء الانسانية ان يفرض اليهود على العرب فرضا) .

ولا يعقل ان يتغلب اليهود وهم مشردون في الآفاق ، منبوذون من قبل الامم الاوربية ، ولم يتجاوز عددهم (١٦) مليونا فى جميع انحاء العالم ـ مهما حاولوا الاطماع بالمال واستهواء السياسة بالحيل والدسائس ـ

على العرب الذين لا يقل عددهم عن (٧٥) مليونا يشايعهم (٣٥٠) مليونا من المسلمين ، ومن ورائهم قوة الحق الصريح ، والسياسة العالمية ، والعصبية الشرقية ، وفوق ذلك الايمان بعدالة أحكم الحاكمين .

ومن الأدلة ما جاء فى أخبار لندن بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٣٩ عن الشعور الهائج فى (كلكته) نقلا عن صحيفة (نجمة الهند) ما ملخصه:

« ان ما تنشره هذه الصحيفة من مقالات الانتصار لفلسطين يبعث اهتماما كبيرا فى العاصمة الانكليزية ، ومن جملتها المقال المنشور بعنوان (مسلمو الهند يؤيدون العرب تأييدا قويا) فقد تظاهر فى شوارع (كلكته) ستون ألفا من المسلمين حاملين أعلاماً سوداً ورايات مكتوبا عليها : انقذوا العرب من الانضمام الى محور روما – برلين .. ان استقلال العرب هو الضمان الوحيد للسلام فى البحر المتوسط .. واذا لم يمثل الهند فى مؤتمر فلسطين فان تسعين مليونا من الهنود يصابون بالاجحاف ».

وجاء من لندن ان الجمعية الاسلامية التى تمثل مسلمى الهند عامة رفعت مذكرة الى الحكومة البريطانية بعد اجتماع حضره خمسون ألفا من الهنود فندت فيها مزاعم اليهود وختمت المذكرة بما يأتى :

« ان الجمعية الاسلامية لتعلن بان مسألة فلسطين هى مسألة المسلمين فى جميع انحاء العالم ، واذا لم تجب الحكومة البريطانية مطالب العرب العادلة التي هي مطالب مسلمى العالم فان مسلمى الهند سيتبعون أي برنامج يسنح لهم ويكونون على استعداد لبذل أية تضحية يقررها مؤتمر اسلامى دولى مع مسلمى الهند لتحرير العرب من الاستغلال البريطانى والاستبداد اليهودى » .

وقد صرح أمام عصبة الامم ممثلو الحكومات التركية والايرانية والافغانية والعراق بان قضية فلسطين يجب ان لا ينظر اليها من ناحية العرب فقط ، بل من ناحية العالم الاسلامى أجمع ، وان هذه الحكومات

لا توافق على السماح لليهود بانشاء الوطن القومى ، والتقسيم الى ثلاث مناطق دولية ، وذلك بعد تقديم المذكرة المشتركة المقدمة الى حكومة بريطانيا بتاريخ ٤ آب ١٩٣٨ وقد أعرب وزيران من زراء خارجية مصر عن شعور المصريين نحو عرب فلسطين وتأييد حقوقهم المشروعة ، مما لا يبقى شكا فى ان العالم العربى والعالم الاسلامى يؤيد مطالب الفلسطينيين بالاجماع .

ومع هذا التساند أبدى العرب من التسامح ما يبرهن على انهم لم يحرجوا موقف بريطانيا فى المؤتمر .. فقد تعهدوا بتقديم الضمانات لحقوق الاقليات اليهودية والدرزية وغيرها ، ومنح جميع السكان الحقوق الشخصية السياسية والمدنية على حد سواء بدون تفريق بين المذاهب والعناصر والاديان ، وان يكون حق الانتخاب عاما بحسب المبادىء الديمقراطية ، وان يشترك اليهود فى الحكومة بنسبة عددهم ، وان يخولوا حق الادارة المحلية فى المناطق المأهولة باليهود ، ومراعاة النسبة فى تمثيلهم فى المناطق المشتركة بينهم وبين غيرهم ..

وذلك منتهى ما يمكن السماح به لفئة أجنبية عن البلاد ، عالة عليها فى سياستها وادارتها وأخلاقها وعاداتها ولغتها ومعاشها وأراضيها الضيقة. فكان ازاء هذا التساهل ان عرض مستر مكدونالد على المؤتمر اقتراحات ترمي الى اشتراك العرب الى حد محدود فى ادارة فلسطين بدل الاستقلال التام ، وتحديد الهجرة بدل ايقافها ، وتحديد بيع الاراضى بدل منعه منعا باتا ، وذلك على أساس تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : المنطقة الاولى وهى الاراضى الخصبة الكثيرة الزراعة وفى هذه الاراضى لا يمنع البيع ، والثانية التي تقل عن الاولى من حيث القابلية الزراعية ينظم فيها البيع ، والثالثة وهى التى تشتمل على أراض غير صالحة للزراعة وفيها يمنع البيع منعا باتا .

والذى يفهم من هذه المقترحات ان سياسة الاستعمار لم تتغير قيد شعرة عما كانت عليه قبل عشرين عاما .. فلم تعترف بريطانيا للعرب بالاستقلال ، ولم تتعهد بمنع الهجرة اليهودية وبيع الاراضى ، ولم تعدل عن فكرة التقسيم ، غير ان المناطق الثلاث كانت فى التقسيم الاول تعتبر عواصم عروش وتيجان ، فأصبحت مناطق زراعية ، والنتيجة واحدة ، فكما ان نصيب العرب من التقسيم الاول كان التهجير الى الاراضى السباخ ففى هذا التقسيم كذلك .

وسواء منع البيع فى المنطقة الثالثة أم لم يمنع فالاراضى السباخ مستثناة بحكم الطبيعة من البيع والشراء وليس فى ذلك فضل على العرب أو حل للمعضلة .

أما العرب فلا يقر لهم قرار ، ولا يأمنون شر اليهود مادام عددهم بلغ (٤٥٠) ألفا بعد ان كان خمسين ألفا فقط ، ومادام باب الهجرة مفتوحا على مصراعيه وبيع الاراضى مسموحا ، وما دامت السياسة البريطانية تقضي بحمايتهم لجعل فلسطين محطة للقوى الجوية والبحرية .

وهذه دول اوربة المعتزة بقوتها لم تسلم من شرورهم بالرغم من القوانين الصارمة التى حرمت عليهم مزاولة الصحافة والطبابة والمحاماة والتجارة والصيرفة والسمسرة وغيرها من المهن والصنائع ، كما حرمت عليهم التجول فى المنتزهات والركوب فى السيارات والاختلاط بالشعب الآرى .

وقد حملت الينا الانباء اللاسلكية ان الحكومة الجيكوسلوفاكية أصدرت مرسوما بتاريخ ٢١ شباط ١٩٣٩ منعت فيه اصدار المواد الثمينة من البلاد بعد ان شعرت بان الاموال الجيكوسلوفاكية تهرب الى الخارج بمقياس واسع بواسطة المهاجرين اليهود ، وتشمل هذه المواد ما يملكه اليهود من مصنوعات المعادن الغالية والاحجار الكريمة .

واصدرت حكومة برلين أمرا فى ٢٦ شباط ١٩٣٩ ينص على تجريد اليهود من الاشياء الثمينة كالقطع المصنوعة من الذهب والفضة والبلاتين والاحجار الكريمة واللآلىء لقاء تعويضات تقررها وزارة الاقتصاد .. وان المدير العام للمعمل الكيمياوى فى براغ منع اليهود من ذبح الطيور والمواشى طبقا لتقاليدهم كما منعهم من بيع اللحوم (الكاشير) عسى ان يضطروا الى المهاجرة .

وليس عرب فلسطين بأقوى من ألمانيا وايطاليا ورومانيا وبولونيا وليتوانيا وجيكوسلوفاكيا ولا أدرى منها بحيلهم وهذه الدول فى حيرة من أمرهم .

لذلك انا لا تعلق آمالا كبيرة على المؤتمر ونتائجه ، لان الحل الوحيد في نظرنا هو اتباع سياسة الدول الاوربية وذلك بأخراج اليهود الدخلاء من فلسطين واسكانهم فى بلاد أخرى وابقاء ما كان على ما كان اذا صح ان السلم العالمى أمر مرغوب فيه .. ومما لا يخلو من فائدة ان ننقل بهذه المناسبة عن الانباء اللاسلكية الفقرة التالية :

« ان تركيا التى ضمنت استقلال جميع الشعوب المنفصلة عن الجسم العثمانى فى معاهدة لوزان لا يمكنها ان تقف مكتوفة الايدى الى الابد تجاه أمور خطرة تجرى على مقربة من حدودها بصورة مستمرة . وما على الدول الاجنبية الكبرى الا ان تمعن النظر فى أمر هذه الامم الحية وتعيد السلام الى البلدان التى تقطنها لئلا يستفحل الامر وتكون نهاية غير منتظرة .. »

وكنا قد أشرنا الى هذا المعنى فى مقالاتنا السابقة وبينا ان تركية لم تتنازل عن سيادتها في المقاطعات المنفصلة عن المملكة العثمانية الا بشرط الاستقلال ، فالبلاد العربية مستقلة بذاتها ، لا تحتاج الى ثورات ومؤتمرات وزحف الجيوش الجرارة ، وإزهاق الارواح ، واحداث الاضطرابات لا تنتج غير الخسائر الفادحة للاهلين وللمحتلين .

وعلى أثر انعقاد المؤتمر الفلسطيني في لندن نشر (الكونت سفورزا) وزير خارجية ايطاليا الاسبق المقيم في باريس وهو من معارضي السنيور موسوليني مقالا بعنوان (الحرب القادمة سببها فلسطين وسورية) جاء فيه :

« لم يثبت اليهود انهم ابناء عم العرب ، اذ كيف يتسنى لهم ان يثبتوا ذلك وهم يحاولون الاستيلاء على فلسطين • واذا لم تتدارك الدول الاوربية مسألتي فلسطين وسورية فلا شك في ان الحرب المقبلة ستنبعث من هناك • لقد أخطأ الانكليز ومن ورائهم اليهود في اطلاق اسم فلسطين على قطعة الارض الضيقة الواقعة في غربي الاردن ، لان هذه الارض هي قطعة من سورية ، وسورية من الوجهة الجغرافية والتاريخية جزء من العالم العربي الموثب واذا سألتم القرون في ايام الحروب الصليبية وماقبلها وما بعدها علمتم ان فلسطين بلاد عربية ، بل انكم اذا سألتم الامبراطورية الرومانية تبين لكم انها كانت تسيطر على سورية باعتبار انها قطر عربي يتولاه أمراء العرب الذين كانوا يؤلفون اكثرية السكان • وكان على انكلترة ان تعلم ان اسكان اليهود لا يتم الا بموافقة العرب وان تعلم ان السوريين والعراقيين كلهم عرب وان اختلفوا في المذاهب حتى الموارنة والدروز وان ثمانين في المائة منهم يسري الدم العربي في عروقهم وقليلة هي الامم التي تجدون بينها نسبة عالية كهذه ، والعرب شعب متوثب لهم مستقبل عظيم سيملأ الدنيا نورا كما ملأها في الماضي • فعلى اليهود ان يتدبروا أمرهم لئلا يكونوا أول ضحية لهم ، فالنهضة العربية واقعة لا محالة واذا حاول اليهود ان يقفوا في طريقها فلا يلومن الا انفسهم » •

وجاء من (بكرش) في شباط ١٩٣٩ ـ ان قد جرد من الجنسية الرومانية (٣١) ألفا من اليهود خلال ثلاثة اشهر ، ويجري الآن تدقيق سجلات النفوس على أساس القوانين ضد اليهود • وقد طلب وزير العدلية

انهاء ذلك فى ٣١ مارت ١٩٣٩ ـ اذ لايزال عدد كبير من اليهود الذين يجب ان يحرموا الحقوق المدنية .

ولو كان غرض اليهود مجرد الحصول على بقعة أرض يأوون اليها لما رفضوا اقتراح فرنسة فى عامى ٣٥ و ٣٦ حول اسكان عدد منهم فى سورية بشرطان يكون لديهم رأس مال صغير ، وان لا يحاولوا تأسيس وطن لهم ، وان لا يكونوا منتمين لأية شركة أو جمعية .. ولكن هدفهم أبعد من ذلك مدى ، وربما تناول بسط سيطرتهم على فلسطين وسورية وشرقى الاردن والعراق ، وسياسة ألمانيا وايطاليا بهذا الباب واضحة ، وحكومة بريطانيا أعلم بوقوفهما موقف المترصد ، وتركية لم تتنازل عن سيادتها فى هذه المقاطعات الا بشرط الاستقلال ، فمشكلة فلسطين أصبحت من مشاكل السياسة العالمية كما أشرنا اليه أكثر من مرة .

وليس من المنطق ان تنقاد السياسة العالمية لدسائس جماعة مخذولة أجمعت الامم المتمدنة على تشتيت شملها للتخلص من الاحابيل التى لاتنتهى عند حد ، ما عدا أمريكا وانكلترة المسيطرة عليهما بقوة المال .

هذا هو الوضع العالمى ازاء العرب واليهود ، والفرصة سانحة للعرب أكثر مما هى لليهود و (الحق يعلو ولا يعلى عليه) .

وقبل ان نختم كلمتنا نحيى أرواح الشهداء وبطولة الاحرار المجاهدين الذين خلدوا في تاريخ العصر الحاضر صحيفة من صحائف الخلفاء الراشدين ، ورفعوا راية العرب والاسلام الى أعلى مقام ، وسلام على الاحياء وألف سلام على الاموات ورحمة الله وبركاته .

« عراقي »*

---

* مجلة « العالم العربى » الجزء الخامس والسادس السنة الاولى ١٩٣٩

اليوم الثاني عشر من ربيع الأول

وروعة دين الاسلام والوضع الحاضر

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا »(١) •

حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة وبشر بها قبل أربعة عشر قرناً ، ولايزال يرن صداها فى أنحاء العالم حتى يكشف العلم أسرار الكون وخفايا الطبيعة وما وراء الطبيعة ، ويتكامل العقل الانسانى ، وتنجلى الحقيقة لمن كتب الله له سعادة الدارين •

وفى مثل هذا اليوم من كل عام تنطوى الأبعاد بين الأقطار الشاسعة الاسلامية ، ويتماج الشعور ، وتتصل القلوب ، ويتجاذب مئات الملايين من المسلمين ذكريات ذلك الانقلاب الخطير الذى افتتح عهد اليقظة والانتباه ، وتستعرض من أعماق الماضى البعيد ألواح العظمة التى هزت العالم ورجت الأرض ، ودكت الجبال وطوت الفيافى والبحار ، ورفعت راية الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ، ودوت صرخة الحق في الآفاق (ان الله يأمر بالعدل والاحسان)(٢) •

فانطمست معالم الظلم والجبروت لهذا الفزع الأكبر ، وذلت الرقاب ، وخرت العروش ، ونادوا أتينا طائعين •

تتجلى الاتصالات المعنوية ، والجواذب الروحية كلما عاد اليوم الثانى عشر من ربيع الأول ، وشعت الأنوار من مطلع الهداية ومهبط الوحى والنبوة ••

وكان على المسلمين أن يستوحوا القوة من معجزات هذا الدين ،

---

(١) الاحزاب : ٤٥ ـ ٤٧

(٢) النحل : ٩٠

وروعة ذلك التأريخ ويستفزوا العزائم لاعلاء كلمة الله كما أمروا به .. ولكنهم اتكلوا على ماضيهم ، وأغمدوا السيوف وناموا ، ولم يعتبروا بعواقب الامم من قبلهم ، وهان عليهم ان يتعاون على انحطاطهم فريقان منهم ، أولياء الأمور من جهة ، ودعاة المذاهب من جهة أخرى .

انغمس اولو الأمر فى غمرة من اللهو واللذات فهاموا ، ونفثت السياسة سمومها فى صدور العلماء وألهتهم بأمور ليست من الدين ولا هى من الدنيا فى شىء ، فاختلفوا وتنازعوا وتفرقوا ، واوغروا الصدور بما جعل بعضهم ينظر الى بعض نظر الكافر والمرتد ، وأخروا المسلمين قروناً عن السير نحو الهدف الاسمى ، والعدو يعد العدة ليستأثر ويبطش بهم ويهيمن على خزائن أرضهم وما ملكت أيديهم ويقبض على ناصية الملك بقوة الحديد والنار ، وهم يختصمون على الفتحة والكسرة ، والغاية والمغيا ، وتفضيل زيد على عمرو ، وينتظرون من أعماق الخفاء من يعيد لهم جلال المجد وعظمة التأريخ .

فتروا الهمم وشجعوا التعصب الأعمى ، وأيقظوا الفتن بين المسلمين ، وانعزلوا عن العالم واختاروا لأنفسهم الذلة والمسكنة واعتمدوا على الطوالع والاحلام .. حتى غلب على الظن ان موضوع الدين الاسلامى لا يتعدى الأوهام وذلك الجمود وتلكم النزعات ، والتبست الحقيقة واحتجبت الحكم بين الأغراض الفاسدة ، وابتعد الدين عن الأهداف السامية حتى كاد ينكرنا . ومنعا لتسرب الخطأ الى حقائق الدين يسد باب الاجتهاد ، وبهذه الحجة يوضع الحجر على العقول والألسنة وسائر الحريات مما له اتصال بحياة الأمة وسياسة المملكة ، وترسم الخطب على نسق واحد فى اللفظ والمعنى ويلزم بها الخطباء على المنابر فى جميع أنحاء المملكة الاسلامية سداً لباب النقد والتعريض ، وفي هذا الخفاء تبث الدعايات السامة باسم الاختلافات المذهبية ، وتدون المجلدات وتنشر فى الأوساط ، فينفرط عقد

الوحدة ويضعضع كيان الدولة وتنحل الإدارة ، ويختل نظام الحكم ، وتوسد الأمور الى غير أهلها ، وتنفق الأموال فى غير محلها ، وترتكب المعاصى وتوقف الحدود الشرعية ، وتمسخ الأخلاق ، وتتمرد الجيوش ، وينتقل العصيان من بلد الى بلد ويتناوب القتال على الحكم ذوو الأطماع ، وتقتسم الممالك والبلدان ، والعدو يجوس خلال الديار ، والخلاف يزداد نشاطا كلما انهد ركن من أركان الدولة ، حتى آل الأمر بالمسلمين الى الوضع الحاضر ، ولا يزالون مختلفين ابتغاء الاثرة والابهة الكاذبة .. ولا يقطع دابر الخلاف ما دام له رواج في الأقطار المتغلغلة فيها السياسة الأجنبية ، ولا يرجى للمسلمين انتعاش ما دامت هذه النزعات آخذة بخناقهم ، وما دامت تعبث بوحدتهم ، وتتخذ مستغلا لاعداء الدين .. وليس لهم أى عذر فيما فرطوا فى جنب سياستهم بعد أن مهد لهم الدين سبل الهداية ولم يترك أمراً من أمور الدنيا والآخرة الا بسط له شرعة ومنهاجاً .

الدين والنظم الاجتماعية :

فمن الناحية الاجتماعية وضع هذا الدين قواعد التضامن بين الأفراد والجماعات عن طريق المسؤولية المشتركة باعتبار الأمة الاسلامية كنفس واحدة ، وبهذا الاعتبار مهد أقوى ضمان لصلاح المجموع وسلامته ، وشد أزر هذا التضامن بالتآخى بين المؤمنين على اختلاف العناصر وبعث منه وحدة متماسكة جاءت بتلك القوة الجبارة التى بسطت سيادتها على ممالك وأقاليم لا تقل مساحتها عن ثلثى الربع المسكون ، وعزز أواصر الاخاء بتنمية روح التآزر والتعاون على المصلحة العامة ، والاعتماد على النفس والاستقلال بالذات بمواصلة السعى ومراعاة التوازن بين الأغنياء والفقراء منعا للخروج على النظام بدافع الضرورة ، والتبعة فى ذلك تقع على المجتمع من ناحية

التضامن والمسؤولية المشتركة ، والعطف على اليتيم باعتباره عضواً من جسم المجتمع والمجتمع مسؤول عنه حتى يبلغ أشده ، ورعاية أهل الكتاب على قاعدة المساواة في الحقوق وذلك منتهى مقاييس العدالة .

ولما كان نظام الاسرة مدار انتظام الهيئة الاجتماعية بنى أحكام الاقتران على اسس تضمن لها اكمل شروط الحياة من وجود التحليل والتحريم ، وحيثية التناسل ، والكفاءة المطلوبة لنجابة الاعقاب وسير المعاشرة ، والموازنة بين حقوق الزوجية في الحل والعقد ، والعناية بالمرأة من تعليم وتربية ترفع مكانتها الاجتماعية ، وتمكنها من مشاطرة الرجل صلاح البيئة ، كما بنى احكام الميراث على علل واسباب نسبية تتجلى فيها العدالة والحكمة .

الدين والتعاليم التهذيبية :

ومن تعليمه الهذيبية الحث على السير في انحاء العالم والتنقيب عن التاريخ القديم والاقتباس مما تدرجت اليه العقول .. والتفكير في خلق السموات والارض تشجيعاً على ممارسة العلوم والفنون لاكتشاف اسرار الكون والتوصل منها الى معرفة الخالق ، وتحقيقاً لهذه الغاية فرض العلم على كل مسلم ومسلمة ، ورفع درجة العلماء وجعلهم ورثة الانبياء .

وقوم عناصر الاخلاق بالصدق والامانة وقول الحق والوفاء بالعهد واصلاح ذات البين وبذل الصدقات ، والحلم ، والرأفة ، والتواضع ، والاعتدال في الاقتصاد ، وعزة النفس ، والعفو عند المقدرة ، وترك المرء مالا يعنيه ، وان لا يحدث بكل ما سمع ، وان لا يقول مالا يفعل لئلا تزول الثقة بين الافراد والجماعات ، وان لا يتعرض لامور لا علم له بها ، وليست من اختصاصه ، وجعل حب الوطن جزء من الايمان ، واعتبر المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، ونزه النفس من المساوىء والمنكرات ، ومنها التجسس ، والخيانة ، والغش ، والوشاية ، وشهادة الزور ، والتهتك

والنفاق ، والحقد ، والانتقام ، والكبر ، والغضب ، واللمز ، والحسد ، والاثرة ، والكفران ، والبطر ، والسخرية ، والخبث ، وسوء الظن ، والحنث فى اليمين ، وايثار النفع الخاص على النفع العام .

الدين والسياسة :

ومن الناحية السياسية اوجب اطاعة اولى الامر ، على أن تكون مقيدة باطاعتهم لله ورسوله ، كما قيد ادارة الملك بسياسة العدل . لان العدل قوام الدين ، وحيثما يكون العدل فهناك شرع الله ودينه .. وامر باعداد العدة لارهاب العدو ، وسد الثغور ، وسلامة الدولة .. واشترط ان يكون نظام الحكم شورى بين الناس ، لئلا يعبث بمقدرات الملايين من النفوس شخص او بضعة اشخاص ، وهو اول نظام عرفه البشر ، ولم تتحقق الشورى على الوجه المشروع حتى الان فى معظم الاقاليم ، لان غريزة الاستبداد اذا لم تهذبها الثقافة الدينية تغلبت على الحق بالقوة القاهرة .. وشرع القصاص على ان تدرأ الحدود بالشبهات لئلا ينحرف الحكم عن مجرى العدالة ، ويبتر من جسم المجتمع عضو سالم لا يعوض ، والملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم .

ومنها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفى ذلك دلالة صريحة على منح الحرية التامة فى القول والنشر حول الصالح العام والقيام بهذا الواجب يضمن بلا ريب سلامة المجتمع من تسرب السوء الى مناحى الحياة .. وتوسيد الامور الى اهلها ، وهذا هو الاساس القويم الذى يقوم عليه نظام الحكم ، وبخلافه يختل النظام وتسود الفوضى المؤدية الى الدهور والانقراض ، والامثلة على ذلك ملأت بطون التأريخ .. ومن العقوبات الزجرية حد الشرب والبغاء عن طريق الجلد ، وهو امنع زاجر لتحديد الموبقات وصيانة الاخلاق .. (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

ويسعون فى الارض فساداً ان يقتوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض)[٣] .

فالدين الاسلامى بالنظر الى ما تقدم هو دين العدل والحكمة والرأفة والاجتماع ، ودين الحضارة والسياسة والعلم والفن والتفكير ، ودين القوة والحزم والحرية والمساواة والتعاون والتضامن والسعى والعمل والتقدم والارتقاء ، ودين الانسانية المتكاملة فى مكارم الاخلاق ، ودين الفطرة ، وهو الدين الخالد على وجه الارض مادام فى دهماء الناس ذو عقل سليم .

الدين والقوانين الموضوعة :

وقد مرت القرون ، وتعاقبت الاجيال ، وانجبت البشرية من اعاظم المفكرين رجالا خبروا الحياة وآلامها ، والمجتمعات وامراضها ، وانظمة الحكم واساليبها ، وانقسموا الى مذاهب واحزاب سالت على جوانبها الدماء ، وهلك فى سبيلها من هلك من ملوك وقياصرة ، حتى انتهوا الى النزعات الاخيرة كالنازية والفاشستية والاشتراكية والشيوعية والديمقراطية ، وتلونت الاعلام والقمصان ، لكل نزعة علم ودستور ولون ورمز ويوم تقام فيه الاعياد باسم العدالة والحرية والمساواة .. فكانت العاقبة ان دولة تفترس دولة ، وامة تمحو امة ، والشقى ذلك الشقى ، والبؤساء اولئك البؤساء ، والانسانية المخدوعة لا تزال تنوء بأعباء السياسة وشرورها .

لان تلك المذاهب والدساتير من وضع البشر ، والبشر مقصور نظره على الزمان ، والمكان والمطامع ، والأنانية، وتعاليم الدين الاسلامى وحى من الله جاءت بحسب الفطرة التى فطر الناس عليها ، والتطور اللازم لها فى سابق علمه الازلى ليحيوا حياة آمنة مطمئنة كأسرة واحدة الى امد غير محدود اينما كانوا وحيثما حلوا . ويكفى دليلا على ذلك حياة اليهود فى بلاد المسلمين ، وما يتمتعون به من حرية كاملة ونعيم دائم وقرار مكين، وحياتهم فى بلاد الغرب والسياسة التى حرمت عليهم تنفس الهواء وسد الرمق ،

---

(٣) المائدة : ٣٣

وحياة العرب في ديارهم ، وما تستبيحه السلطات الاجنبية من الفجائع بأسم الانسانية والديمقراطية ، والاضطرابات العالمية المنبعثة من بين التنافس السياسي الذي جعل البشر صاخبا في جميع انحاء الدنيا يلمس مخرجا روحانيا يقيه شر الفتن وسفك الدماء .

الصخب العام والانقلاب المنتظر :

وعسى ان يكون الوقت قد حان لان يلتمسوا ذلك المخرج الامين في تعاليم الدين الاسلامي بعد ان باء بالفشل جميع الانظمة والقوانين، وعلماء الغرب مارسوا هذه التعاليم في جامعات قرطبة والقاهرة وبغداد ، ونقلوا معظمها الى لغاتهم ودونوا فيها الموسوعات والمجلدات ، ودرسوها في جامعاتهم ، وقد نشر حديثا كتاب لمستشرق شهير بعنوان (محمد والاسلام) جاء فيه :

(محمد هو النبي الوحيد الذي وصلت الينا اخباره سالمة من كل شائبة ، وهو النبي الوحيد الذي يمكننا من وجهة تاريخية ان نجزم بوجوده وهو الذي استطاع ان يحدث هذا الانقلاب العظيم في الدين والاخلاق والمعاملات في مدة لا تتجاوز عشرات السنين .. انزل الله عليه القرآن كتابا عربيا بزّ في الفصاحة والبلاغة كل كتاب في العالم ولا يجوز مقارنته بكتاب آخر لانه الوحيد من نوعه .. القرآن مدن امة ثم مدن العالم ، مدن الامة العربية التي بنت المدنية الاسلامية الفخمة الخالدة ، ثم اخذت عنها اوربا مدنيتها التي تفاخر بها ولم تحصل اوربا على مدنيتها هذه الا بعد ان اضاء نور الاسلام وانتشرت تعاليمه فعمت الشرق والغرب .. الخ) .

وللمستشرقين من التفاصيل حول هذه الحقيقة مالا يسع المقام ذكرها.

غير ان الداء الدفين الذي لا دواء له ان يندس بين المسلمين نفر ممن استهوتهم الثقافة التبشيرية ، واصطنعتهم السياسة ولوحت لهم بشيء من حطام الدنيا ، فحرصوا عليه حرص الجبان على حياته ، وراحوا يبثون الدعاية ضد المبادىء الاسلامية وينعتونها بالفكرة الرجعية والعقلية البالية ، ويستحوذون على العقول القاصرة في المجتمعات المغلوبة على امرها .

في كل بلد يتخلله النفوذ الاجنبي دعاة من هذا النوع يدينون بالدرهم والدينار ، حتى اذا صفرت ايديهم صمتوا صمت اهل القبور و (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا)[٤] .

وفي هذه الساعة الرهيبة من هذا اليوم العظيم الذى ترفرف في سمائه روحانية رسول الله مرفوعة على اجنحة الملائكة المقربين تحف بها التجليات الالهية ، ارفع اطيب التحيات الى ارواح الشهداء الطيبين الطاهرين الذين آثروا الموت على حياة الذل والهوان .

اللهم انت اعلم بهم ، انهم جاهدوا في سبيل دينك ، وبيتك المقدس، وقبلتك ، ومعراج نبيك ، فاسبغ عليهم شآبيب رحمتك ورضوانك ، وثبت اقدام المجاهدين تحت لوائك ولا تجعل عاقبة امرنا خسرا .

فهمي المدرس*

---

(٤) الطلاق : ١

* مجلة « الذكرى المحمدية » الذكرى التاسعة ١٣٥٨ هـ ص ٥ مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد

الاسلام ومدارك البشر (*)
ورأي الأجانب فيه

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا »(١) .

مئات الملايين من المسلمين فى مثل هذا الشهر من كل عام تتجه قلوبهم نحو بطحاء مكة ، مستغرقين فى عظمة ذلك النور الذى شع فى سمائها فاضاء العالم شرقا وغربا ولا يزال يتلألأ فى هذا الفضاء حاملا الى عالم الملكوت اربعة عشر قرنا تحف بها الهداية الربانية ولولا الحكمة الازلية لما تركت على وجه البسيطة من لا يولى وجهه شطر المسجد الحرام . ولكن القوانين الالهية قضت بالتدرج الطبيعى حتى يبلغ العقل من التكامل ما يجعله كفوا للاحاطة بحقايق الدين الاسلامى وما انطوت عليه من حكم وأسرار ولا يحيط العقل بتلكم الحقايق مالم ينته العلم من تحليل اسرار الطبيعة وماوراء الطبيعة وذلك اقوى دليل على ان الدين الاسلامى لم يقم ولا يقوم بحد السيف بل بقناعة الضمير ، والا فليس على الله بعزيز ان يودع فى الامة الاسلامية من القوة ما تسخر به البشر على الاطلاق فترغمه على اعتناق الدين بالجبر والاكراه . ولو كان كذلك لما استقام له امر وقد اجتمعت عليه المعاول الهدامة فى الداخل والخارج من جميع الجهات .

وان الدين الاسلامى لم يكن دينا اخرويا فقط ، وانما هو دين علم وسياسة وحكمة فقد نبه الى حقايق علمية وفلسفية لم ينتبه اليها العلم الا بعد اثنى عشر قرنا من نزول القرآن . والعلم فى الشرق حالت دونه عوامل اخرته سبعة قرون ، وفى الغرب لم ينصرف العلم الى الناحية الدينية . والدين الاسلامى لم يكن خاصا بزمان او مكان او امة او قوم ليتناوله المعتنقون من

---

(١) الكهف : ١٠٩

(*) القيت فى احتفال جمعية الهداية الاسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف فى حديقة المعرض (مساء الخميس ١٧ ربيع الاول ١٣٥٩).

الافواه وفى مدة وجيزة ، وانما هو دين عام للبشر كافة تسير احكامه وتعاليمه مع الاحتياجات البشرية سيرا متواصلا على ممر القرون حتى يبلغ الغاية القصوى ويدرك الانسان معنى قوله (اليوم اكملت لكم دينكم)[٢] .

والكمال فى الدين هو الذى يبعث من البشرية ذلك الانسان الكامل الواقف على اسرار الكون وطبيعة الاشياء وحكمة الفرائض والتكاليف الشرعية ، والسياسة التى بنى عليها ، مجردا من الشوائب النفسانية كالحقد والحسد والغيظ والغضب والطمع والتشاحن على الحطام الفانى والجاه الزائل ، بعيدا عن الكذب والغيبة والنميمة والتجسس والخيانة والافك والبهتان وشهادة الزور الا وشهادة الزور ، ويجعله يقول الحق ولو على على نفسه ويتخلق بأخلاق الله .

جاء صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) ليجرد الناس من الطبايع البهيمية ويهذب الانسان حتى يعلم انه لا يمتاز عن الحيوان بمجرد النطق بل بصفات تلهمه الغاية من ايجاد الخلق وهى التوصل الى معرفة الخالق ، وان معرفة الخالق تتوقف على معرفة النفس ومعرفة النفس لا تتأتى الا باتقان العلوم والفنون ماضيها وحاضرها ومستقبلها حتى يصل الى الكمال الذى يستهدفه الدين الاسلامى ولذلك امرنا بطلب العلم من المهد الى اللحد ولو كان فى الصين .

وفى الزمن الاخير اخذ فلاسفة الغرب ونخبة من العلماء المستشرقين المختصين بتاريخ الاديان وفلسفة التاريخ يهتمون بالدين الاسلامى اهتماما زائدا ومن جملتهم «ويليام» الامريكى الذى اهتدى الى الدين الاسلامى بعد تدقيقات استمرت ثلاثين عاما ، فقد نشر جوابا عن سؤال موجه الى علماء المسلمين حول الحكمة فى كون دين الاسلام ناسخا غير منسوخ ، والسبب الذى جعل نبيه خاتم الانبياء ، فأوجزناه وطوينا معظمه لضيق المقال قال فى الجواب : ـ

---

(٢) المائدة : ٣

ان الدين لا يكون دينا حقا ما لم يكن ملائما لمستوى البشر فى حينه وضامنا ما يفتقر اليه فى أمر معاشه ومعاده وطريق المعاشرة بين الافراد والجماعات ، ورفع الخلاف المنبعث عادة من طبيعة الانسان ونفسية المجتمع. ولما كان التطور فى الحياة امرا طبيعيا ، واتساع المدارك مما يقتضيه قانون النشوء والارتقاء كان ضروريا ان تتطور الشرائع مابين ناسخ ومنسوخ . وهكذا كانت الحالة قبل ظهور الاسلام ، اذ كان البشر يتطلع الى دين يتناسب مع مداركه وضروراته فى الحياة التى اختلفت عن ذى قبل وضاق بها نطاق الشرائع فى ذلك الحين . واخذ كل يتجه الى جهة فى العقيدة والقضاء والحق فى ذلك للصارم والصمصام . فكان لزاما ان يظهر دين يمتزج بالحالة والزمان والمكان. فجاء الدين الاسلامى فى الوقت الذى اقتضته الحكمة الازلية كما كان يتطلبه وضع البشر فى الحال والاستقبال فاعتنقه الحاضر والبادى كمن وجد ضالته المنشودة ، فاحتضنها وحرص عليها ، وجاهدوا فى سبيله جهادا لم يبق شكا فى انهم كانوا يعتقدون بان مرتبة الشهادة ارفع مرتبة ينالها الانسان فى الدنيا والاخرة ، وصاروا يتسابقون الى ساحة القتال لنيل السعادة الابدية والمفخرة الخالدة ، وهذا منتهى القوة فى العقيدة والايمان .

ثم اخذ يدربهم ويتدرج بهم كلما اتسعت المدارك حتى تجلت عظمته التى ملأت الكون هيبة وجلالا . والمعجزة التى لاريب فيها هى أن الله بعث فيهم من الاميين رسولا يطهرهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وفى زمن قصير ملأوا الدنيا بعلومهم وآدابهم وفلسفتهم حتى تفجرت ينابيع الحكمة الاسلامية فى انحاء العالمين الشرقى والغربى . أما فى الغرب فان الاوربيين ادخلوا العلوم الاسلامية فى مدارسهم واخذوا يرسلون البعوث الى جامعة (اشبيلية) ، على ان يدرسوا فيها ثلاث سنوات وفى ضمن الذين درسوا البابا «فرانسواسه لوستر» الذى قطع المناصب الروحانية درجة درجة حتى احرز منصب البابوية بفضل العلوم الاسلامية .

وفيما بيّناه كفاية للقناعة بان الدين الاسلامى نسخ الشرائع بطبيعة الحال • اما كونه لا ينسخ فلأن اهم الاسباب التى تدعو الى تغيير الشرائع هو عدم الملايمة للوضع الحاضر ، ومستوى المجتمع بحيث يتساوى وجودها وعدم وجودها ، وقد مضى على الدين الاسلامى اربعة عشر قرنا ولم تمس الحاجة الى تغيير حكم من أحكامه أو اضافة حكم اليها ، بل الأمر بعكس ذلك فان سعادة البشر منوطة بتطبيق أحكامه المهملة من قبل المسلمين أنفسهم ، وفى خلال هذه المدة حدثت فى عالم الغرب انقلابات سياسية واجتماعية خطيرة أريقت فيها دماء الملايين من البشر ولم يتوصلوا الى اسس وقواعد كالاسس والقواعد التى بشر بها الدين الاسلامى ، والنظم والدساتير التى وضعوها لم يستقم أمرها الا بالقوة وبحد السيف ، ومتى ما ضعفت القوة اختلت وتلاشت ، وقواعد الدين الاسلامى تمتزج بالروح والجسد وقد جاءت على أن تكون خالدة ما دام على وجه البسيطة أثر من الحياة •

والانقلابات العالمية لا تخلو ، اما انها تنبعث من ضيق العيش ، أو من خنق الحرية ، أو من عدم التساوى فى الحقوق أو من توسيد الامور الى غير أهلها ، والشريعة الاسلامية سدت هذا الباب ، لانها بنيت على قواعد العدل والحرية والمساواة بوحى من الله لا بوضع من البشر ، وقد ساوت بالفعل بين الغنى والفقير ، وبين الملك والصعلوك ، وحادثة جبلة ابن الأيهم أحد ملوك العرب ، وواقعة عمرو بن العاص والي مصر ، وتنفيذ عمر بن الخطاب حد الجلد على ولده حتى مات ، وشخوص الامام علي رضي الله عنه أمام القضاء من الادلة على ذلك ، وهذا منتهى العدل والحرية والمساواة • وتأييدا لهذه السياسة آخى الدين الاسلامى بين المسلمين منعا للتمايز المؤدى الى اثارة الحسد والانفعالات النفسانية ، ولتكوين وحدة متراصة تجعل الامة الاسلامية برمتها كنفس واحدة لا فضل لزيد على عمرو الا بالتقوى •

وكانت لهم في رسول الله أسوة حسنة ، فقد كان صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يطوى يوما ويشبع يوما ، والخلفاء الراشدون ساروا على سيرته ، فلما أرسل عظيم مصر كتابا الى عمر بن الخطاب مع رسوله ، جيء بالرسول الى المسجد واذا برجل في ثوب خلق ، نائم على حصير تحت رأسه حجر ، ذلك أمير المؤمنين ، يعس بالمدنية ليلا يحرس الناس ويكشف أهل الريبة ، حتى اذا صلى بالمسلمين صلاة الصبح نام قليلا ، فدهش رسول المقوقس ووقف عند رأسه وقال « عدلت ، فأمنت ، فنمت » وعمر ابن الخطاب هو ذلك الرجل الخطير الذى هز العالم هزاً .. وبهذه السير فتحوا البلاد ودوخوا العباد ، ودكوا الجبال ، وجابوا الفيافى والبحار ، وحطموا العروش والتيجان ، ورفعوا راية الاسلام على مشارق الارض ومغاربها ، لا قول الا ما قالوا ، ولا غاية الا ما أرادوا .

فاذا كانت تلك مبادىء الدين الاسلامى ، وهذه مناقب عظمائه القائمين بأمره أفلا يكون ناسخا غير منسوخ ؟ وحامل رسالته خاتم الانبياء ؟

ومن الناحية العلمية فان معظم الحقايق التى حملها القرآن لا تزال فى طي الخفاء ولم ينتبه العلم الا الى قليل منها وذلك منذ عهد قريب ، مما يشعر بان مدارك البشر أخذت تقرب الى الحقايق التى أشار اليها القرآن قبل أربعة عشر قرنا .

فان حركة الارض ، وكون الارض فى شكل قطع ناقص ، ووجود المخلوقات فى الاجرام السماوية ، وان لكل من الاجرام السماوية محركا خاصة به ، وان الحياة لم تأت من كرة أخرى بل ظهرت من هذه الارض نفسها وسلسلة خلقة الانسان ، وانه مرت عليه قرون وهو فى عالم الخفاء تناولها القرآن فى الآيات الآية على وجه الترتيب :

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب)[٣] .

(أو لم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها)[٤] .

---

(٣) النحل : ٨٨

(٤) الرعد : ٤١

(ومن آياته خلق السماوات والارض وما بث فيهما من دابة)[٥] .
أى فى السماوات الارض .

(لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)[٦] .

(والله أنبتكم من الارض نباتا)[٧] .

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)[٨] .

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)[٩] .

ومن خوارق القرآن أنه نبه حتى الى هندسة البلاد فى قوله (والله جعل لكم الارض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا[١٠] أى واسعة .

ولولا ضيق المقام لأتينا بجميع ما ورد فى الذكر الحكيم من الحقايق ومن مكتشفات الفن الحديث .

ودين هذه معجزاته حرى بأن يكون ديناً عاما ، وديناً خالدا ما كرّ الجديدان ، وما تعاقب الملوان ، لانه جمع بين الدنيا والآخرة ، جمع بين الديانة والسياسة والادارة والاقتصاد والاخلاق والعدل والعلم والحكمة ، وقد نص القرآن على كل من هذه العناصر الحيوية بصراحة ووضوح تام.

ولابد من يوم تتكامل فيه البشرية من حيث الادراك وتجتمع على اختلاف العناصر والاقوام تحت راية التوحيد ويسود الاخاء فلا نزاع ولا خصام ولا قتال .

وبهذه المناسبة ننتهز الفرصة للاشارة الى بعض الاخطاء التى أخذت تجرى على الألسنة والاقلام فى مجتمعنا وفى عالم الصحافة مما يجعل البعض منا أجانب عن دينهم كقولهم (الزعيم محمد) و (محمد سيد

---

(٥) الشورى : ٢٩
(٦) يس : ٤٠
(٧) نوح : ١٧
(٨) المؤمنون : ١٢
(٩) الدهر : ١ (١٠) نوح : ١٩ـ٢٠

قريش) أو (سيد العرب) و (يوم محمد) ، وأمثال ذلك مما ينم عن روح أجنبي • وللشريعة آداب وتقاليد أجمع عليها علماء الدين ، والانحراف عنها مخالفة للاجماع ، والقب صاحب الرسالة مما قام عليها الاجماع ونص عليها الكتاب ، وأيدها الكتاب ، وأيدها الواقع وهى : (محمد رسول الله) و (محمد سيد البشر) و (سيد الانبياء والمرسلين) و (سيد الاولين والآخرين) و (خاتم النبيين) •

أما الزعيم فهو يطلق على سيد قوم أو رئيس حزب من الاحزاب وليس فى الدنيا زعيم تتناول زعامته العالم بأسره ، والزعامة ليست بوحى من الله ، وليست بخالدة الى يوم القيامة فلا ينطبق هذا اللقب على صاحب المقام المحمود ، المبعوث رحمة للعالمين ، فضلا عن أنه يحط من كرامة النبوة والرسالة • وأما قولهم (سيد قريش ، أو سيد العرب) فان الرسول صلى الله عليه وسلم هو سيدهما بلا شك ، ولكن سيادته ليست مقصورة على قريش أو العرب أو بني هاشم ، فذلك مما يلبّس حقيقة الرسالة العامة على الناشئة ، كما لو قيل عن احد وزراء العراق انه وزير بغداد وهو صحيح ، ولكن فيه لبسا وحطا من كرامة المقام • وقولهم (يوم محمد) غير صحيح ، لان هذا اليوم هو يوم المسلمين وعيدهم الاكبر ، بل وعيد البشر على الاطلاق ، وهذا التعبير مقتبس من الاجانب اذ انهم يعبرون عن يوم الولادة لأى كان منهم بيوم فلان ويحتفلون به •

واذا كان الغرض من ذلك هو الظهور بمظهر التجدد فان دين الاسلام جديد على ممر الدهور والاعصار ليس فيه مايرث ويبلى • والقرون الاربعة عشر اصدق شاهد على ما نقول • وحذرا من التوسع والتمادى ألمعنا الى هذا الشذوذ لئلا يعلق بالاذهان (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)[11] •

فهمي المدرس *

---

(١١) الذاريات : ٥٥

* مجلة « الذكرى المحمدية » الذكرى العاشرة (١٣٥٩ هـ) صفحة ٦ ط٢ مطبعة الجزيرة ـ بغداد

الاسلام بين الشرق والغرب

ورأي الأجانب فيه

اقتضت حكمة الخالق أن يمتاز الشرق عن الغرب بكونه مهبط الوحي والرسالة ، ومهد الانبياء والرسل . ومشرق الانوار المحمدية ، فكان لزاما أن يسبق الشرق الغرب فى مدنيته وثقافته وآدابه وعلومه وصنايعه الدقيقة ، ونظمه الاجتماعية ، وسياسته العادلة ، وجميع المزايا التى تبعث من الانسان عضواً نفعا للبشرية أينما حل .

وحقيق أن يختال الشرق فخراً بهذه الميزة الدالة على مواهب وقابليات اختص بها .

وقد اقتبس الغرب من المدنية الشرقية والشريعة الاسلامية ما استطاع ان يكون به مدنية واسعة النطاق لولاالغريزة لكان لها فضل كبير فى تكوين الوحدة الانسانية ولكن السجايا الفطرية قلبت تلك المدنية الى صورة جميلة ساحرة مجردة من الشعور والعاطفة والاحساس ، تقيم الافراح والاعياد لهلاك الملايين من الابرياء ، وأنين الملايين من الارامل والايتام .

واذا ما رجعنا الى التاريخ القديم فانا نجد الانسان الاول الموصوف بالوحشية والهمجية أهون شرا من انسان القرن العشرين المعجب بحضارته، لان الانسان الاول لم يكن لديه من وسائط الافتراس سوى أدوات بسيطة ، وهذا الانسان لا ينجو البشر من شرور مدنيته حيثما ولى وجهه ، فى الصحارى النائية ، أو بين الصخور ، أو على قمم الجبال ، أو فى قعر البحار ، او فى أعماق الخنادق ، او فى الكهوف والزويا المنعزلة ، أو فى كبد السماء ، او فى البروج المشيدة .

ولا تزال الأنانية المنبعثة من حب التوسع والاستيلاء بجشع لا مزيد عليه وبأسماء مختلفة تغرى المتفننين بايجاد وسائل أشد بطشا بالبشرية الآمنة المطمئنة خلافا لاحكام الانجيل والتعاليم المسيحية وشعائر الانسانية.

واذا كان ذلك دأبهم فيما بينهم وهم من عرق واحد ، واخوان فى الدين ، فماذا ينتظر من سياستهم نحو الشرق وعالم لاسلام ، وليست بينهما أية جامعة ؟!

أما المدنية الاسلامية فانها قائمة على سياسة الرأفة والرحمة والحق، والعدل ، والتعاون ، والعفو عند المقدرة ، واصلاح ذات البينوحب الخير، والعمل على اسعاد البشر واتصافه لوجه الله والانسانية ، لا خوفا ولا طمعا ، وبغير تمييز أو تفريق بين العناصر والاديان كما يشهد بذلك تاريخ الفتح الاسلامي .

ولو لم تنصرف المدنية الغربية الى سياسة التوسع والاستيلاء ، ولو لم تقتصر جهودها على أعداد العدة لتحقيق تلك الغاية التى تستر خلفها الانانية لكان لها متسع من الوقت لان تصغي الى أصوات علمائها المستشرقين المنقبين عن حقايق الدين الاسلامى ، ومن جملتهم (جون ويليام دريبر) الانكليزى الاصل والامريكى الموطن ، المختص بتاريخ الاديان وفلسفة التأريخ .

فقد ألف هذا المستشرق كتابا تحت عنوان (تاريخ تكامل العقل الاوربي) أتم مقدمته فى مجلدين على غرار « مقدمة ابن خلدون » والقسم الاعظم من المجلد الثانى ينحصر فى الدين الاسلامى .

اشتهرت هذه المقدمة بين علماء الفلسفة والتاريخ وحلت محل التجلة والاعجاب ، عرف هذا المؤلف باصالة الرأى وبعد النظر وسعة الاطلاع والتزام جانب الحياد فى محاكماته المستندة الى تدقيقات عميقة وتحليل فلسفى . فبسط حقايق الدين الاسلامى عن يقين وفند التهم الموجهة اليه بادلة عقلية لا تقبل الرد والاعتراض .

حكم العقل والمنطق فى وجهتي السلب والايجاب ، بحث عن ظهور هذا الدين وانتشاره ، والتربة التى انبثق منها نوره الساطع ، والانقلاب

الذى أحدثه فى ساحة التهذيب والمدنية ، وفى ضمير الانسانية والسعادة الأبدية وقال :

ان صاحب الرسالة هذب ضمير الانسان بوحي الهي ، ثم حلل حياة الرسول عليه الصلاة والسلام منذ طفولته الى ان بعث رحمة للعالمين وصرح بانه لم ينشأ نشأة اعتيادية ، بل كانت جميع مظاهره وصفحات حياته تشعر بفطرة خارقة للعادة ، اذ لم يبدر منه عادة ما يبدر من الاطفال، وذلك مما يدل على انه كان مؤدبا بأدب فطرى ، يحمل من الذكاء ما جعله ميالا للتفكير فى أمور خطيرة ، تجلت فيه من الخصائل ما يجعل الانسان يعتقد بان سيكون له شأن عظيم فى العالم ، كان حليما رؤوفا رحيما ملازما للحياء والعفاف والصدق والامانة فلقب بـ (محمد الامين) وهو طفل صغير.

يدلى المستشرق المشار اليه الحقائق لا كناقل أو كراد بل كمحقق قانع بما يقول ، شأن الفيلسوف الذى ينزل الى أعماق القضايا الفلسفية ويستخرج منها حقيقة ملموسة ، كما يدل عليه أسلوب بيانه وبلاغة تعبيره المشبعة من روح الاكبار والشعور بالعظمة . وقال :

ان صاحب الرسالة أجهد ذهنه وضميره أربعين عاما ، حتى صدع بالامر الالهى (اقرأ باسم ربك)[1] وهو فى حالة وجد واستغراق ولا يقرأ السواد ، فرسالته حقيقة ناصعة ، امر بان يدعو الانسانية الى الصراط المستقيم ، فهب من مقامه آمنا مطمئناً ليس له مال ولا قوة يعتمد عليها سوى الايمان ، وقام بالدعوة ذلك اليتيم وحيداً تحيط به الاعداء من كل جانب حتى أهل بيته وذوو قرباه . وفى آن واحد قلب الافكار والمعتقدات ، وغير نظام المعيشة والآداب ، وجدد القوانين الاجتماعية ، ومنها نظام العائلة ، وحقوق الزوجة والاولاد والنكح الشرعى ، والعفاف ، وقانون المواريث ، ودساتير الاخلاق وسياسة المملكة ، وطور الحياة ، واذا به ينتقل من بداوة بسيطة الى أرقى ما تصل اليه جهود البشر ، أسس مدنية

(١) العلق : ١

بحسب ذوقه السليم ، اقتبس الغرب منها الشيء الكثير ، ومما يجدر بالذكر ان الغرب لم يكن يعرف الطهارة والنظافة لولا اقتباسه من المدنية الاسلامية القميص والحمام . أنقذ البشر من عبادة الأوثان والنجوم والشمس والقمر والحيوان والحجر والنار ، ولقنه ايمانا قويا ودينا صحيحا تحت راية (لا اله الا الله) . فتح أمام العرب المفطورين على ذكاء خارق وقابليات اختصوا بها ميدانا واسعا للعمل والتجوال ، وفي بضع سنين فتحوا الاقاليم وقوضوا أعظم الامبراطوريات حتى بلغوا « بواتيه » في أوسط فرنسا ، وأزاحوا جميع العقبات التي اعتورت سبيل الفتح وأصبحوا على رأس الفاتحين ، ولم تتكلل تلك الفتوح بالنصر الا بقوة الايمان والاعتقاد الراسخ ، ومعجزة الوحي والرسالة ، والا فما هي القوة التي حملت سكان البادية الى القصور الشاهقة ، وتحطيم العروش والتيجان ؟! فلا ريب في أن محمد بن عبدالله نبيّ بحق .

وبعد تفصيلات مسهبة اخذ هذا الفيلسوف يدافع عن الدين الاسلامي ازاء المغرضين القائلين بان الدين الاسلامي قام بحد السيف ، ومما جاء في أدلة الدفاع : ان السيف قد يحول دون الجهر بالاعتقاد والتبشير به ، وليس في وسعه ان يكره الناس على اعتناق دين فوجئوا به وهو على النقيض من دين آبائهم الاولين ، والدين الاسلامي تؤيده المحاكمات العقلية والادلة المنطقية ولذلك انتشر بتلك السرعة الى انحاء العالم شرقا وغربا ولولا الأمر الواقع لما استوعبته الاذهان ، والادعاء بانه قام بالقوة افتراء على التأريخ ، فان عشرات الالوف من مختلف العناصر والاديان كانوا يهرعون الى اعتناق الدين الاسلامي ليفاخروا بجهادهم مع الفاتحين الابطال في ظل راية التوحيد ، ولو كان السيف متحكما في الرقاب لما بقي في البلاد المفتوحة من لا يؤمن بالله ، ولما انتقل الايمان الى الاصلاب والاجيال قرنا بعد قرن . على أن اولاد غير المسلمات اللائي تزوجن من الفاتحين تبعوا آباءهم في الدين لدى بلوغهم سن الرشد .

ان الدين الاسلامى قام بقناعة الضمير لابقوة السيف تلك حقيقة تاريخية لاشك فيها ، وان السياسة التى تمنح حرية الاديان وتحرسها بعين لا تنام ، وتساوى فى الحقوق بين المسلمين وغير المسلمين ، وتلتزم الرفق فى مجادلة اهل الكتاب وتقيد الدعوة الى سبيل الهداية بالحكمة والموعظة الحسنة وتندد بالغلظة والفظاظة لا تجنح الى طريقة الاغراء والاكراه بقوة السيف ، والبينه قائمة على صحة هذا الدين .

وفى معرض الدفاع عن الاسلام والمسلمين فند بوثائق تاريخية اتهام العرب باحراق مكتبة الاسكندرية المراد منه اسناد الوحشية والهمجية ، طويناه لضيق المقام كما طوينا آراء بقية المستشرقين فى الموضوع .

والغرض من ايراد هذه الآراء هو الاشارة الى الاهتمام الزائد بالتنقيب عن حقايق الدين الاسلامى منذ اواسط القرن التاسع عشر الدال على اليقظة والانتباه وذلك من الامور التى تهمنا نحن معاشر المسلمين اذ كلما تقدم العلم مرحلة ازدادت حقايق القرآن وضوحا ، كما يهمنا مواظبة الاذاعة من بلاد الغرب على ترتيل القرآن وصلاة العيدين ، والأذان المحمدى ، ومنقبة الولادة النبوية ، والمحاضرات البليغة حول الشعائر الاسلامية وانشاء المساجد ومهما تكن الغاية المتوخاة من وراء ذلك فانها معجزة من معجزات محمد بن عبدالله فى القرن العشرين . ولعل ذلك هو المراد من طلوع الشمس من المغرب الوارد ذكره بين علائم الساعة .

على انا من المعتقدين بان الدين الاسلامى هو الذى يوحد بين عناصر البشرية عاجلا أو آجلا ولا محل للتردد والاستغراب فان الدين عند الله الاسلام .

واذا ما أصاب المسلمين وهن فى سياستهم فذلك شأن كل أمة تناولت سيادتها امبراطورية مترامية الاطراف والدولة الاسلامية وان وهنت سياستها لا تزال حاكمة من الناحية الدينية وكم من أمة خارت عزائمها وانهارت دعائم عزها وسلطانها وأصبحت أثرا بعد عين فاستمدت من

ماضيها القوة والعزيمة وشادت على الانقاض مجداً أعاد سيرتها الاولى .

والشرق اليوم غير الشرق بالامس والغرب أخذ يأكل بعضه بعضا والصراع بين الحرية والاستعمار لابد وان ينتهي بتحرير الرقاب واعلاء شأن الاسلام ، والمسلمون حزب الله (فان حزب الله هم الغالبون)[٢] .

غير ان الواجب علينا ـ ونحن فى موقف الاحتفاء بهذا اليوم العظيم ـ أن نحاسب أنفسنا على أعمالنا لئلا نحمل كل ما حل بنا من سوء على الطالع والاقدار لـ (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[٣] .

وان من أهم الاسباب التى أدت الى الوضع الحاضر فى بعض بلاد المسلمين فساد الاخلاق والتهاون فى الشعائر الدينية وأهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكلما تقرب الشرق من الغرب ، وكثر الاحتكاك ابتعد المسلمون عن مبادئهم وعنعناتهم وتقاليدهم التى كانت مثار الحسد والغبطة فى بلاد الغرب ، اذ الشرقيون يحملون الى أوطانهم أخس المظاهر وأسوأها بدلا من ان ينقلوا اليها ما ينفع الناس من علوم وفنون وصنايع ظنا منهم أن تلكم المظاهر الخسيسة هى من مقتضيات التقدم والرقي حتى فقدت المدنية الاسلامية فضائلها وفى ضمن ذلك العراق الذى أصيب بانقلاب اجتماعى خطير خلال عشرين عاما ادت اليه عوامل مختلفة .

فلما قضت الظروف العالمية على أثر انتهاء الحرب الماضية بتغيير كلي فى سياسة بعض الاقطار ظهر بين ظهرانينا أناس لا كفاءة ولا تجربة لهم حملهم الوضع الى أدق المراكز واتسع لهم المجال فكان أول عمل قاموا به من الاعمال السيئة هتك الحرمات ونبذ العقائد والاعتداء على الآداب والاخلاق باسم التجدد الذى لا علم لهم به واتخذوا القرآن وراءهم ظهريا وأخذوا ينعتون الشعائر الدينية والآداب الاجتماعية والاخلاق الموروثة عن السلف الصالح بالفكرة الرثة والعقلية البالية .

---

(٢) المائدة : ٥٦

(٣) الرعد : ١١

ثم برز فى ساحة العمل رهط على شاكلتهم كأنهم كانوا على ميعاد جعلوا نصب أعينهم تشييد صروح وتزيين قاعات تعرض فيها ألواح المومبقات على اختلاف صورها وأشكالها باسم المدنية العصرية التى لم يدركوا مفهومها الحقيقي وجدّوا فى توسيعها وتنميتها والانفاق عليها كمن ليس له واجب سوى العناية باعداد الملاهي الانيقة . والتشجيع على معاقرة الخمور والمقامرة الفاتكة وألوان الخلاعات الفظيعة . وتمثيل الرقوق التى تصدر افظع الجنايات وأشنع القصص الغرامية ، واذاعة الاغانى المكشوفة ، وتحليل ما حرّم الله ، علاوة على مواطن الدعارة والبغاء العلني التى استفحل أمرها منذ الاحتلال وتغلغلت فى أكثر الأحياء .

والعراق يسوده الجهل والفقر وقلة المراس وقد فوجىء بمظاهر خلابة من شأنها أن تجذب الصالح والطالح الى حريمها المحفوف بشتى أفانين التسويل والاغراء ، وفوق ذلك بلية الاقتباس من سلوك بعض الغرباء الذين يؤتى بهم للقيام بمهنة التثقيف من نساء ورجال بلا تروٍ وتمحيص .

واذا ما تألبت عوامل كهذه على مجتمع مغلوب على أمره ، فقير فى علمه وماله ، ولم يشهد فى حياته أمثال هذه المشاهد الموبوءة ، ولم يمارس ما تنطوى عليه من شرور وآفات ظاهرها فيه اللذة وباطنها من قبله الدمار . فلا غرابة فيما لو قامت المعاصى مقام العبادات ، وانقلبت السيئات الى حسنات وحلت الرذيلة محل الفضيلة وانهار بناء العائلة وفسد النظام الاجتماعى واستحوذت الجرائم والفجايع على الطمأنينة والاستقرار وتغلبت النزعات على النفوس و (ان النفس لأمارة بالسوء)[٤] .

والتاريخ قص علينا نبأ الامبراطوريات العظمى التى قوض دعائمها فساد العقائد والاخلاق .

هذا بعض ما اقتبسه الشرق من الغرب ، فاذا كان احتفالنا بهذا

---

(٤) يوسف : ٥٣

اليوم عن صدق وايمان فعلينا أن نتبع سنة صاحب الرسالة ونسير على سيرته ، ونفكر فى الطريقة التى نستأصل بها شأفة هذه الداهية الدهياء عسى أن نسلم على البقية الباقية من تراثنا المقدس ، والا فكل منا ممقوت فى الدنيا ومسؤول فى الآخرة (وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)[٥] .

فهمي المدرس(*)

---

(٥) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(*) مجلة « الذكرى المحمدية » الذكرى العاشرة (١٣٥٩هـ) ص ٣٣ ط ٢ مطبعة الجزيرة – بغداد

الغازي (أتا تورك)

والمثل الأعلى

ليست الفضيلة المتشبعة من روح البطولة والعبقرية والدهاء مما يدخل فى نطاق الانحصار ومما تعتز به امة دون اخرى ، وانما هي المثل الاعلى الذى يهتدى به البشر على اختلاف الملل والنحل حيثما كان منبتها، ولا شأن للاعتبارات السياسية والقومية والدينية والاقليمية ازاء الفضيلة التى نحن بصددها • ولا تنبت هذه الفضيلة الا فى منابت الاعزة والعظماء ، وهى رمز الانسانية المتكاملة ، يشع نورها على الآفق فيقتبس منه ذوو المواهب الفطرية فى مشارق الأرض ومغاربها ، والانسانية هي التي تتولى امر تخليدها فى الصدور وفى الهياكل واهداف الامم وفى بطون التواريخ لانها من مفاخرها ومما تعاون عليه ذوو الملكات الممتازة والقابليات النادرة وأولو العزم من الرسل •

ولم يتمثل بها الا من اجتمع فيه من الخصائص ما يجعله كفوا للزعامة ولاحترام البشر على الاطلاق ، واذا ما افل نجمه فان الانسانية بمجموعها تنعيه وتندبه ولا تدخر مما فى وسعها من العناية بما يليق برفعة شأنه وجلال قدره من الاجلال والاعظام ، لان ذلك لا يتأتى الا فى عشرات القرون ومن بين مئات الملايين من البشر ، ولان تلك الفضيلة ميراث مشروع للبشر عامة ، ومن واجب البشر ان يقدسها ويرفعها الى اعلى مقام (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)[1] •

وقدتجلت هذه الحقيقة بأسمى مظاهرها فى كل ناحية من نواحى المملكة التركية برها وبحرها وسمائها فى اليوم التاسع من تشرين الثانى ١٩٣٨ •

---

(١) الزلزلة : ٧

فما أزفت الساعة التاسعة والنصف من صباح ذلك اليوم المشهود الا والاثير يحمل الى انحاء العالم من مشاهد العظمة التى كانت ترافق نعش الراحل العظيم فقيد الانسانية والشرق (كمال اتاتورك) ما لم يسبق له مثيل فى تاريخ العظماء .

بين الفضيلة والانسانية المجردة ..

تجردت الانسانية فى ذلك الموكب الرهيب من كل نزعة سياسية وقومية ودينية واقليمية ماعدا الشعور بتقدير الفضيلة والانحناء امام النعش الذي انطوى على الصدق والاخلاص والتفانى فى الوطنية وانكار الذات ، وذلك الدهاء المفرد الذى بعث الشعب التركى من مرقده ونفخ فى جميع طبقاته روحا جبارة يخطب ودها كل جبار عنيد . وأحيا معالم مجده المندثر ، واعلى كلمته بين الامم بعد ان كان مطمورا بين اطباق الذل والهوان ، وشاد على انقاض مملكة بالية مملكة ذا تبأس وقوة غنية ، وفى صنايعها ومعارفها وزراعتها وتجارتها ومعاملها ومنتجاتها ومصارفها وخطوطها الحديدية وطرقها المعبدة وجامعاتها ومدارسها على اختلاف الدرجات وسائر مرافقها الحيوية ، يحرسها جيش مجهز بأحدث التجهيزات والمعدات بسلاحه ودباباته ومدافعه وطائراته ، يقبض على ناصيتها خلق جديد متشبع من روح التجدد والغرور القومى والحماسى ، والتضحية ، دائب على السعى والعمل فى سبيل التقدم والارتقاء ، وقضى على الاميه المتفشية فى بلاد الاناضول عن طريق الحروف اللاتينية ، ودرب الناشئة على مبادىء العزم والبسالة والاعتماد على النفس وايثار المصلحة العامة وحب الاعتلاء واستصغار عظائم الامور والذود عن كيان البلاد بالارواح والاموال ، وكون من الشعب والجيش والحكومة كتلة متمازجة لا تقبل التجزئة والانفكاك ، وانشأ فى خلال سبع سنوات عاصمة تضاهى ارقى العواصم الاوربية فى هندستها وشوارعها وحدائقها ومبانيها الشاهقة وجامعاتها وسائر معاهدها العلمية ومؤسساتها الرسمية ، وابتاع السكك

الحديدية من الشركات الاجنبية ، وحصر الاعمال فى ايدى الاتراك ..

تكتنف هذه الاصلاحات الخطيرة سياسة رشيدة نالت الاعجاب والتقدير من لدن اقطاب السياسة فى العالم ، فألغى معاهدة (سيفور) واتفاقية (الدردنيل) وعقد ميثاق (البلقان) وميثاق (سعد آباد) ، والعالم المتمدن يرقب هذه الاعمال المجيدة عن كثب ويزداد فى كل يوم دهشة وانبهارا.

وما انفك يعالج شؤون المملكة بعين لا تنام ، مواظبا على تطبيق الخطط التى رسمها قبل أن يتقلد رياسة الجمهورية،حتى فارق الدنيا وقلبه معلق بشعبه مفعم بالصدق والاخلاص ، لا يملك من حطام الدنيا نقيرا ، اذ كان قد اوصى بجميع ما يملك من مال وعقار ومجوهرات الى حزب الشعب وجمعيات اللغة والتاريخ والى بناته اللائى تباهن الى ان ينتهين من الدراسة العالية والى أولاد عصمت بن اونونو حتى يتموا تحصيلهم العالى لعدم استطاعة والدهم من الانفاق عليهم بالرغم من انه تقلد رياسة الوزارة (١٣) عاما بعد جهاده المشهور فى حرب الاستقلال .

أتاتورك والانقلاب الاخير ..

اربعة عشر عاما ليست بالمدة الكافية لتدبير انقلاب واحد لاى داهية من دهاة التجدد والاصلاح فى مملكة تئن تحت اعباء الفقر والجهالة ،وشعب نهكت قواه الحروب الطاحنة مدة (١٢) عاما ، من حرب طرابلس الغرب الى حرب البلقان العامة الى حرب اليونان حتى تقطعت اوصال المملكة واصبحت اثرا بعد عين ، و (كمال اتاتورك) بعد ان جمع شتات الجيش المتشرد فى جبال الاناضول وفى الاودية ، والكهوف ، وفى السهول والبطاح النائية ، وعرف كيف يجهزه بالمال والسلاح ـ وتلك من الخوارق التى لم تتيسر لعظيم من العظماء ـ وبعث من تلكم الفلول المتفسخة قوة اندحر امامها جيش اليونان ، وعقد معاهدة (مدانية) وفتح (اسطنبول) وجردها من جيوش الحلفاء وانبرى الى مبادلة السكان ، وبعد ان انتهى من تلك العملية الشاقة ومن غوائل مؤتمر (لوزان) لم يقتصر على القيام بانقلاب

واحد بل قام فى عين الوقت بانقلابات كل منها يتوقف انجازه على مثل ذلك الزمن على الاقل .. قلب نظام الحكم والاوضاع السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والادبية فى آن واحد ، وفى بحران هذه الانقلابات الخطيرة لم يغفل عن مكافحة المؤتمرات الداخلية ومعالجة الفكرة الرجعية وقلة المادة والمال ومراقبة العيون التى كانت تتربص الفرص للايقاع به ومن وراء ذلك تقسيم بلاده، حتى كون فى تلك المدة الوجيزة وانظروف العصيبة (تركيا الحديثة) التى تلاشت امامها الضغائن والاحقاد ، وانقلب الخصم الان الى صديق حميم ، واصبح الغازى اتاتورك له تأثيره النافذ فى ادارة السلم العالمى .. ومن تأثير سياسته الساحرة ان تقدمت اليه بريطانيا العظمى بقرض قدره ستة عشر مليونا من الباونات وتبعتها المانيا بأعتماد قدره اثنا عشر مليونا من الباونات .

ذلك هو الدهاء الذى لم يسجل التاريخ نظيرا له فى العصر الحاضر والعصور الماضية ، والذى سخر العالم بأسره وحمله على الاعتراف بعظمته فى اليوم التاسع عشر من تشرين الثانى ١٩٣٨ .

بين عزاء الانسانية ووفاء الاتراك ..

عَم الانسانية فى ذلك اليوم الاسود من الحزن والأسى مادلّ على أن الغازي كان شخصية عالمية ، وكان همه ان تحيا الامم حياة الاخوة وان تربط بعضها ببعض روابط الانسانية ، ولذلك لم يفرض غرامة حربية على اليونان لأنها (باعتقاده) تولد العداء الابدي وحس الانتقام ، وفوائد الصداقة والولاء تفوق الغرامة الحربية اضعافا مضاعفة .

وبرر الوفاء الذى يحمله (١٨) مليونا من الاتراك بما اثبت للعالم ان الشعب التركى نفس واحدة باحساسه وشعوره ، وان المنقذ الاعظم لم يكن الا أباً رؤفا ووليا رحيما لكل فرد من افراد الشعب ، وكأن الجيوش الاجنبية والوفود الديبلوماسية التى حضرت مراسيم التشييع لم يكونوا من

الاغيار بل كانوا من ابناء (تركيا الحديثة) يشعرون بشعورهم فى ذلك العزاء المهيب والخطب الجلل .

اشترك فى مراسم الوداع الابدى (٣٥) دولة بوفودها الديبلوماسية والعسكرية واشتركت بريطانيا وفرانسة والمانيا ورومانيا ويوغسلافية وروسية وايران واليونان وايطاليا مع بواخرها وقطعاتها العسكرية علاوة على الوفود .

وحمل النعش (١٢) جنرالا ووضعوه على عربة المدفع و (٢٤) جنرالا سلوا السيوف عن يمين النعش وشماله ، ومشى فى الموكب ما ينوف على ثلثمائة ألف من القلوب المفجوعة ، وثلاثون ألفاً من طلاب الجامعات والمدارس العالية الذين اقسموا يمين الاخلاص لمبادىء (اتاتورك) ومثلهم من الطالبات النائحات واسراب الطائرات محلقة فى كبد السماء ترفرف على النعش وتزيد الموكب روعة ومهابة ، واتصل النحيب من باب (دولمة بغجه) الى آخر بقعة من بلاد الاناضول ، ولم يتمالك ممثلو الدول الاجنبية من ارسال الدموع السخية ، وتكلل النعش بسبعة عشر الف اكليل ، وسودت المصابيح فى شوارع رومانيا وعطلت الجامعات والمدارس ودواوين الحكومة ، وكذلك فى بلاد اليونان ، واستمرت المراسيم من الساعة التاسعة والنصف صباحا الى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، والتزم الصمت ثلاث دقائق فى جميع البلاد التركية فى آن واحد ، واعلن الحداد اربعين يوما فى ايران وفي بلاد الأفغان ، وقد روت صحيفة (الطان) التركية ان مئات البرقيات الواردة من العالم الاسلامى تنم عن شدة الولاء والاخلاص لشخص الراحل العظيم ، وقد اقيمت المآتم حتى فى اقصى البلاد الاسلامية .

وقررت حكومة انقرة تشريعين قانونيين ، احدهما يقضى بتخليد صورة (اتاتورك) على اوراق العملة التركية وطوابع البريد الى الابد ، والثانى يحتم ابقاء مقعده فى المجلس الوطنى خاليا وابقاء اسمه فى قائمة اعضاء البرلمان واذا ما ذكر اسمه فأن الرئيس ينادى بقوله (شاغر) .

ذلك (أتاتورك) فقيد الشرق ، وهذا جزاء الصدق والاخلاص ، وتلك هى الفضيلة الخالدة التى لايعتريها نقص ولا زوال • تنطوى الاعصار وتتناثر الاعمار وتتسلسل الاجيال وتبيد الامم وتتبدل الارض وتتغيرالاحكام وتنقلب الحكومات وتنقرض الدول وهى عزيزة الجانب موفورة الكرامة محفوفة بالعظمة والجلال ، ينحنى امامها الصديق والعدو ، والقريب والبعيد ، والحاسد والرقيب ، وهى المثل الاعلى لكل جيل فى كل زمان ومكان لا تحتجب عن الابصار ولا تبلى ولن تموت و (لمثل هذا فليعمل العاملون)[٢] •

فهمي المدرس *

---

(٢) الصافات : ٦١

(*) جريدة « العقاب » العددان ٤٧٢ و ٤٧٣ السنة السابعة الصادران يومى الاربعاء والخميس المصادفين ٢٠ شوال ١٣٥٧ هـ/١٤ كانون الاول ١٩٣٨ و٢١ شوال ١٣٥٧هـ / ١٥ كانون الاول ١٩٣٨ •

المعارف بعد ثمانية عشر عاماً

ثمانية عشر عاما وذوو العلاقة بالمعارف يرتابون من سير التربية فى مدارسنا ، ويحذرون من عواقبها ، وتنبه الصحف الى الخطر المحدق بالناشئة من وراء التسيب والانحلال ، حتى استفحل الامر واذيع البيان الآتى على صفحات الصحف :

« لاحظت مديرية التربية والتدريس العامة فى وزارة المعارف ان بعض الطلبة فى المدارس العالية والثانوية والمتوسطات وحتى فى المدارس الابتدائية ، قد انتشرت بينهم عادة التدخين واخذ بعضهم يستعمل المشروبات الروحية ، وعليه فقد اصدرت المديرية المذكورة امرها الى كافة مديرى المدارس فى العراق ان يقوموا بتشكيل لجان فى مدارسهم تسمى بـ (لجان مكافحة المسكرات بين الطلاب) تقوم كل منها ببث الدعاية فى مدرستها وبيان اضرارها وشرورها وتأثيرها السيء على حياة الطالب ومستقبله ، وقد طلبت اليهم ايضا تشكيل (لجان سرية) تقوم بمراقبة الطلة خارج المدرسة والاماكن التى يؤمونها وقد وعدت مديرية التربية والتدريس العامة بتجهيز هذه اللجان بما تحتاج اليه من الكتب والصور والنشرات الخاصة لمكافحة المواد المخدرة والمسكرات بغية تعميمها بين الطلاب) .

هذه عاقبة التربية التى تنافسوا عليها وعبثوا فيها وهى آخر ما تصل اليه الاخلاق من التفسخ والتردى . وبعد ان ندرب شبابنا ـ وهم فى حظيرة التهذيب ـ على هذا النمط من السلوك فماذا تصنع اللجان وماذا يكون شأنها حيال التلاميذ الذين لا يقيمون وزنا لصاحب البيان نفسه كما دلت عليه الوقايع والحادثات ، وبعد ان بلغ الانحلال مبلغا ادى الى اغتيال

طالب احد الاساتذة وجرح العميد بطلقة نارية[1] ، وقذف الطلاب احدى المتوسطات بقذائف من نار لاحراق سجلات الامتحان ، واعتداء الطالبات على المعلمات ومديرات المدارس .

وتسربت هذه النزعة الى نفوس الكثيرين منهم ، فلم يتقيدوا بقانون أو نظام .. وما قيمة المراسيم الصادرة من مصدر خاضع للاهانات على طول .. وهل الدعاية وتسريح النظر فى التصاوير وتقليب صحائف النشرات مما يصد جماح الثائرين على العقائد والاخلاق . وكيف جوزوا اذاعة هذا البيان ، والاشارة الى الاصلاح تعد جريمة لديهم ، لانها -على زعمهم- تشوه السمعة . وممن تؤلف لجان المراقبة السرية ، ومن يراقب المراقبين اذا قصروا بواجبهم وهل هذا هو الدواء الناجع لذلك الداء العضال ، أم تبديل المربين ، وتغيير اساليب التربية ، وتقويم اواصرها بالتعاليم الدينية ، والعناية بأمر الانضباط ، وتصفية العناصر الفاسدة ، وتشريع قانون يحرم على الشبان عامة ارتياد الملاهى ومواقع التهم ومعاقرة الخمور والمقامرة بأنواعها اذا كانوا دون الواحد والعشرين من عمرهم ، وعلى الطلاب ما داموا ملازمين للمدرسة ، وسد المحل الذى يترددون اليه بضع سنين جزاء التغاضى عنهم ، والمراقبة الدقيقة من قبل الشرطة الاخلاقية ، كما هى الحالة فى البلاد المتمدنة . ؟!

---

(١) ملخص هذا الحادث المؤسف انه حدث فى صباح يوم الاثنين ٢٠ حزيران ١٩٣٨م الموافق ٢١ ربيع الثانى ١٣٥٧هـ ، وبينما كان الدكتور محمود عزمى وكيل عميد كلية الحقوق يومذاك والدكتور حسن أبو السعود سيف الاستاذ فى الكلية خارجين من الكلية حدث أن فاجأهما الطالب داود مصطفى البياتى من طلاب الصف الاول الراسبين فى تلك السنة ، وأطلق من مسدس كان بيده اطلاقتين أصابت الاولى رأس الدكتور سيف فتوفي فى اليوم التالى وأصابت الثانية ساعد الدكتور عزمى ، ثم صوب التلميذ مسدسه الى رأسه وأطلق رصاصة أودت بحياته .

وقد شغل هذا الحادث المؤلم الصحافة العراقية والصحافة المصرية ورجال الأدب والتربية والسياسة فى البلدين ردحا من الزمن .

وعقب هذا البيان نشرت الصحف المحلية (ان فريقا من الطلاب يتربصون خروج الطالبات من المدارس ولا يتحاشون من ازعاجهن بالملاحقة وارسال الكلمات القارصة) .

ثم اذاعت ان (طالبين من طلاب المتوسطات هددوا بالتلفون مقاما روحانيا وسيدة متمولة اذا لم يرسلا نقودا وقبض عليهما متلبسين بالجريمة) . وجاء فيها ان طلاب الثانوية فى البصرة قاموا بمظاهرة انتصارا لفلسطين فعوقبوا بالجلد على قارعة الطريق ..

ومعنى ذلك ان التربية والتهذيب انتجا بعد ١٨ عاما معقرة الخمور واقتراف الجرائم وارتياد المحال المشبوهة ومطاردة الطالبات ومشابهة المجرمين بالجلد على قارعة الطريق .. وهذا ما كان ينتظر من سير الاعمال فى هذه المؤسسة التى اصبح بينها وبين الغاية المتوخاة منها بون شاسع . اذ كيف يمكن التأليف بين الثقافة والنتائج المعروضة وبين الجلد والاناشيد الحماسية والغرور القومى . ومن الامور البديهية ان الجلد يميت العاطفة والشعور ويفسد الاخلاق ويبعث فى النفوس التخنث والذلة والمسكنة ، والاناشيد الحماسية لا تؤثر فى النفوس الذليلة اكثر مما تؤثر فى نفوس الطيور المعلمة .

فالتبعة فيما عرضناه تقع على دائرة المعارف التى ظهر من سيرها الى الان ان ليس فى وسعها القيام بأعباء المسؤولية من امر الانضباط ، ووضع التعاليم الصالحة للتربية واصلاح مناهج التعليم ، وكتب الدراسة ، وانتقاء المعلمين ، ونبذ الاعتبارات الشاذة ، والحرص على المصلحة العامة ..ولديها زمر من المعاونين والمفتشين ومراجع للتعليم الابتدائى والثانوى والعالى ، ولجان للانضباط ، ومن وراء ذلك مديرو المناطق ، والمفتش العام ، ومدير المباحث الفنية ، ومدير التربية والتدريس العام ، ومدير المعارف العام ، وغير ذلك من التشكيلات الواسعة النطاق ، ولكن هذه التشكيلات كلها

تحت امرة عقلية هى والمعارف عـــلى طرفى نقيـــض ، وهى التى تعبث فى نظام العمل وتشل الايدى العاملة •

السيطرة المخلة بنظام العمل :

من ذلك مانشرته الصـــحف المحلية فى ٢٥ ايلول ١٩٣٨ من ان الراسبين فى الصف الاول من المتوسطات يســـمح لهم بالقبول فى دار المعلمين الريفية ، والراسبين فى الصف الرابع الثانوى يفســح لهم المجال فى دار المعلمين الابتدائية •

وهذا القرار وان كان مما يحول دون الشغب والمؤامرات التى تحاذر منها دائرة المعارف الا انه شجع على الرسوب وتوسيع نطاقه •• عـلى ان دائرة المعارف لم تسلم من الشغب بهذا التدبير اذ بقى هنالك (٣٥٠) طالبا من خريجى المتوسطات يذرعون فضاء الارض •

ومنها ان المعلم الذى يثبت عدم معرفته بالاملاء ـ بموجب تقريـــر رسمى ـ يقرر استمراره على التعليم ، وآخر يفسح له المجال للاشـــتراك مع تلامذته فى امتحان الصف الخامس الابتدائى على ان يشترك فى السنة القادمة مع تلامذته ايضا فى امتحان الصف السادس ليحصل على شـــهادة الابتدائية وهو معلم منذ سنين •

والمعلم المفصول بقرار لجنة الانضباط لارتكابه اعمالا تنافى مهنـــة التعليم يعاد استخدامه بأمر ادارى •

ومعلمو المدارس الابتدائيـــة الراسبون فى الامتحان يقرر ـ على اثر الرسوب ـ تعيينهم محاضرين فى المتوسطات •

وذكرت الصحف على لسان طلاب الثانوية ان قسما من الكتب المقرر تدريسها لاوجود له فى المخازن ولم ينجز طبعه وقد مضى من الســـنة الدراسية ثلث المدة ، وان كتب الدراسة الابتدائية ، لم تظهر الى الميـدان الا بعد شهرين من السنة كما هى الحالة فى كل عام •

وبدلا من ان توجه عنايتها نحو المستنقعات المحيطة بكلية الحقوق ، ودار المعلمين العالية ، ومدرسة الهندسة ، والمتوسطة الغربية ، ومدرسة العوينة ، وتنقذ من الخطر حياة الالاف من الطلاب بالمذاكرة مع المراجع المختصة تبتاع (٦٠) عددا من (الراديو) وتوزعها على المتوسطات .

واذاعت الصحف المحلية بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٣٨ اسراع دائرة المعارف الى ترفيع غير المستحقين واهمال المستحقين .

وقد ورد كتاب من مديرية مطبعة (اكسفورد) الى باعة الكتب فى العراق جاء : (اخبرتنا وزارة المعارف العراقية بأن « مكنزى »[٢] صاحب المكتبة فى بغداد عين رسميا مجهزا لكتب الدراسة الاجنبية ، فى مدارس الحكومة فى العراق ، وعليه نلتمس منكم ان تقدموا الطلب اليه حول الكتب التى طلبتموها منا ، ولذلك نعيد اليكم « الچك » بطيه) .

ولما استخبرت به دائرة المعارف جمعته بصور مختلفة .. ومما لاشك فيه ان الانحصار يؤدى ـ بطبيعة الحال ـ الى ارتفاع الاسعار .. مع العلم بأن خمسة وتسعين فى المائة من الطلاب يصعب عليهم اقتناء كتب الدراسة ولباس المدرسة وان دوائر المعارف فى غير العراق تبذل الجهود لتأمين لوازم التحصيل بأرخص الاثمان ، كطبع الكتب فى مطبعة المعارف او غيرها من مطابع الحكومة ، او تضعها فى موضع المناقصة بين المطابع الاهلية ، وكذلك تتفق مع اصحاب المعامل فيما يخص اللباس وتوفر الشىء الكثير

---

(٢) كنت مكنزى هذا رجل اسكتلندى كان صاحب مكتبة فى لندن ، استدعته السلطات الانكليزية عام ١٩٢٠ حين أسست مكتبة للكتب الانكليزية ليكون مديراً لها .

وفى عام ١٩٢٥ اشترى المكتبة من وزارة المعارف العراقية فاشترطت عليه ان يستمر على فتح المكتبة وادارتها فى العراق .

وفى عام ١٩٢٩ توفي كنت مكنزى ودفن ببغداد ، فخلفه ابن عمه (دونالد مكنزى) حتى وفاته عام ١٩٤٤ حين آلت المكتبة بعد ذلك الى السيد عبدالكريم مراد ، ولاتزال تحمل اسم مؤسسها الاول (مكنزى) .

تسهيلا لطلب العلم ومواساة للفقراء ، لا انها تستعمل نفوذها للاتجار بالكتب واللباس بصورة رسمية •

وما تقم الرأى العام على هذه الاعمال الا قامت دائرة المعارف باحصاء الطلاب واعلان النسبة المتزايدة كأن ليس فى هذا المجتمع من يدرك ان الزيادة نتيجة طبيعية تتفاوت بحسب بلوغ الاطفال من التحصيل وتهافت العراقيين على طلب المعيشة من ناحية الوظائف •• على ان العلم الذى لا تقومه الاخلاق ضرره اكبر من نفعه ، فازدياد العدد على اساس فساد الاخلاق زيادة فى الضرر •• فضلا عن ان (٧٥) فى المائة من العدد المذاع يتناول الراسبين عدا الذين يلتزم نجاحهم لاعتبارات شتى • وبينما الحالة تستدعى الاهتمام بأمر الاصلاح اذ تخصص (٥٠٠) دينار لتوزيع جوائز على المتفوقين من الطلاب ، وذلك لا يقلل من عدد الراسبين ما لم تقم دائرة المعارف بتصفية المعلمين قبل كل شىء ولا تقدم على التصفية مادام هدفها الاعاشة وتكثير السواد •

ولدينا من الوثائق الرسمية ما يثبت ان هذه المؤسسة غير مسؤولة عن اعمالها كما لو كانت دائرة اجنبية وان المراجع العليا ليس لها سوى تقديم المال بغير حساب •

وهذه المؤسسة هى التى تتوقف عليها حياة البلاد ، ويقوم عليها بناء المجتمع وتهيىء للدولة ما تحتاج اليه من الموظفين على اختلاف المسالك •

المعارف وتقاليد الوضع :

ومن تقاليد الوضع فى دائرة المعارف ان يقابل النقد النزيه والاقتراح المفيد بالهجمات العامية المشفوعة بسلسلة من المقالات المطنبة حول تصاميم لا يلمس منها غير المواعيد الخلابة المتنقلة من دور الى دور ومن عام الى عام (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا)[٣] •

---

(٣) النور : ٣٩ •

ومن جملتها ما اذاعته الصحف المحلية فى ٢٥ كانون الاول ١٩٣٧ من ان فى النية عقد مجلس من الاختصاصيين للنظر فى اصلاح المناهج وكتب الدراسة وانشاء مدارس وعلى رأسه لجنة وزارية .

وبالرغم من اعتقادنا بأن الاصلاح لا يلايم سيرة الوضع الحاضر يتراءى لنا بصيص من الامل ، فانتهزنا الفرصة واشرنا الى بعض النقاط التى اعتقدنا فيها خدمة للمصلحة العامة ، فما كان من تقاليد الوضع الا التحامل المشبع من روح المغالطة والتمويه ، والخروج عن الموضوع ، والشذوذ عن آداب البحث والمناظرة ، والبراعة فى اللغو والتأثيم كما هو ظاهر من اسلوب البيان المذاع فى احدى الصحف المحلية بتاريخ ١ أيلول ١٩٣٨ ، الذى حللنا فى مقالاتنا السابقة بعض محتوياته وبقى الشىء الكثير، ومنه الفقرة الآتية : « ان الكاتب كان مسيرا بعامل الغرض ومندفعا بتأثير العاطفة الى درجة صرفته عن رؤية الحقيقة وابعدته عن التفكير الصحيح المؤسس على العلم والمنطق ، وليس من المستغرب مشاهدة اناس ينحرفون بعاطفتهم عند بحثهم القضايا العامة من غير ان يحكموا عقولهم ، وهذه الفئة تسبب للبلاد اضرارا لا تعوض . وقد رأينا من واجبنا ان نكافح هذه النزعات التى هى والمصلحة العامة على طرفى نقيض ... الخ » .

وان الذى يقرأ هذه النبذة يذهب الى ان الخطر محدق بالبلاد ،وان عصبة من اعداء الوطن تسعى لايقاع اضرار يتعذر تلافيها ، وان الواجب الوطنى يحتم محاربة هذه العصبة الخائنة .

وغاية ما فى الامر انا اقترحنا حذف فصل (النجاسات) من فقه الاطفال ، وبحث اللحية من فقه البنات ، ونقل المباحث الدقيقة من الصف الثانى الابتدائى الى صفوف اخرى كالبحث عن الصفات الثبوتية والصفات السلبية وغيرها مما لا تسعه مدارك اكثر المعلمين والمعلمات فى المدارس الابتدائية فضلا عن قابلية الاطفال ، وانقاذ الاطفال من ضيق المدارس وهوائها الفاسد ، واصلاح اسلوب التعليم الابتدائى على الطريقة المتبعة فى

غير العراق ، وان تكون كتب الدراسة الابتدائية مشكولة لما ادلينا به من الادلة •واى غرض واية عاطفة تغلبا على هذا الاقتراح ، وماهى الحقيقة التى توارت عن الابصار وكيف يكون التفكير الصحيح فى هذا الموضوع، وما هى الاضرار التى لا تعوض ، والنزعة التى يجب مكافحتها واى علم واى منطق يراد تحكيمهما ؟

هذا هو الاسلوب المألوف فى هذه المؤسسة لكم الافواه ••

ثم أخذ صاحب البيان يتراجع – من حيث يشعر او لا يشعر – ويعلل العجز عن وضع رسالة صغيرة فى فقه الاطفال والمقترحات الآنفة الذكر بوجود موانع حالت دونها كالتقاليد والعنعنات والعادات ومقتضيات السياسة والادارة والفكرة الرجعية وقصر الزمن •

والزمن لا يقل عن (١٨) عاما والمجتمع العراقى لم يتقيد من العنعنات والتقاليد والعادات بما يؤخره عن السير فى مضمار التقدم والارتقاء بدليل مطالبته بالتجدد والاصلاح على الدوام والاستمرار ، وازدحام الراغبين فى القبول على ابواب المدارس من كل حدب وصوب فى بداية كل سنة دراسية حتى تضطر الادارة الى تفريقهم بالقوة •

واذا تتبعنا سير الاعمال فانا نجد التقاليد والعنعنات والفكرة الرجعية بل والعقلية البالية محتلة دائرة المعارف ومتحكمة فى مقدراتها منذ الاحتلال•

وبمثل هذه الأساليب تفقد الأمم ملكة التميز بين الحق والباطل وتلتبس عليها الحقايق وينحط شعورها وتعقم مواهبها وتتفسخ أخلاقها وتمسخ مسخا أبديا (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوث)(٤)•

أما النزعة التى تولد أضرارا لا تعوض والواجب يحتم على كل عراقى أن يكافحها كما يكافح الأوبئة الفتاكة فهى التى صرح بها معالى السيد صادق البصام وزير المعارف الأسبق فى بيانه المذاع بتاريخ ١٨ أيلول

---

(٤) المائدة : ٦٠

١٩٣٥ والذى جاء فيه : (فعلى كل منا أن يؤدى الأمانة المطلوبة منه وان يعمل بكل صدق لابقاء هذه المؤسسة منبعا لخلق ناشئة قوية متحليـــة بالاخلاق القويمة والشعور القومى الصحيح بعيدة كل البعد عن الافكار المضرة والنزعات الهدامة التى حاول بعض الاغرار ادخالها فى صفوف اسرة التعليم) • هذه هى النزعات التى ما تناولت أمـــة الا جعلت عاليها سافلها ، لا النصائح والمقترحات المفيدة والتشجيع على العمل الصالح •

وكيف تخلق هذه المؤسسة ناشئة قوية اذا كان القائم بتربية الناشئة أضعف خلق الله واذا كان من حين لآخر يملى عليها من مناقبه ما يجعلها تعتبر الذلة والمسكنة من مبادىء التربية الحديثـــة •• كاحتماله الاهانات واعترافه بها فى محاضر التحقيق وشيوعها بين الناشئة •

وهل هذه هى المبادىء القويمة التى ينبعث منها الغـــرور القومى ، وتبنى عليها أسس القوميات وتشاد صروح الامبراطوريات ؟!

انا لا يسعنا سوى ان نلفت أنظار اولى الأمر الى هذه المؤسسة التى تغلغل فيها الانحلال وأصبحت (على شفا جرف هار)[٥] •

عـــراقي *

---

(٥) التوبة : ١٠٩

(*) مجلة الكفاح ـ العدد ٢٨٧ السنة العاشرة ٥ كانون الثانى ١٩٣٩.

لمناسبة مؤتمر الطاولة المستديرة فى لندن !

فلسطين بين المؤتمرات والدماء المسفوحة

يظهر من سير السياسة فى فلسطين أن قد انتهى دور اللجان والتقارير ،ونزعة التقسيم والدول الثلاث ، واجلاء العرب ، واشغال العالم بهذه الاساليب التى كان الغرض منها تمديد الزمن وفسح المجال لليهود المهاجرين من أنحاء العالم حتى يبلغوا العدد الكافى لتكوين قوة تستخدمها الدولة المنتدبة على ساحل البحر المتوسط ،وتستعين بأموالهم على تعزيز القوى البحرية والجوية استعدادا للطوارىء وصيانة لطريق الهند وانابيب النفط العراقى •

وما تم العدد المطلوب لهذه الغاية الا والدول الاوربية من ألمانيا وايطاليا ورومانيا وبولونيا ولتوانيا وجكسلوفاكيا تثور على اليهود وتنذرهم بالجلاء عن البلاد ، وتسن قوانين تحرم عليهم الوظائف والمهن ، وارتياد المتنزهات ، والركوب فى السيارات ، ومزاولة الطبابة ، والصحافة والمحاماة ، والمتاجرة ، والسمسرة ، والصيرفة ، والتصرف فى أموالهم واملاكهم والاختلاط بالعرق الآرى ، وتهذيب أبنائهم فى المدارس الرسمية •• جزاء الحيل والدسائس واقلاق الراحة ، والعبث فى السياسة ، واثارة الفتن لايقاد نار الحرب العالمية كما أوقدوها أول مرة واستغلوا هلاك البشر وجمعوا من وراء ذلك أموالا لا حساب لها كما اذاعت صحف الدول المذكورة •

واستنكرت المانيا وايطاليا تمكين اليهود من تأسيس حكومة على ساحل البحر المتوسط لما فيه من الخطر على سياستهما البحرية ، اذ ليس من المستبعد ـ وأموال العالم فى قبضتهم ـ ان ينشئوا اسطولا بحجة المحافظة على الساحل يزاحمهما بالانضمام الى أساطيل فرانسة وانكلترا

وأمريكا .. فأصبحت مشكلة فلسطين عالمية كما أشرنا اليها فى مقالاتنا السابقة .

التنافس السياسى والمؤتمرات :

وعلى أثر هذا التنافس السياسى اقترحت الدول المنتدبة عقد مؤتمر فى لندن يضم ممثلين من العرب واليهود والانكليز للمداولة فى حل مرضٍ .. فرفض العرب هذا الشكل ، لان اليهود دخلاء لا حق لهم فى الاشتراك ، وان مفاوضتهم مما يجعل لهم حقا مشروعا ، لاسيما وان وراءهم الدول المنتدبة الحريصة على ان تتخذ من فلسطين محطة لسياستها عن طريق اليهود وتصريح وعد بلفور ، والعرب لا معين لهم سوى الايمان بحقوقهم المشروعة ، واعتقادهم بان الحق يعلو ولا يعلى عليه .

وما الضربة القاضية التى نزلت بهم من جانب الدول الاوربية الا مظهر من مظاهر هذا الايمان وهذا الاعتقاد .

فقسمت الدولة المنتدبة المؤتمر الى قسمين ، احدهما يضم العرب والانكليز ، والثانى يضم الانكليز واليهود ، والنتيجة وان كانت واحدة الا ان العرب رضوا بهذا الشكل باعتباره أهون الشرين ، وأخذوا يستعدون لترشيح ممثليهم عن فلسطين والبلاد المجاورة طبقا لما جاء فى الاقتراح ، واذا بالدولة المنتدبة تمنع سماحة المفتى والمجاهدين من حضور المؤتمر ، والمفتى والمجاهدون وحدهم لهم الحق فى تقرير المصير .

وأعقبتها فرنسا فمنعت سورية ولبنان من الاشتراك لانهما تحت الانتداب وليس لهما حق ابداء الرأى وانما الرأى رأيها .

وربما كان ذلك أحد الاسباب فى تأجيل المعاهدة السورية الفرنسية .

ولما ظهر لجلالة الامام يحيى عاهل اليمن ان الاقتراح حول المؤتمر يراد به التسويف ليقضى على المجاهدين ويخضع عرب فلسطين بدون قيد وشرط ، عدل عن ترشيح ممثلين على أن يكتفى بارسال كتاب يضمنه

الموافقة ـ عن بعد ـ على ما يتفق عليه ممثلو العرب فى المؤتمر .. وفى الحقيقة تأجل عقد المؤتمر الى ما بعد الانتهاء من الغوائل السياسية التى حدثت بين ايطاليا وبين فرنسة وانكلترة حول تونس وكورسيكا ونيس وحول الصومال وقناة السويس .

وفى فلسطين تزهق الارواح ، وتهدم المنازل ، وتحرق القرى ، وتغص السجون بآلاف من الاحرار ، وتنتهك الحرمات ، وتفتك المجاعة، والرعب بالغ أقصى حدوده ، وسيل المهاجرة لا آخر له .

الانتداب واليهود والفجايع :

ولا ندرى كيف نؤلف بين الانتداب الذى فسرته عصبة الامم بالمشورة والمساعدة وبين الفجايع المذكورة وتسليط المدافع والطائرات على شعب لا يملك مدفعا ولا دبابة ولا طائرة ولا عتادا أو أية مادة من المواد المهلكة المجهز بها جيش الانتداب لاخضاعه وجعل وطنه مستعمرة صهيونية تستغلها الدولة المنتدبة على مرأى ومسمع عصبة الامم وعصبة الامم لا تبدى حراكا .

كما لا ندرى ما هى الغاية التى يستميت فى سبيلها اليهود ، وهم متمتعون بالحكم بأعظم مقاييسه ، فان رئيس الولايات المتحدة الذى يبسط نفوذه على قارة أمريكا يهودى الاصل ، ورئيس الوزارة الافرنسية السابق يهودى ، ولا يزال فى الوزارة الافرنسية وزيران من اليهود وزير المعارف ووزير المستعمرات ، وفى الوزارة البريطانية أربعة وزراء من اليهود ، فأين هذا الحكم العزيز الواسع النفوذ من حكومة صغيرة فى بقعة ضيقة محصورة بين الساحل والجبال تحت راية الاستعمار وأداء الجزية التى لا حدود لها للدولة المستعمرة .!

واذا كانت الغاية هى القيام بالشعائر الدينية فالحج الى بيت المقدس ميسور لهم فى كل دور بلا مانع ولا مزاحم . اللهم الا اذا كانت سجيتهم

المجبولة على اثارة الفتن وايذاء البشر هى التى تدفعهم الى هذه الفتنة ، كما دفعتهم اكثر من مرة وجعلتهم شذر مذر ، ومن جملتها نزوحهم عن اسبانيا عام ١٦٢٠ • على انه ليس فى العالم قوم متمتعون بلذائذ الحياة كاليهود فى كل قطر وفى كل عصر وفى كل لون من ألوان السياسة العالمية ، فى الحرب والسلم والقحط والرخاء ، ولولا سجيتهم هذه لكانوا عضوا نافعا فى المجموعة البشرية لما لهم من الذكاء الخارق والنظر النافذ فى مسالك الحياة وطرائق الحلول ، وممارسة الاعمال على اختلاف أنواعها •

ولكن الاختبارات التى مرت عليها القرون دلت على ان تلك السجية لا تؤثر فيها الثقافة والتربية والاموال الغزيرة والنعيم الدائم والتوطن فى مواطن الحضارة بين الامم الراقية ، ولذلك نبذتهم الاقوام ولفظتهم البقاع•

ولو لم يدرك أقطاب السياسة الامر فى مؤتمر (مونيخ) لاصطبغت الارض بالدماء بأحابيلهم التى لا تزال تثير الفتن والعاقبة مجهولة •

الانتداب وأساليب اليهود :

وسبق لهم فى عهد الحكومة الاتحادية ان انتهزوا فرصة الانقلاب العثمانى وحاولوا شراء قطعة أرض فى فلسطين على ان يتبرعوا بأربعة ملايين من الباونات بواسطة (أصفر) وباسم الاعمار •

فاستنكرت الصحف التركية ذلك ، وأخذت تنشر المقالات المسهبة تحت عنوان (البلاد بالاصفر الرنان) وتحت عنوان (ملايين الباونات تعبث فى البلاد) حملت فيها على الحكومة حملة اثارت الرأى العام وكادت تؤدى الى فتنة لا تحمد عقباها حتى اضطرت الحكومة الى ابعاد (أصفر) عن البلاد •

وفى عهد الانتداب دخل فى حيازتهم اضعاف تلك القطعة بأبخس الاثمان ، وبعد قليل سلوا السيف على الاهلين لاجلائهم والحلول محلهم،

والدولة المنتدبة تستبيح دماء العرب لهذه الغاية وهم فى أوطانهم وفى عقر دارهم يذودون عن حياضهم ومقدساتهم بحكم الطبيعة وبمقتضى الغريزة التى لا تختلف فيها أمة عن أخرى مهما كان شأنها ، وتعتبر الدفاع عن الوطن والدين والعرض والمال جريمة تستحق القتل والشنق والسجن والتعذيب والابعاد ، والشعب الفلسطينى وديعة فى يدها لتمده بالمشورة والمساعدة الى مدة موقتة على أساس الاستقلال المنصوص عليه فى معاهدة (لوزان) وفى ميثاق العصبة .

وكان المنتظر على اثر الثورة العالمية ضد اليهود وتأييدها العرب فى جهادهم ان تكف الدولة المنتدبة عن سياسة الارهاب وان تفكر فى وطن يلم شتاتهم غير فلسطين التى لا تسع غير سكانها الاصليين من المسلمين والمسيحيين واليهود القدماء ، وتنتهى المعضلة التى احدثتها لغايات تبين انها متعذرة التحقيق ، وهى لا تحتاج الى لجان وتقارير ومؤتمرات اذا كان السلم العالمى مطمح الانظار ، لانا نخشى ان تتخذ من هذه المعضلة وسيلة للحرب العالمية المجهولة العواقب .. اذ ان الوضع السياسى الاخير اخذ ينذر بالخطر ، ولم تعد فلسطين مقصورة على كونها بلدة عربية اسلامية ، بل اصبحت محور التوازن السياسى فى البحر المتوسط .

العرب والمؤتمرات :

أما مؤتمر لندن فقد ظهر ان النقاط التمهيدية لانعقاده تنحصر فيما يلى :-

(التأكيد للعرب باقامتهم فى فلسطين نهائيا بدون اكراه بريطانيا على اهمال تصريح بلفور ، وان المهاجرة لا توقف ولا تمنع بل تكون ذات نظام دورى الى أمد غير محدود قابل للتعديل فى فترات معينة وان يقام فى فلسطين مجلس تشريعى على اساس المساواة .. واذا لم يحصل الاتفاق مع المفاوضين فان بريطانيا تعلن مقترحاتها للعمل بها) .

فالوضع السياسى اذن لم يتغير عما كان عليه قبل عشرين عاما • وكان المأمول ان تتضمن النقاط التمهيدية الغاء تصريح بلفور وايقاف الهجرة ، وتأسيس حكومة عربية تراعى فيها حقوق الاقليات ، وعقد معاهدة مع بريطانيا على اساس المصالح المشتركة ، وان تخفف سياسة الانتداب من غلوائها ••

ومع ذلك حملت الينا الانباء اللاسلكية ان جلالة الامام يحيى[1] عدل عن رأيه لمراجعات اكيدة حملته على ارسال ولى عهده سمو الامير سيف الاسلام الى مؤتمر لندن ، وان جلالة الملك عبدالعزيز السعود[2] اوفد نجله الثالث سمو الأمير فيصل وزير خارجيته ، وان سمو الأمير عبدالله ارسل فخامة توفيق باشا ابى الهدى رئيس وزارته ، وان فخامة السيد نورى السعيد رئيس الوزارة العراقية سيمثل العراق ، وان معالى وزير مصر المفوض فى لندن سيرأس الوفد المصرى •

وان جلالة الملك عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية عازم على عقد مؤتمر فى مكة المكرمة بمناسبة الحج الشريف للبحث فى قضية فلسطين والبلاد العربية وتوثيق العرى بين المسلمين ، وعسى ان يكون وراءه فرج قريب •

فقد شاءت الظروف ـ بنتيجة الحرب العامة ـ ان تصب المصائب على العرب من قبل حلفائهم الذين عاهدوهم على الاستقلال •• وهذه فلسطين ! وتلك سوريا ! وتليها طرابلس الغرب ! ومن ورائها تونس ! والعراق لا تفارقه الآلام لما تقاسيه هذه الاقطار العربية من انواع العذاب ••

ومما قالته الصحف التركية فى معرض البحث عن المؤتمر :ـ

« ان القضاء على الخطر الصهيونى امتحان يجتازه العرب ، وان عدم النجاح فى هذا الامتحان يؤدى الى نتائج وخيمة • ولذلك يدفع العالم

---

(١) اغتيل فى ١٥ شباط ٧/١٩٤٨ ربيع الثانى ١٣٦٧هـ •

(٢) توفي فى ١٢ تشرين الثانى ١٦/١٩٥٣ ربيع الاول ١٣٧٣هـ•

العربى برجاله الممتازين الى ميدان النضال للوصول الى نتيجة تصون الوحدة العربية ، وان فخامة نورى السعيد سيلعب الدور الاساسى ، لانه من مشاهير القضية العربية وله معرفة شخصية باقطاب حكومات العرب ولان العراق يسعى بكل طاقاته لحل قضية فلسطين وذلك مغزى سقوط الوزارة المدفعية ومجيء الوزارة السعيدية) .

أما الخطر الصهيونى فانه لا يقتصر على فلسطين بل يمتد الى مصر وسورية والعراق وشرق الاردن ، واذا ما دافع العرب عن فلسطين فانما يدافعون عن انفسهم واوطانهم وسياستهم واقتصادياتهم . وليس فى العالم من لا ينظر الى العرب نظر المعتدى عليهم ماعدا امريكا التى هى دولة تجارية مسيطرة عليها مالية اليهود . ولذلك كتب جلالة الملك عبد العزيز السعود كتابا الى رئيس الولايات المتحدة بتاريخ ٢٧ كانون الاول ١٩٢٧ ردا على انتصاراته لليهود ، حوى من الادلة والبراهين ما يؤيد حقوق العرب فى فلسطين منذ اقدم الازمان وحق المسلمين فيها منذ اربعة عشر قرنا ،وعدم وجود أي دليل يخول اليهود حق الادعاء ولو بجزء منها ، وان وعد (بلفور) لا يصح ان يكون حجة لان العرب لاعلم لهم به ، ولامسوغ له وقد رفضه العرب رفضا باتا بعد العلم ، كما رفضوا الانتداب ، ولان فلسطين لم تكن مستعمرة على عهد الدولة العثمانية ، بل كان العرب شركاء فى الحكم مع الاتراك ، والنفوذ العربى هو المسيطر وقد قام العرب بكل امانة واخلاص فى شؤون مقدساتها ، وكانت فلسطين من جملة البلاد التى ازدهرت فيها المدنية العربية ازدهارا استدعى الاعجاب والاكبار ، وما انضم العرب الى الحلفاء فى الحرب العامة الا لاعتمادهم على العهود المقطوعة لهم ـ قبل تصريح بلفور ـ ومن المستحيل استيطان جميع المهاجرين من انحاء العالم فى بقعة ضاقت بسكانها كما قال ملكولم ماكدونالد فى البرلمان البريطانى :

(وقد قامت فلسطين بما هو فوق طاقتها من ايواء اليهود المتشردين ،

ولم تقم دولة من الدول التى تمن على اليهود بمثل ما قامت به فلسطين بالرغم من ارضها الواسعة ، وان امتداد الحالة السيئة لما يزيد فى استياء العرب والمسلمين ، وان الانتصار لليهود بدون مبرر يؤثر فى المناسبات الودية بين المملكة العربية السعودية وبين امريكا) .

اما العرب ـ وهم فى دور الامتحان كما اشارت اليه الصحف التركية ـ فما لهم سوى ان يستنهضوا الامة الاسلامية على أختلاف المذاهب والعناصر ، ويواصلوا الجهاد ، ويراقبوا وضع السياسة العالمية . وينتهزوا الفرصة (وما النصر الا من عند الله)[٣] .

عـــراقي *

---

(٣) آل عمران : ١٢٦ .

(*) مجلة الكفاح العدد ٢٨٨ السنة العاشرة ١٢ كانون الثانى ١٩٣٩ .

فلسطين
بين الجهاد المقدس وشذوذ النشاشيبي

من الامور الطبيعية التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وطبايع الاقوام والافراد والجماعات ان المصيبة العامة من شأنها ان تؤلف بين القلوب المتنافرة ، وتقارب بين المتباعدين ، وتقضى على الضغائن ، وتجرد النفوس من المطامع ، وتوحد الكلمة ، وتبعث من المجموع ـ قل او كثر ـ قوى متماسكة تقف امام الملمة سواء اجاءت من الارض ام نزلت من السماء ..

تتآخى الاحزاب ، وتتحدد الجماعات ، وتتآلف القلوب ، ويشد بعضهم ازر بعض ..... (*) الراحة والسكينة ، ثم يرجع كل الى مبدئه وعقيدته .

تلك هى سنة البشر عند نزول الكوارث وحدوث الملمات . من غرق او حريق او قحط او وباء او اعتداء خارجى ... ولايتأخر عن الكفاح والنضال فى مثل هذه النوازل سوى العاجز والطفل الصغير (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)[1] .

واية مصيبة اعظم وادهى مما حل بالارض المقدسة ومما يعانيه المجاهدون الاحرار فى سبيل الدفاع عن حريتهم واوطانهم ومقدساتهم وعن شرف العرب والاسلام منذ ان خفقت راية الانتداب على ارض فلسطين.؟!

عشرون عاما واخواننا الفلسطينيون لا يهجعون فى الليل ولا يسكن روعهم فى النهار، يرددون الانفاس ما بين الحديد والنار، والدماء المسفوحة، والجثث الهامدة ، ونحيب الارامل ، وعويل الايتام ، وانين العجائز والشيوخ ، تحيط بهم المشانق وتضيق السجون . وذلك فى عصر يتحرر فيه الرقيق ، وتقوم الجمعيات بحماية الحيوان .

وبالرغم من البون الشاسع بين عصبة المجاهدين وجيش الانتداب

(*) بياض فى الأصل .

(١) المائدة : ٢ .

الجرار لا تفتر عزائمهم ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم (يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)[٢] .

صحيفة غراء خلدت للعرب والاسلام اجل ما يخلده التاريخ للأمم الحية من صحائف الشهامة والاباء ، واثبتت للعالم وللاجيال المقبلة ان الدم الذي يجري في عروق العرب لم يفقد خصائصه الفطرية ، وان العرب قبل النبوة وبعدها وفى القرن العشرين سواء فى الشمائل والبطولة وعظمة النفس ، لا يقيمون على ضيم ولا تلين لهم قناة ، ولا يخضعون للظلم والجبروت . يفضلون الموت على حياة الذل والخنوع ، اما الحرية والعيش الرغيد ، واما الفناء واعماق اللحود .. ولا فرق بين موقفهم اليوم فى فلسطين وبين مواقفهم الرهيبة فى عهد الرسالة والخلفاء الراشدين ، فلا يمضى يوم الا ولهم مشهد من مشاهد بدر وحنين وخيبر ويرموك .. كأن لم يتقادم العهد ولم تمر عليه القرون .. لا يلوون على احد ولا يثنيهم الحر اللافح والبرد القارس ولا الجوع ولا العطش (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)[٣] .

امة تساوى اولها وآخرها وماضيها وحاضرها وجاهدوا بأموالهم وانفسهم حتى شهد لهم الاعداء بحقهم المشروع ، وازدادوا ايمانا بأنها خير امة اخرجت للناس ..

وتطلعت عدنان من احدائها وتلفت الماضى الى المستقبل

النشاشيبي[٤] وموقفه الممقوت :

وفى بحران هذه المصيبة العظمى ، وهذا الموقف الخطير ، وفى

---

(٢) الصف : ٤ .

(٣) الحشر : ٩ .

(٤) النشاشيبي : اغتاله شاب فلسطينى عام ١٩٤١ أمام فندق السندباد ببغداد ، وكان فخرى النشاشيبى هذا على جانب من الثقافة وحدة الذهن ، غير انه سخر كفاءته هذه ـ سعيا وراء مطامعه الشخصية ـ لخدمة السلطات البريطانية المحتلة فى بلده فلسطين ، حتى لقي جزاءه الذى يستحق .

الوقت الذي يتآزر فيه المسلمون ويستعد ملوك العرب وامراؤهم لايفاد الممثلين الى (مؤتمر لندن) ، وفى الساعة التى ينعقد فيها المؤتمر التمهيدى فى القاهرة لاحقاق الحق ، ودفع الشر المستطير ، وتوحيد الكلمة على مطالب العرب والمسلمين لحل المعضلة التى تمادت نكباتها عشرين عاما ، يتجاهر رجل من ذوى الاطماع الخسيسة بالشفاعة لليهود المطاردين من قبل الامم الاوربية ، وينتقد المجاهدين فى جهادهم الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ الامم ، وفى مطالبهم التى لا تتعدى حدود الحق والعدل زاعما ان فى موقفهم الصلب افراطا ومغالاة ، ويجمع حوله نفرا من أهل بيته وذوى قرباه طمعا بالجاه الزائف والحطام الفانى ، ويخرج عن طاعة الله ورسوله ، ويعرض نفسه للطعن والتشنيع ، ويسجل اسمه بين المارقين ، ويستحق لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .. ذلك هو النشاشيبى صنيعة الاستعمار .

ولما كان الحق ظاهرا كالشمس فى رائعة النهار لم يعبأ به حتى الذين اشلوه على ابناء جلدته (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله)[٥] .

ولا غرابة فى هذا المروق اذا كان الاستعمار لا يتم له الامر الا باحداث شقة الخلاف بين ابناء البلاد قبل كل شيء ..

ومن دواعى الارتياح ان السياسة لم تستطع ان تتناول من بين الشعب الفلسطينى مسلمين ومسيحيين سوى هذا الرجل المنكود الحظ .

وذلك مما يدل دلالة صريحة على ان للفلسطينيين اخلاقا متينة وسجايا سامية ولولا ذلك الدم الطاهر لتناولت اكثر من واحد لما لها من المهارة والممارسة فى تسخير القلوب والتصرف فى العقول حتى تجعل اهل البلاد يخربون بيوتهم بأيديهم و (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)[٦] .

---

(٥) فاطر : ٤٣ .

(٦) البقرة : ٦ .

الأحرار ومطالبهم المشروعة :

على ان مطالب المجاهدين الاحرار ليس فيها ما يحمل على الافراط والتفريط ، او التصلب والمغالاة ليحاول النشاشيبي ان يتخذ منه حجة للخلاف والخروج عن الصفوف .. وهى :

(الاعتراف بالاستقلال التام ، والعدول عن تجربة انشاء الوطن القومى اليهودى ، وانهاء الانتداب ، ومنع الهجرة اليهودية وانتقال الاراضى لليهود، وتأسيس دولة فى فلسطين ذات سيادة تعقد مع بريطانيا معاهدة مماثلة للمعاهدة العراقية البريطانية) .

فأين الافراط فى هذه المطالب واين التصلب والغلو ؟ وهذه ليست مطالب الفلسطينيين وحدهم ، بل مطالب العرب والمسلمين بالاجماع .. ولا يمكن التنازل عن اية فقرة منها ، اذ لا حياة للشعب الفلسطينى بدونها.

اما الاستقلال فهو منصوص عليه فى معاهدة لوزان وفى ميثاق عصبة الامم ، ولم تتنازل تركية عن سيادتها الا بهذا الشرط .

واما الوطن القومى لليهود فذلك غير معترف به من قبل العرب ،كما ان الانتداب رفضه العرب رفضا باتا فى بداية الامر .

والهجرة اليهودية لا مجال لها لضيق الارض وكثرة الازدحام كما صرح به وزير المستعمرات فى البرلمان البريطانى ، وقد سبق للدول الاوربية ان حرمت على اليهود ـ فيما حرمت ـ شراء الاملاك والاراضى لعين الاسباب التى فكر فيها العرب ، فلا معنى للمعارضة .. واذا لم يسمح لفلسطين بتأسيس دولة مستقلة ذات سيادة فلماذا انفصلت عن تركية ولماذا انضم العرب الى مجموعة الحلفاء فى الحرب العامة .. اكان ذلك للدخول تحت نير استعمارين استعمار بريطانى واستعمار صهيوني .. ؟

انا على يقين من ان هذه المطالب اذا لم تنجز فمن المستحيل ان يستتب الامن فى فلسطين ، وتهدأ خواطر العرب والمسلمين ، ويتحقق السلم

العالمى الذى يتردد على الالسن حقا كان ام ذريعة يتذرع بها الساسة للظهور بمظهر الرأفة والعطف على الانسانية وحقن الدماء .

وبهذه المناسبة ننقل عن صحيفة البلاغ[٧] المصرية الفقرة التالية :

(ان المرحلة التى قطعتها الامم العربية فى علاقاتها بعضها ببعض لاسبيل الى النكوص عنها .. وستتلوها مراحل اخرى يزداد بها توثيق الروابط وتنظيم التعاون والتآزر .. ما من هذا بد ، ولا عنه معدى ، وسير الحوادث الى الان يثبت هذا على وجه قاطع ، بل ان النطاق يتسع ويرحب ويشمل الامم الاسلامية كلها .. فهناك الميثاق الشرقى بين العراق وايران وتركية والافغان ، وهناك المصاهرة المباركة بين عرش مصر وايران ، وهناك الصداقة المتينة بين مصر وتركية .. والامر بعد ليس امر مواثيق ، وانما هو امر مصالح صارت متماثلة متسايرة غير متعارضة ، وامر اخطار متشابهة تتقى بالتعاون والتآزر ، وهذا حسب من شاء موثقا .. فاذا كان احد يتردد اليوم فى النزول على مقتضيات العلاقة الجديدة بين الأمم العربية فسيضطر غدا الى مواجهة كتلة اكبر واقوى ، وهى كتلة الامم الاسلامية التى تتدانى صفوفها وتمتد ايديها الى التآزر فى الحياة) .

وليس لنا مما نضيفه الى هذه الحقايق سوى كلمة نذيعها على أسماع دول الاستعمار وهى ان سياسة القرن الثامن عشر لم تعد تلتئم وعقلية القرن العشرين ، لان الحرب العامة احدثت انقلابا خطيرا فى الشعور العام . وقد حان الوقت لان يحسبوا للعرب والمسلمين حسابا ، ليس من ناحية السلم العالمى فقط ، بل من ناحية المصالح المشتركة التى لا يتم امرها بعد اليوم الا بالوئام والوفاق ، لا بالقوة القاهرة كما كان فى القرن الثامن عشر ،وذلك

---

(٧) صحيفة يومية سياسية صدر عددها الاول يوم الاحد ٢٨ كانون الاول ١٩٢٣ ، لصاحبها عبدالقادر حمزة المتوفى عام ١٩٤١ .

بالنظر الى التحول الحاصل فى اتجاهات السياسة العالمية ، وان يجعلوا نصب اعينهم نتائج الحرب العامة التى انعكست فيها الآية على حين غفلة فصار المغلوب المقهور هو الغالب المنصور ، وما لبثوا ان اذعنوا لارادته واعترفوا طوعا او كرها بان الحق احق ان يتبع ، وعاد كل شيء الى اصله • ولم يبق للتاريخ من نشوة الظفر ، والفتح المبين ، ودماء الملايين من الابرياء والقناطير المقنطرة من الذهب والمخترعات الفنية التى حصدت اربعة عشر مليونا من البشر المخدوع سوى اضغاث احلام تعبر عنها اكليل الزهور الاصطناعية حول قاعات الجندى المجهول ، وتلك المظالم فى فلسطين ، واضطراب الحالة فى سورية ، وطغيان اليهود ، وان هى الا لطخة سوداء فى جبين القرن العشرين ••

وقالت صحيفة « ينى صباح » التركية فى معرض الثناء على كفاح السوريين والدفاع عن حقهم فى الحياة الحرة المستقلة :

« ليعلم العالم ان الشرق الادنى لن يكون بعد اليوم موضع مساومة بين المستعمرين فهذه الروح تسود الشرق العربى كله •• » •

والذى يفهم من تطور الشعور العام ان هذه الروح اجتازت حدود العروبة والاسلامية وتسربت الى ما هو أبعد مدى ، فقد نشرت صحائف الانكليز رسالة للمهاتما غاندى جاء فيها :

« ان فلسطين ملك للعرب ، كما ان انكلترا ملك للانكليز ، ولماذا لا يريدون ان تكون فلسطين وطنا لشعب ولد تحت سمائها ويكسب رزقه فيها ؟ انه لمن الخطأ ومما يخالف المبادىء الانسانية ان يفرض اليهود فرضا على العرب •• » •

وليس من السهل القضاء على هذا الشعور الذى صار يتناول ثلثى سكان البسيطة •

أما كلمتنا الى النشاشيبى فهى أن يثوب الى رشده ، ويرجع الى الصواب ، ولا يشق عصا المسلمين فى هذا الوقت الحرج (وما عند الله خير وأبقى)[٨] .

عراقي *

---

(٨) القصص : ٦٠ .

(*) مجلة الكفاح العدد ٢٨٩ السنة العاشرة ٢ شباط ١٩٣٩ .

المعارف وكلمتنا الأخيرة

ما كنا لنعود الى البحث عن المعارف بعد انقطاع الأمل من الاصلاح لولا الكلمة المذاعة فى صحيفتى (الزمان)[1] و (العقاب)[2] بتوقيع « موصلي » التى أراد بها حضرة الكاتب ان يعلن عدم مشاركته إيانا في الرأى حول التربية معللا ذلك فيما يلى :

(ونحن لا نشارك حضرة الكاتب برأيه لان الدكتور الذى يشغل مديرية التربية والتدريس العامة هو من الشبان اللامعين المثقفين ثقافة عالية وهو ذو اختصاص بأحدث طرق التربية والتعليم فى أعظم جامعات العالم ومن الذين يحملون بين ضلوعهم قلبا عربيا متحمسا للعروبة ومن الشبان المخلصين الغيورين على قوميتهم وبلادهم .. الخ) .

ونحن لم نقل ان سعادة الدكتور شيخ هرم ، وانه ليس من الشبان اللامعين ، وانه لم يثقف فى كلية من كليات أمريكا وانه غير عربى .. وانما الذى قلناه ان أساليب التربية التى تدرب عليها الشبان فى خلال (١٨) عاما ليست بصالحه للاستمرار عليها بدلالة النتائج الوخيمة التى أوردنا منها أمثلة كثيرة .. والآن نضيف اليها مثالا آخر للتدليل على فشل هذه الاساليب التى وصفها حضرة الكاتب (الموصلى) بأحدث طرق التربية والتعليم .. قالت صحيفة « الثغر »[3] بتاريخ ١٥ كانون الثانى سنة ١٩٣٩ :ـ

---

(١) الزمان : جريدة أصدرها توفيق السمعاني ببغداد يوم الاحد ٢ أيار ١٩٣٧ ، واستمرت على الصدور حتى ٨ شباط ١٩٦٣/١٤ رمضان ١٣٨٣ .

(٢) العقاب : جريدة أصدرها يونس بحرى ببغداد فى تشرين الثانى ١٩٣٢ واستمرت على الصدور عدة سنوات .

(٣) الثغر : جريدة مسائية لصاحبها شاكر النعمة ، برز عددها الاول فى البصرة بتاريخ ١٦ ذى القعدة ١٣٥١هـ / ١٢ مات ١٩٣٣ ،

(وقع صباح اليوم فى المدرسة الثانوية حادث مؤسف أثار استنكار الناس واشمئزازهم ، وهو ان الطالب عبدالرحيم آصف طعن الاستاذ حبيب هداية بسكين فى خاصرته لسبب تافه ونقل الاستاذ الى المستشفى وقبض على المجرم بعد أن لاذ بالفرار ..) .

واذا كانت هذه هى نتائج التربية فماذا يفيدنا كون الدكتور من الشبان اللامعين الذين يحملون قلبا عربيا متحمسا للعروبة ؟ وهل بين البشر من يحمل قلبا أجنبيا عن قوميته اذا كان خالص الدم ، أم تلك من خواص الفطرة يتساوى فيها الشرقى والغربى الا اذا اختلط الدم بدم أجنبى كالتناسل من أبوين أحدهما اجنبى عن الآخر ، وبالاخص اذا كان احدهما ساميا والآخر آريا ، فعندئذ يتغلب العنصر القوى ولا تؤثر التربية فى خواص الفطرة ...

فالقول بان زيدا العربى يحمل قلبا عربيا هو من باب تحصيل الحاصل ولا يحمل على بيان الفضل والميزة، بل على رفع الشك والريبة.. وانا لم نبحث فى مقالنا السابق عن العروبة والقومية، بل كان البحث يدور حول التربية ونتائجها ، والثقافة ونقائصها ، والاخلاص للعروبة والقومية انما يتحقق باصلاحهما وتكوين ناشئة قوية تحمل الأمة العربية على سواعدها وترفعها الى أعلى مقام بالاعمال لا بالاقوال . ولنا أسوة حسنة بقسيمتنا تركيا وجارتنا ايران ، والعراق أصبح مطمح الأنظار وموضع الثقة والاعتماد من لدن الاقطار العربية على الاطلاق .. فأين هذا من ذاك؟

أما وقد انتهينا الى هذا النوع من المناظرة فسلام على العلم والتربية وألف سلام ..

عراقي *

(*) مجلة الكفاح العدد ٢٨٩ السنة العاشرة ٢ شباط ١٩٣٩ .

المعارف والاصلاحات المنتظرة
من الوزارة الحاضرة

اذاعت الصحف المحلية خطابا ألقاه فخامة رئيس الوزراء على الجمهور حول (مشاكل العراق ومعالجتها) قبل سفره الى لندن .. ثم أذاعت خطابا آخر أملاه فخامة وزير الداخلية ووكيل رئيس الوزراء على جمهرة من الصحفيين حول حرية الصحافة ومنحها حق النقد أسوة بالحكومات الدمقراطية وعملا بأحكام الدستور .

فأخذت الصحف توالى النشر فيما يلوح لها من مواضيع الاصلاح ، ومن بينها موضوع المعارف .

وبهذه المناسبة عرضنا فى صحيفة (الكفاح)[1] بتاريخ ٥ كانون الثانى ١٩٣٩ من المواد ما له مساس بسير التربية والتعليم فى مدارسنا وسلسلة من النتائج الوخيمة عسى أن تعالج فى هذه الفرصة الثمينة بما تستحق من العناية ، وتنشل مؤسسة المعارف من وضعها الحاضر رأفة بمستقبل الناشئة التى صارت تتخبط فى سيرها ، حتى استحال التهذيب الى ممارسة المساوىء والمنكرات تحت ستار التربية الحديثة ، والتربية الحديثة براء من هذه التهمة النكراء ..

تتوالى الجرائم والجنايات فى معاهد التهذيب ولا يبدى أحدهم حراكا ، ولا يسألون ، كأنهم أجانب أو كأن الامر مرغوب فيه ..

واذا ناشدتهم الاصلاح أقاموا حولك ضجة لا تسمع من خلالها غير نعرة الدكتورا ، والاسس العلمية الحديثة ، والاساليب الرثة البالية ، ومعاهد الغرب ، وكليات أمريكا ، ونزعات لا تليق بآداب المثقفين . أما

---

(١) احدى المجلات الدينية التى كانت تصدرها جمعية الهداية الاسلامية ببغداد .

الاصلاح فلا يمرون به ، كأنه خارج عن الخطة المرسومة ، أو كأنه من المفاهيم التى لا تسعها المدارك والافهام •

تلك هى الذهنية المسيطرة على طول المدى ، وتلك هى سيرة الوضع واليك المثال :

عرضنا بعض المواد فى مقالنا السابق استنادا الى الخطابين الخطيرين المشار اليهما أعلاه وأعرضنا عن كثير رعاية لبعض المقامات، وكان المنتظر أحد أمرين : اما الاصلاح اذا كانت المواد صحيحة فيستحقون الشكر والثناء ، أو التكذيب اذا كانت غير صحيحة لنقيم البينة على ثبوتها •• واذا بنا أمام البيان الآتى :-

« نحن لا ندري ماذا يقصد الكاتب بالاصلاح ، أيريد أن نرجع بالناشئة الى الاساليب الرثة البالية ونترك التعليم على الاسس العلمية الحديثة مع حصول اجماع الطلبة والمربين على وجوب اقتباس انوار العلم على ايدى الناهضين من الشباب والاستفادة من هؤلاء الآخرين بقدر ما حصلوا عليه من علوم حديثة تؤيدها الشهادات التى لديهم بالدكتورا فى معاهد الغرب المعترف بها ، وذلك بدلا من أن تخرج لهم تماثيل جوفاء من مصلحة الآثار يناشدونها طلل الماضين » •

والذى يظهر من هذه الثرثرة ان حامل الدكتوراه المعترف بمعلوماته القيمة من قبل علماء الغرب ـ كما وصفه البيان ـ أراد أن يسلك طريق المغالطة ظنا منه ان المغالطة اسلوب من أساليب العلوم الحديثة • لذلك اضطررنا الى أن نعيد على المسامع ما نريد من الاصلاح ، ولو أن قراء (الكفاح) ملوا التكرار :

(١) انا نريد تربية تحول دون اقتراف الطلاب الجرائم والجنايات وانواع الاعتداء على المدرسين فى معاهد التهذيب كما وقع قبل بضعة أيام فى المتوسطتين الشرقية والغربية وقبلهما فى ثانوية البصرة ، اضافة الى

الجنايات السابقة حتى أصبح الاساتذة يرددون الانفاس بين الخوف والرجاء ، وبمثل هذا الوضع يستحيل تأمين الطمأنينة والاستقرار في ساحة التعليم ، وتحقيق الفائدة على الوجه المطلوب .

(٢) انا نريد تربية يقوم بمهمتها من المربين من يغار على كرامة المعلمين وحيثية المتعلمين .. ولا تتحقق هذه الغيرة الا اذا كان المربى غيورا على كرامته غير معرض نفسه للاهانات فيكون مثالا للآخرين .

(٣) انا نريد تربية مستمدة من أسس تحول دون معاقرة الطلاب الخمور ، وارتياد المواقع المشبوهة ، ومطاردة الفتيات ، وازعاج المارين وسكان البيوت بلعب الكرة في الطرقات .

(٤) انا نريد تصفية المعلمين الذين لا علم لهم بأصول التربية والتدريس والذين لم تثبت كفاءتهم في الاختبار وهم كثيرون .

(٥) انا نريد ان تكون كتب الدراسة ملايمة للصفوف ، متناسبة مع قابلية الطلاب ، مهيأة عند افتتاح المدارس ، وان يكون المعلمون مهيئين في بداية السنة الدراسية ، ، وان لا تتغير الكتب ولا ينقل المعلمون من محل الى آخر في أواسط السنة الدراسية لاسباب واهية ، لان في ذلك ضياعا للوقت واخلالا في سير التعليم ، ونريد حذف باب النجاسات والمسائل المغلقة من دراسة الصف الثالث الابتدائي ، وكتابا للفقه خاصا بالبنات .. وان لا تحتكر كتب الدراسة ، ولا يحتكر اللباس ليهون اقتناؤهما على الفقراء من التلاميذ .

(٦) انا نريد انهاء التصرفات الكيفية في البعوث ومراعاة الشروط اللازمة للتخصص وان لا يعين المتخصص في عمل خارج عن دائرة اختصاصه تحقيقا للفائدة المتوخاة من بذل المال وجهود الموفدين .

(٧) انا نريد تطبيق النظام في الامتحانات السنوية على حد سواء

بدون رعاية أو اجحاف درءاً للنزاع ووقوع الحادثات الاليمة ، ولكى تتعين الدرجات بين التلاميذ على أساس صحيح .

(٨) انا نريد توزيع العدالة بين الموظفين والمدرسين فى ترفيع الدرجات واعطاء كل ذى حق حقه ليسود الصفاء ويؤدى كل منهم واجبه بجد ونشاط .

(٩) انا نريد ان ينفق المال فى محله بالنظر الى الحاجة لا بحسب الأهواء والشهوات ، واذا ما حتمت الضرورة صرف الدرهم والدينار على أمر حيوى احتجوا بقلة المال كما بيناه سابقا .

(١٠) انا نريد من تشكيلات المعارف أن توجه الاعمال الى أهلها بدون مراعاة للاعتبارات الشاذة اذ ليس الغرض منها ايجاد وسائل للمعيشة والارتزاق أو مسايرة النزعات .

(١١) انا نريد اعادة النظر فى الاضبارات وتنقية العناصر المشبوهة غير الصالحة للعمل .

(١٢) انا نريد ان لا تقام المدارس فى الصرايف والمستنقعات والاصطبلات ، فذلك من الخزى والعار على بلاد تتزعم الاقطار العربية وتطمح الى تأسيس امبراطورية مترامية الاطراف .

(١٣) انا لا نريد أن تبث الدعاية التبشيرية بين البنين والبنات فى مدارس المعارف وان لا يستخف بدين الاسلام .

(١٤) انا نريد أن لا يكون رجال التربية قدوة للناشئة فى الاساليب المنافية لآداب المثقفين كالبيان المذاع فى احدى الصحف المحلية بتاريخ ٢٥ كانون الثانى ١٩٣٩ .

(١٥) انا نريد تطبيق المسؤوليات على الذين يقصرون بواجبهم ، والذين يعرضون أنفسهم لما لا يليق بشأن المسلك الشريف الذى يجب

ان يكون المنتمون اليه قدوة حسنة للناشئة فى مظاهرهم واخلاقهم ولاسيما فى احترام النفس وصيانتها من كل شائبة وشائنة .

(١٦) انا نريد أن لا يوفد الطلاب الى كليات التبشير لما فيها من أخطار نوهنا عنها مرارا فأبوا الا النزول عند رغبة الاجنبى ، ونريد ان لا يكون الايفاد الا للتخصص فيما نحن بحاجة اليه من العلوم والفنون والصنايع .

(١٧) انا نريد أن لا تكم الافواه عن طريق التهديد بالاساليب المستهجنة بل بالحجج الدامغة .. اذ ليست هذه المؤسسة مستملكة لبضعة أشخاص ، وانما هى مؤسسة عامة لكل عراقى من دافعى الضريبة فيها حصة مشاعة تسوغ له حق النقد والاعتراض . والحكومة مسؤولة كما ان الشعب مسؤول عما يحدث فيها من خلل وأغلاط .

هذا ما أردنا وما نريده من الاصلاحات ، فهل فى هذه المقترحات (ما يرجع بالناشئة الى الاساليب الرثة البالية ويخرج تماثيل جوفاء من مصلحة الآثار يناشدونها طلل الماضين) كما جاء فى البيان من باب المغالطة والتمويه ..؟!

وما هى العلوم الحديثة التى حصلوا عليها والتى تؤيدها الشهادات بالدكتورا فى معاهد الغرب المعترف بها ..؟

وليس فى العالم علم يبيح المساوىء والمنكرات واقتراف الجرائم والجنايات .. ولكن هى الظروف التى تخلق من المبتدئين رجالا يعبثون بمقدراتنا ويستبدون فى عناصر حياتنا ولا كاستبداد المستعمرين .. ومما ألهمته العلوم الحديثة من الآداب المؤيدة بالدكتوراه الفقرة التالية من البيان .

(وقد لا يؤاخذ الكاتب على مثل هذا التحدى ان عرف الناس ان تحديه هذا جاء فى موسمه وذلك بما تسرب الى بعض الاسماع من اشاعة نقل مدير المعارف العام الحالى الى منصب آخر فأراد الكاتب أن يقدم ما فى كنانته من تزاويق بيانية من باب الدعاوة لنفسه عسى ان يحظى بمنصب عال) .

هذه هى أساليب التربية الحديثة التى تمارسها الناشئة .. سخافة ورعونة .. وليعلم كاتب البيان ان صاحب المنصب المشار اليه أجل من ان تستهويه الحيل والدسائس .. وانه خير من يشغل هذا المقام ، لما له من الخبرة التامة والعلم الواسع ، والاخلاق الفاضلة ، وهو ابن بجدتها ..

ولكن الوضع فى هذه المؤسسة من شأنه أن يقيد رجال العمل ، ومن سوء الحظ ان يطوح المرء بنفسه فى هذا المأزق . وإنا لو كنا من طلاب الوظائف لما عز علينا ذلك، ولكن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .. فليتأدب .

وان المقال لم يلتزم نشره على أثر الشائعة التى خلقت وأذيعت خلافا للقواعد الرسمية ، وانما هى سلسلة مقالات باشرنا نشرها فى (الكفاح) و (الناشئة الاسلامية)[٢] على عهد الوزارة السابقة منذ ٤ آب ١٩٣٨ .

والمرض المزمن ليس فى هذه الناحية ، وانما هو فى جهة منيعة لا تصل اليها أيدى المصلحين .. واكثر الوزارات التى تولت مقاعد الحكم حاولت اصلاح الوضع فى تلك الجهة فباءت بالفشل (وما كل ما يعلم يقال) .

وانا اذا ما كتبنا فانما نكتب للتأريخ ، لانا نعلم ان سيرة الوضع فى هذه المؤسسة لا يلائمها الاصلاح كما هو ظاهر من أسلوب البيان .

والمقال المبحوث عنه ليس فيه تزاويق بيانية كما يزعم صاحب البيان، بل مواد معينة مثبتة بوثائق رسمية ننشرها عند الحاجة .

ولم تنفرد صحيفة (الكفاح) بالبحث عن مشكلة المعارف ، بل اكثر الصحف المحلية جعلته فى مقدمة المواضيع ، فقد جاء فى صحيفة (الاستقلال)[٣] بتاريخ ١٧ كانون الثانى ١٩٣٩ ما يلى :

(أما المعارف فليس هناك وزارة أكثر حاجة منها الى قلب وتجديد ،

---

(٢) مجلة دينية اصدرها ببغداد المرحوم عبدالباقى العانى .

(٣) جريدة سياسية صدرت ببغداد بتاريخ ١٤ المحرم ١٣٣٩ / ٢٨ أيلول ١٩٢٠ لصاحبها المرحوم عبدالغفور البدرى .

فهى منذ زمن بعيد موضع الانتقادات العنيفة والحملات الشديدة وهى تسير بخطوات سريعة نحو التأخر) .

ونشرت صحيفة (الاتحاد)[٤] مقالين فى عددين متتابعين بتاريخ ٧و٨ شباط ١٩٣٩ حملت فيهما على الطريقة السقيمة لاعداد المعلمين للمدارس الثانوية وعواقبها الخطيرة ، وتناولت الوضع المترجرج فى دار المعلمين العالية وبعد الايضاحات الوافية شبهته بريشة فى مهب الريح .. ونقلت صحيفة (اليوم) فصلا عن معارف تركيا ما خلاصته :

(ان وزير المعارف جمع رجال العلم والصحافة وطلب اليهم ان يعرضوا عليه ما يرون فيه الخير والصلاح ليستعين بآرائهم على ترقية الثقافة ، وقارنت بين ذلك التواضع وبين الانانية المستحوذة على بعض النفوس فى مؤسسة المعارف عندنا) .

مما يدل على أن هناك قوما لا غاية لهم سوى السعى وراء التقدم والارتقاء ، ونحن اناس نحب الظهور الكاذب والفخفخة الجوفاء .. وبعد فانا نرى من الضرورى ان يستقدم من مصر اختصاصى يقوم بأعمال مديرية التربية والتدريس العامة على ان يمنح صلاحية واسعة ويصان شخصه ومركزه من كل حركة من شأنها ان تؤدى الى الانفعال والانزعاج كما سبق ان ازعجوا كثيرا من مشاهير الاختصاصيين المصريين وحرموا المعارف من خبرتهم وقابلياتهم الممتازة .

ذلك لان الوضع الحاضر ادى الى الفتك بالناشئة فتكا ذريعا ، والمفروض على الاباء ان يفكروا فى مصير ابنائهم ويطالبوا بالاصلاح ، والا فهم مسؤولون فى الدنيا والآخرة ، والمطالبة بالاصلاح نصيبها الهجمات

---

(٤) مجلة اسبوعية أصدرها ببغداد جمال الدين الجميل برز عددها الاول فى ١٧ كانون الاول ١٩٣٣ .

العامية والاعتداء على الكرامات ، والسنون الطوال الماضية كافية للتجربة وزيادة .

واذا لم يستدركوا الامر بالاصلاحات الجدية فسوف تنبئهم الايام بان ما ابقته الظروف لنا من حياة هذه المؤسسة التى ابتعلت اموالا لا حساب لها وزمنا لا يقل عن عشرين عاما هو عبارة عن نسخة من شهادة الدكتوراه ، ومجموعة من نظريات التربية والتعليم فى امريكا وانكلتره والمانيا وفرانسه ومن وراء ذلك ثقافة مشبوهة ، واخلاق متفسخة ، وسخرية من الجهة المعلومة .

عراقي *

(*) الكفاح ـ العدد ٢٩١ السنة العاشرة ٢٣ شباط ١٩٣٩ .

العراق بين الموت والحياة الحرة(*)

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين »

بعد عشرين عاما ... لما كان نصيب الانكليز فى هذه الحرب الطاحنة التى أوقدوا نارها الانهزامات الشنيعة المتوالية من كل مملكة خدعوا ساستها بالوعود الخلابة وزجوها فى الجحيم ثم ولّوا عنها مدبرين ، كبولونيا ، وفنلندة ، والنروج ، وهولندا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، ويوغسلافيا ، واليونان ... ولما كان الفشل السياسى المريع حليفهم فى كل من روسية واليابان وجيكوسلوفاكية واستونيا وليتوانيا ولاتلفيا وتركية وبلغاريا ورومانيا واسبانيا والبرتغال والسويد وسويسرة وايرلندة وايران والافغان ومصر والمملكة العربية السعودية والعراق ، وكادت الجزر البريطانية تصبح هشيماً تذروه الرياح بنيران الصواعق الالمانية ، وتوالت الاضرابات من قبل عشرات الالوف من العمال فى مصانع أمريكا احتجاجا على المساعدات الى بريطانيا المؤدية الى دخول الولايات المتحدة الحرب ، وضاق الحصار على الجزر البريطانية ولم يعد فى الامكان أن تعيش أكثر من ثلاثة أشهر على أعظم تقدير وأوشك أن يكون الاستيلاء على جبل طارق وقناة السويس قاب قوسين أو أدنى ، وتحطمت معنوية الشعب البريطانى بسبب القصف الجوي المستمر والتدمير الواسع والأمراض المنتشرة وقلة الغذاء والحرائق الجهنمية وترديد الأنفاس فى أعماق الأرض والنيران والانهزامات السريعة والفشل السياسى الذى أدى الى طردهم من القارة الاوربية وأقيمت المظاهرات لانهاء الحرب واسقاط تشرشل وزملائه الذين يريدونها لمنافع شخصية يتعهد بها ذهب اليهودية العالمية .

أقول لما نزلت هذه النوازل بالامبراطورية البريطانية المؤسسة على جثث أبناء المستعمرات وعلى بحار من الدم وتداعت أركانها وأصبحت على

(*) الخطبة الوطنية التى القاها من دار الاذاعة العراقية عند قيام حركات مايس ١٩٤١ .

شفا جرف هار أخذ منهم الطيش مأخذه ودفعهم الفلج السياسى الى مزاولة أمر أوهى من بيت العنكبوت وهو ان يهشموا العراق الفتي حليفهم كما يطعن فاقد الرشد أخاه وهو لا يدرى ، فأخذوا يحاولون بدافع الامراض العقلية أن يسدلوا ستاراً شفافاً أرق من النسيم على الخسائر الهائلة في الاموال والارواح والاساطيل والموانى والمؤسسات من صوامع وبيع ومتاحف وجامعات وقصور شاهقة وحظائر الطائرات ومخازن الوقود والسلاح ودار البرلمان المعدودة من ناطحات السحاب ويستروا المجاعة والفقر المدقع والثورة الداخلية والأمراض الفتاكة والأجل المحتوم ويموهوا على الرأى العام البريطانى بأن الظفر سيكون فى جانبهم وأنهم سيعوضون عن جميع ما خسروه فى السياسة وفى ميادين القتال بالانتصار الموهوم على العراق • والعراق لا تزيد نفوسه على أربعة ملايين وقد تعمدوا الاسراف فى أمواله كما تعمدوا افقار الأهلين بشتى الوسائل وتركوه صفر اليدين • ولهذه الغاية أرسلوا رجلاً يقال له (كورن واليس) ليكون ممثلاً سياسياً لبريطانيا فى العراق وهو الذى كان مستشاراً للداخلية فى الدولة العراقية أربعة عشر عاما قضاها بالفتن الدموية والمكر والخداع ولما انتهت أيامه فى عهد الوزارة الهاشمية التى كان فيها فخامة رشيد عالي وزيراً للداخلية صار يحمل الغيظ والحقد ويضمر الثأر والانتقام لعدم تجديد التعاقد •

ومن المفاسد التى حاكها فى خلال المدة المذكورة إيقاظ الفتن والثورات المسلحة والحركات الدامية فى أكثر جهات العراق وتسليح الهمج الرعاع واغراؤهم بالمال وبأنواع المواعيد المعسولة الكاذبة وبث التفرقة بين صفوف الشعب وتحبير سلسلة المعاهدات الجائرة واتفاقيةالنفط القاسية والعملة العراقية وأخراج الذهب الى لندن والغاء أمتياز الترامواى الكهربائي وصفقة أطلال الهنيدي وغيره وانقاض السكك الحديدية وميناء البصرة على أن يتصرفوا فيهما على حسابنا ، وحصون الحبانية والشعيبة

وحفر الفاو والضمانات المضمرة الى عصبة الأمم وشراء الأسلحة والمدافع الفاسدة والخيل الهزيلة والطائرات والمعدات الحربية التى لا تصلح للعمل وليست سوى مواد بالية ، وأفسد أمور الدولة ووسع نطاق التجسس ومزق الأخلاق وسلط أنذالاً من سقط المتاع لا فى العير ولا فى النفير على المناصب والمقامات الرفيعة جاعلاً منهم أداة لسياسة الاستعمار فتحكموا في الرقاب وعبثوا في مقدرات الشعب وعاثوا في الارض فسادا وجمعوا مالا وشادوا قصورا ولم يكن لهم من ذى قبل كوخ ولا صريفة فى هذه الديار ، ومشوا على الارض مرحا ، ولا يعبأون بحلال أو حرام ، فما من منكر الا فعلوه ، ولا ذنب الا اقترفوه ، وكلف العراق خسائر جسيمة فى الاموال والارواح وكال لنا الكيد جزافاً وهو يتمتع بأحترامنا وبخيرات البلاد وبراتب يزيد على الخمسة آلاف ربية فى الشهر يمتصها من دم العامل والفلاح .... وفى هذه المرة ما سلم حتى أخذ يدس السم فى الدسم ، وأول دسيسة نسجها على منوال أساليبه المنشور الذى وخز فيه أعظم شخص مع أربعة من الأحرار بأنهم أخذوا ذهباً من المحور ، وعرضوا استقلال البلاد الى الخطر ، فاحتقر العرب ، وأهان شرفهم المصون ، وأراد بهذه المغالطة أن يستر الشبهة التى تحوم حول الاشخاص الاربعة الذين تناولوا الذهب حقاً ولاذوا بالفرار على أجنحة الطائرات الانكليزية وألقوا عصاهم فى أرض الخونة والمارقين أعداء العرب والمسلمين ، وألفوا عصابة على غرار العصابات المنهزمة من بلاد أوربا المحتلة فصاروا يكيدون لبلادهم ويدبرون المفاسد مع العدو الخائن ويضللون الجهلة الغافلين كما فعل ديغول الافرنسي المشرد فأنزلت به فرنسة الضربة القاضية فى حادثة داكار ، وصادرت أمواله وأملاكه جزاء خيانته وكما فعلت تلكم العصابات برعاية الانكليز وخديعتهم واستحالت أمانيها الى اضغاث أحلام . ولو كان اولئك الشاردون الاربعة أبرياء لما ارتكبوا عار الهزيمة بذلك الشكل الفظيع وما مسهم من سوء .

حل (كورن واليس) أرض العراق والناس فى ريبة منه لعلمهم بسوابق أعماله المنكرة وكانوا على يقين من انه لم يرسل الا لايقاد نار الفتن والدسائس بين طبقات الشعب الآمن ، ولم يقدم أوراق اعتماده معللاً ذلك بأعذار واهية فازداد الشك والارتياب • وكانت غايته من المطل الاستفادة من الوقت ، ثم عرض على الحكومة السماح بمرور قطعة من الجيش البريطانى عبر العراق على ان تغادره الى الخارج فى الحال مع البشاشة واظهار علائم المسالمة والمصافاة • وبعد ان وطأت اقدامهم ارض البصرة قلبوا لنا ظهر المجن ، وأصروا على البقاء مستهدفين الاحتلال ورفع لواء الاستعمار ثانية ومحاربة العراق لأغراض نفسانية لا ظل للسياسة والمعاهدة فيها كما اذاع فى المنشور وهذا ما وقع • فعود على بدء ، وذهبت تضحياتنا سدى وكأننا لم نقدم أرواحنا ثمنا للحرية والاستقلال وكأننا لم نبخس حظنا فى تلكم الصفقات الجائرة التى احتملنا عسفها حفظاً للصداقة والمودة •

عشرون عاماً والعراق يعاني شدائد الحيل الانكليزية ويقاسي آلامها وما بدأ عام الا بنكبة إثر نكبة ، وما انتهى عام الا بنائبة اثر نائبة • ونحن دائبون على التفادى فى حقوقنا السياسية والاقتصادية واستقدام مئات الجهلة منهم لاكبر المناصب الفنية والسياسية والادارية والاقتصادية والثقافية والقضائية والصحية والعسكرية برواتب لا تحتملها الخزينة ، ونبذل ما في وسعنا من المجاملة والموالاة ودأبهم الخيانة والافساد أينما حلوا • ولم يرعوا إلاً ولا ذمةً لأنهم ما فتؤا يضمرون العداء لنا بمقتضى غريزتهم المطبوعة على الدس ومقابلة الحسنة بالسيئة ويتأهبون للأمر وما أنشأوا حصن الحبانية والشعيبة الا لهذا الغرض • وان الذين تولوا الحكم من أذنابهم الخائنين صموا آذانهم عن سماع الحق والتنبه للخطر من هذه الحصون لقاء منافع خسيسة من حطام الدنيا والجاه الزائف الذى لا يساوى خردلة لأنه منحة انكليزية تمنح للأراذل تشجيعا لهم على الخيانة والدناءة والتضليل والتمويه والافك والبهتان • واى خيانة أعظم من فسخ المقاولة

الرسمية حول تقوية الجيش بالسلاح ليبقى عاجزاً عن الدفاع فى مثل هذا اليوم الخطير • واى خيانة اعظم من الاطراء على نبل الانكليز وشرفهم ، وجناياتهم الفظيعة فى فلسطين والهند والعراق تستغيث منها السماوات والأرض •

وأي دناءة أعظم من التزلف الى قوم لا وفاء ولا أمان ولا عهد ولا ضمير ولا عاطفة ولا كلمة صادقة لهم ولعنوا بما قالوا (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله)[1] •

وقد صرح تشرشل بأنه كان ينوي ارسال قوة الى العراق منذ العام الماضي ولم يتمكن الا فى هذه الأيام وسيعزز الحملة بأمثالها من الجنود • وأما من جانبنا فلم نأل جهداً في مسايرتهم والرجوع اليهم فى الصغيرة والكبيرة ولم تؤلف وزارة ولم ينتخب أو يحل مجلس نيابي ولم يشرع قانون ولم تعقد اتفاقية مع دولة اجنبية الا باستشارتهم وطبقاً لرغباتهم ، ولما عرضوا على الوزارة الكيلانية السابقة مطالب لم توافق عليها صرح السفير البريطانى السابق على لسان حكومته فى ٢٨ تشرين الثانى ١٩٤٠ بأن الحكومة العراقية عليها أن تختار أحد الشقين اما الاحتفاظ بشخص رشيد عالي أو بحسن صلاتها مع بريطانيا • وبالرغم من بيانات المشار اليه لدى كل فرصة بأن سياسته الخارجية سائرة على تطبيق المعاهدة نصاً وروحاً وتأييد أواصر المودة والموالاة لبريطانيا العظمى فلم يجد نفعا فقدم استقالته دفعا للنزاع • ولما أعاد تأليفها بعد شهرين خلافا لمرضاتهم جردوا السلاح لاسقاطها بالقوة والحيل والدسائس كما جاء فى منشور (كورن واليس) فأين الاستقلال وأين الدولة واين سيادة المملكة ، ذلك لأنهم لا يزالون يعتبرون العراق جزءاً من حلقة الامبراطورية والعراقيين مما ملكت أيمانهم أي عبيداً أرفاء وفوق ذلك يدعون بالدمقراطية والدفاع عن السلم العالمى والعطف على

(١) البقرة : ٦١ •

الانسانية أحابيل يضللون بها الشعوب ويزجونها فى السعيرويفرون فرارهم من الأسد .

وبعد عشرين عاماً من صلاتنا الودية ، وبعد المعاهدة التى حددت مناسباتنا معهم أغارت حامية الحبانية على الجيش العراقى الذى كان قائما بحراستها على حين غرة وبدون سبب مبرر وبدون سابق انذار محتقرة هذا الشعب الأبى وجيشه الباسل وقد ضربت بصداقتنا وتضحياتنا عرض الحائط .

فالتهب العراق حماسة وبطولة واتقد غيرة وشهامة بشبابه وكهوله وشيوخه ونسائه وبدوه وحضره على اختلاف العناصر والطوائف والطبقات حتى الطفل الصغير ، وارتجت الأقطار العربية وهاج العالم الاسلامى وضج الشرق والغرب وتقاطر الشباب للتطوع من كل حدب وصوب ، وأيدت الصحف الاجنبية والساسة الاجانب جهاد العراق المقدس لتحريره وتحرير العرب وأكبروا شجاعة جيشه وبسالته وكفاحه العنيف فى سبيل الحق ، ومما لا ريب فيه ان الاعتداء الشائن البريطانى سيمنى بالخيبة والفشل كغيره من الاعتداءات ، وان العراق سيخرج من هذه المعمعة الدامية رافعا لواء الظفر والنصر المبين لان الحق يعلو ولا يعلى عليه . وليعلم الانكليز ان العراق ليس باللقمة السائغة التى يسهل ابتلاعها بجرعة ماء . فان فى العراق خزائن لا تقوَّم وانهارا من عسجد ولجين تجرى على بقاع من الاكسير ، وان فى العراق امة حية اذا ما ديست حقوقها وكراماتها بالاقدام فانها تركب الاخطار وتدفع الشر بالشر وتسترخص الارواح ، وتصبغ اديم الارض بالدماء وتجعل نصب عينها الموت او الكرامة ولا يعز عليها مال ولا ولد والله العزيز القهار يأخذ بأيديها ويرد كيد الظالمين فى نحورهم ، وقد وقع عليها الاعتداء البريطانى عن طريق الغدر والغش والخيانة بالرغم من امانتنا واخلاصنا (ومكروا ومكر الله والله خير

الماكرين)[٢] ، والامة العربية المطبوعة على الشمم والاباء لم تخضع لظلامة ولم تطأطىء رأسها لجبار عنيد ولها من تاريخها ما يوحى اليها قوة وعظمة وعزما يفل الحديد .

وابناء العراق تشهد لهم مواقف النضال بانهم لا يبيتون على ضيم ولا يصبرون على مضض ولا تلين لهم قناة ولا يشق لهم غبار ما دام في عروقهم دم ينبض بالشهامة والغيرة وعزة النفس وشرف الذات .

فيا ايها الشباب المتحفز الى المجد الباذخ ويا اشبال الغزاة الفاتحين ويا اباة الضيم ان العدو يجوس خلال الديار ويطأ بأقدامه القذرة تربة آبائكم الطاهرة وان أرواح اجدادكم العظام تحف بكم حاملة صحائف تأريخكم المجيد ترتل آيات الماضى المحفوف بالسؤدد والشرف الرفيع ، وان اجنحة الملائكة المقربين ترفرف فوق رؤوسكم صارخة (وبشر المؤمنين)[٣] يامحمد .. وان روحانية رسول الله تشهد من اعلى عليين مشاهد جهادكم المقدس وما يفرضه عليكم الواجب الدينى امام الله والوطن والذمة والتأريخ ، وان نصراء الحق فى مشارق الارض ومغاربها يصرخون بصرختكم صرخة الحق المذبوح صرخة دوت فى انحاء الدنيا فردت صداها البشرية بكاملها .

فذبوا عن اوطانكم واعراضكم ومقدساتكم فان الله والامة والعالم والحق والاسلام معكم ، ويا ايها العرب الكرام ان العراق حجر الزاوية فى صرح استقلالكم وعار عليكم ان يمس استقلاله بسوء ويعتدى على مقدساته ومعابده ومدارسه ومستشفياته ومساكن الفقراء والمدن المكشوفة وسوابل المستطرقين والنساء والاطفال والأئمة الصالحين وانتم احياء ترزقون .

---

(٢) آل عمران : ٥٤ .

(٣) البقرة : ٢٢٣ .

ايها العرب الامجاد ان العراق فى هذه الساعة الرهيبة يخوض غمار معمعة حاسمة اما الموت او الحياة الحرة فجردوا سيوفكم وشدوا الوثاق تحت لواء الحق المغصوب والحرية المهانة والاستقلال المهضوم واججوا نارا حامية تصلون بها طغيان الغطرسة والكبرياء والجبروت بعزم قهار وارادة جبارة وايمان كامل واتكال على الله احكم الحاكمين (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)[٤] .

فهمي المدرس *

---

(٤) آل عمران : ١٣٩ .

(*) جريدة البلاد العدد ١٧٠٧ السنة الثانية عشرة الجمعة ١٦ أيار ١٩٤١ .

المدنية ودين الاسلام

كان الاستاذ الكبير المرحوم محمد فهمي المدرس فى طليعة الكتاب الاسلاميين الذين يتحفون هذه الصحيفة بثمار قرائحهم وأقلامهم ، وكان هذا المقال الاسلامى البليغ آخر ما قدمه للنشر قبيل انتقاله رحمه الله الى جوار ربه ، وقد تأخر نشره لاحتجاب الصحيفة بسبب ظروف قاهرة ، ولعلنا بهذا النشر نحتفظ بكنز ثمين من أدب الأستاذ الراحل .

« الكفاح »

شاءت العدالة الآلهية ان تستحيل المدنية فى الغرب الى جحيم تستعر نيرانها فتلتهم الرجال والنساء والاطفال والعجائز والشيوخ والعليل والمحتضر والنبات والشجر السابح لجج البحار وبهيمة الانعام وذات الجناح ، ولم تبق ولم تذر ، جراء التهكم والاستهتار بالامم الضعيفة .

غلبت عليهم شقوتهم واستحوذ عليهم العجب والغرور ، فسولت لهم انفسهم الدمار وازهاق الارواح طمعا بالتوسع والاستعمار ، فأججوا نارا حامية تمطر عليهم الصواعق فى البر والبحر واعماق الارض ، فتحطم ما شيدته القرون من صوامع ومتاحف وجامعات وصروح ممردة ومعاهد ومؤسسات ومصانع ومستشفيات وتنسف ما خلدته الايام الخالية من خزائن الملوك وتراث الاسلاف وتذهب بأموال يعز تلافها ولو بعد حين .

شاخصة ابصارهم نحو السماء لا تغمض لهم عين ولا يطمئن لهم مقام (يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت)[1] والموت محدق بهم اينما حلوا وحيثما ولوا وجوههم ولو زجوا بأنفسهم في غيابة الجب او حلقوا بها الى عنان السماء . تصب عليهم النيران فترتج بهم الارض

---

(١) البقرة : ١٩ .

فيهبون من مضاجعهم بين الفزع والعويل والاشلاء والجماجم والاجساد المشوهة والاطلال والبرد القارس ونار السعير .

وما مر يوم آمن الا تلته ايام تذكرهم بأهوال الساعة ويوم النشور (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)[٢] . يخربون بيوتهم ولا ينثنون ولا يرعوون والبؤس والشقاء بلغا اقصى حدودهما والجوع ضارب اطنابه على طول البلاد وعرضها والرعب جاثم في الربوع والهلع باسط ذراعيه بالوصيط وما برحوا يعللون النفس بالنصر المبين وما النصر الا (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءآ)[٣] .

وقد كانوا يرفلون فى حلل السعادة والنعيم آمنين مطمئنين يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان فكفروا بأنعم الله فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

هذه صفحة من صفحات المدنية التى لم يكن لها رادع دينى وهداية ربانية فانها تضلل العقول وتفقدها ملكة التمييز فلا يلوون على احد و (لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)[٤] .

فتسحب وراءها الملايين من البائسين والملايين من الارامل والايتام والجثث الهامدة والخرائب والقبور والضغائن المنتقلة الى الارحام جيلا بعد جيل .

فحملت هذه الويلات علماء الاجتماع منذ الحرب الماضية على التنقيب عن مخرج لهذه الهوة السحيقة وجعل العلم خادما للانسان لا هادما له ولما قدمت يداه من عظيم الآثار لدى كل معمعة دامية ومحن الانانية التى لا تحمل غير الاستعباد وجر المغنم والاحتكار .

---

(٢) الحج : ٢ .
(٣) النور : ٣٩ .
(٤) البقرة : ٢٧٥ .

ومما جاء في بياناتهم ان المدارك الاوربية كما انها قدمت اعمالا صالحة في مضمار الحضارة في العلوم الطبيعية والمعالجات الطبية فكان لها الفضل الكبير على حياة الانسان كان من نتائجها ما هو وبال على الانسانية كالفجايع والنكبات في ميادين القتال المؤدية الى تفضيل البداوة على هذه المدينة التي تستأصل جذور البشرية وتهدم اليوم ما بنته بالامس وتهلك الحرث والنسل وتذهب بجميع فضائلها .

ويعزى هذا الخطر المبيد الى ابتعاد المثقفين عن الدين في اوربا وامريكا في الظاهر والباطن او في الباطن فقط . ويرجع هذا الابتعاد الى النزاع الذي كان قائما بين العلم والدين الى عهد قريب ، فما نطق عالم بحقيقة علمية يجهلها رجال الكنيسة الا حكم عليه مجلس الاعيان الروحاني في (روما) بأشد العقوبات كما حكم بالاعدام على (غاليلو)[٥] القائل بحركة الارض ، والحكومة التي كانت تحت سيطرة الكنيسة مالها سوى التنفيذ ، حتى سالت دماء القسيسين والرهبان ، وانتزعت السلطة الزمنية ، وتجرد المتعلمون من الشعور الديني ، فالوسيلة الوحيدة للخلاص من هذه الويلات هي الرجوع الى الشعائر الدينية والايمان بالله .

أما في الديانة الاسلامية فان العلم والدين احدهما متمم للآخر ، وان الحكومات الاسلامية في جميع ادوارها كانت حامية للعلم وكان العلماء احرارا في ابداء الرأي حول القضايا الفلسفية والطبيعية والفلكية ، لانها مما جاء في القرآن ، ولهذا الغرض شيدت الجامعاب في بغداد وقرطبة والقاهرة وغيرها ، وعُربت الفلسفة اليونانية والمنطق والحكمة عملا بمفهوم الآية (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)[٦] .

---

(٥) غاليلو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) ولد في بيزا من أعمال ايطاليا . ويعتبر أول من اكتشف قوانين الحركة ، وضع اول تلسكوب فلكي رصد به توابع المشترى الاربعة واوجه الزهرة ، كما رصد بقع الشمس وسطح القمر . واخترع المكرسكوب ، لقب بحق أبا العلم الحديث .

(٦) البقرة : ٢٦٩ .

والقرآن نبه الى أدق العلوم التي تتوقف عليها معرفة الخالق والمخلوق، واسرار الطبيعة ، ونطق بحقايق علمية لم تكن معروفة فى ذلك العهد ، ليقال ان محمد بن عبدالله (ص) اقتبسها من الاوساط . كحركة الارض وان الارض فى شكل قطع ناقص ، وان الارض والسماء كانتا شعلة من غاز ، ثم جرما واحدا ثم انفصلت احداهما عن الاخرى ، وان الاجرام السماوية سابحة فى الفضاء ، وانفى الكواكب اثرامن الحياة ، وحقيقةالليل والنهار ، والنظام الشمسى ، وطبيعة الاشياء ، وسنة الكون ، وحكمة التكوين ، والانقلابات الكونية ، وفلسفة الحياة ، وادوار التطور فى خلقة الانسان ، وما جاءفى آية (الله نور السمٰوات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ..)[٧] .

والقوة الكهربائية انما انكشفت ماهيتها للعلم قبل عشرات السنين ، فتمثيلها بهذا المثل الاعلى ان هو الا بوحًى الهى .. وفى الآية حقائق ربما يكشفها العلم اذا بلغ اشده (ولتعلمن نبأه بعد حين)[٨] ، هذا كله وان حامل القرآن امي يحيط به وسط تسوده الأمية (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)[٩] . وكيف يعقل ان رجلا غير متعلم يعلم الأميين أرقى العلوم ان لم يكن هناك وحي من الله واعجاز وشريعة توحد بين العلم والدين ، وتأتي بالخوارق والمعجزات جديرة بأن تقوم مدنيتها على أسس تلائم روح العصر ومن شأنها ان تدعو الى السلام وتؤلف بين الشعوب وتقيم دعائم الاصلاح لولا الاختلافات المذهبية ، ولولا التخاذل المنبث من مكايد الاجنبى .

---

(٧) النور : ٣٥ .

(٨) ص : ٨٨ .

(٩) الجمعة : ٢

والمدنية الاسلامية قائمة على قواعد العدل والمساواة ، والتعاون المشترك والتوازن بين الاغنياء والفقراء ، ورعاية حقوق الاقليات من اهل الكتاب ، والسعي والعمل ، وتوسيد الامور الى اهلها ، وانصاف الضعيف ، وحقن الدماء ، وطلب العلم ، والايثار ، واجتناب المنكرات ، ونظام العائلة ، والميراث ، والمداينة ، والمعاملات بين الافراد والجماعات ، واصلاح اليتيم ، وحرية التفكير ، وقوة العزم والارادة ، ونكران الذات ، وتهذيب النفس ، ونبذ الشقاق ، وتكوين الوحدة التي هي قوام الدولة وضمان سلامة المملكة ، والقصاص ، والعقوبات ، « (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[١٠] » الى غير ذلك مما نص عليه القرآن .

فالمدنية الاسلامية مبنية على ما جاء في الشريعة من نظم واحكام ، فهي اذاً مدنية الهية ، وهذه اول مدنية في تاريخ البشر وآخرها ، ولا تنتهي الا بانتهاء العالم ، ولذلك نودي بصاحب الرسالة (ص) خاتم النبيين .

واما عظمة القرآن فقد تجلى فيها من آيات الاعجاز ما اهاب بالمفسرين الى تدوين علوم يستعان بها على تحليل ذلك الاعجاز ، فجهزوا عالم الاسلام بتآليف ضاقت بها محافل العلم ولم ينتهوا من جهودهم المتواصلة منذ اربعة عشر قرنا ، لان عناصر ذلك الاعجاز لاتزال قاصرة عنها المدارك . فقد جمعت بين السياسة ، والانظمة ، والقوانين ، والتعاليم الدينية ، والحقايق العلمية والفلسفية ، وبين منتهى الايجاز ، والايجاز انطوى على السلاسة ورقة اللفظ ، ورصانة المعنى ، وروعة الاسلوب الذى لا يبارى ولا يعتريه القدم ، والابداع في التقطيع والانسجام ، والتماسك بين الحروف والكلمات ، بحيث ينجذب بعضها الى بعض انجذابا تلتزمه نغم الحروف والحركات ، المنزه عن التكلف والالتزام ، المنحدر انحدار الغيث المنهمر ، الجديد على

(١٠) المائدة : ٣٣ .

مرّ الدهور والاعصار ، ومن معجزاته انه ينفذ فى اعماق القلوب من خاصة وعامة على حد سواء .. يسحر الالباب ويسخر القلوب ، ويأخذ بالمشاعر ، ويرهف الاسماع فتنصاع الى الحكم بانه ليس من كلام المخلوق، وانما هو نفحة الوحي والالهام ، فلن يقبل المماثلة ، ولا المفاضلة ، او التحريف ، أو النقص ، أو الزيادة .

ولم يهبط القرآن على قوم من الهمج والرعاع كما يظن ، وانما هبط على اوساط تأصلت فيها الفصاحة والبلاغة ، وانبعث منها الادب الجاهلى الذى لم يكن للأمم من أمثلته ولم يبلغ شأوه شعراء العرب حتى الآن ، والادب الجاهلى كان شائعا بين الطبقات حتى صار لغة التفاهم .

والآداب هى المقياس الذى يوزن به مستوى الشعوب لا العقائد والأديان ، فالامم المبرزة فى السياسة والعلوم لاتزال تتمسك بعقائد يتخللها الشيء الكثير من الاساطير . فالقول بان العرب كانوا يتخبطون فى ظلام دامس من الوحشة والهمجية اعتداء على التاريخ .

يؤيد ذلك اسراع أبلغ البلغاء وأفصحهم الى الايمان به قبل كل أحد ، من الملوك والامراء والزعماء الذين لم يبلغوا المقام الا بطلاقة اللسان وسحر البيان بحسب التقاليد والعنعنات ، آمنوا به طوعا ويقينا لا كرها وجهلا كما يزعم المغرضون ..

وقد مرت قرون وتلتها قرون حتى انتهينا الى القرن الرابع عشر ، والاعجاز ذلك الاعجاز ، وكلما اتسعت المدارك ، وكلما تجدد الزمان أملى على المشرعين من نواميس التطور ما يلايم نفسية العصر وقابلية الجيل.

فالقرآن درة تتلألأ فوق تاج النبوة ، ودستور أزلي أبدى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[11].

فهمى المدرس*

---

(١١) فصلت : ٤٢ .

(*) مجلة الكفاح العدد الثانى السنة الاولى ٢٧ شوال ١٣٦٦ - ١٢ أيلول ١٩٤٧ .

أشـتات متفرقة

دار العلوم الدينية والعربية

هدفها الثقافي السامي

حـــديث

الاستاذ فهمي المدرس

مع مندوب جريدة « البـلاد »

قابل أحد مندوبي هذه الجريدة سعادة الاستاذ الكبير فهمي المدرس مدير دار العلوم الدينية والعربية ، وألقى عليه الاسئلة الآتية :

(١) هل الكلية في وضعها الحالي تستطيع ان تحقق الأهداف التـي أسست من أجلهـا ؟

(٢) ما هي أهم الاصلاحات التي تقومون بها في الوقت الحاضر ؟

(٣) ما هي خلاصة النظام الجديد ؟

(٤) ماذا ترون أن يدخل على منهاج التعليم ؟

فأجاب الاستاذ بما يلي :

مرّ على تأسيس (دار العلوم الدينية والعربية) خمسة وعشـرون عاماً تقلبت في خلالها بين مختلف الانظمة والمناهج والعناوين ولم تبلـغ الغاية المقصودة من تأسيسها حتى هبطت ميزانيتها من (٨٥) ألف ربية الى (٢٨١٣) دينارا ، وفي ذلك دلالة واضحة على انحطاطها في الزمن الأخير .

باشرنا العمل فأسدت الينا وزارة المعارف من المساعـدات ما حصلنا بها على نخبة من الاساتذة الاختصاصيين الذين جعلوا أهدافهم النهـوض بهذه المؤسسة الى المستوى المطلوب .

غير ان النظام والميزانية حالا دون التوسع في الاعمال ، فوضـع مجلس المدرسين لائحة نظام لاحظ فيه كلتا الثقافتين الدينية والادبيـة ، على أن ينقسم التعليم في دار العلوم الى قسمين : ثانوي وعالٍ ، وان تكون

مدة التدريس فى الاول ست سنوات ـ بعد التحصيل الابتدائى ـ وفى الثانى ثلاثاً ، وان ينقسم التعليم العالي الى شعبتين الشعبة الدينية والشعبة الادبية ، وان يتبع التعليم الثانوى منهاج القسم الادبى من ثانويات المعارف الا فى اللغة العربية وعلوم الدين وهى : الفقه ، التفسير ، الحديث ، العقائد ، تاريخ الاسلام ، استذكار القرآن الكريم ، ولذلك جعلت مدة التدريس فيه ست سنوات .

وان يدرس فى الشعبة العالية الدينية العلوم الآتية : تاريخ الفقه وأصوله ، تاريخ الحديث وأصوله ، تاريخ التفسير وأصوله ، تاريخ علم الكلام ، تاريخ التشريع ، تاريخ التمدن الاسلامى ، تاريخ الاديان ، علم الخلاف ، الفلسفة الاسلامية ، حكمة التشريع ، علم النفس ، علم الاجتماع ، علم ما وراء الطبيعة ، الاخلاق ، احكام الاوقاف وأصول ادارة الاوقاف ، الفرائض ، لغة أوربية .

ويدرس فى الشعبة العالية الأدبية : تاريخ الادب العربى ، تاريخ الادب الغربي ، المقارنة بين الألسنة السامية ، علوم اللغة ، التاريخ والجغرافية ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، التربية وعلم النفس ، علم الاجتماع ، الاخلاق ، تاريخ الفنون الجميلة ، لغة اوربية .

وان يفتح فرع للغات تدرس فيه التركية ، والفارسية ، والكردية ، والانكليزية ، والافرنسية ، والالمانية ، والألسنة السامية .

وان تؤسس مدرستان ثانويتان فى البصرة والموصل وفق احكام هذا النظام لتكونا مخرجاً لدار العلوم العالية .

وان ينال خريجو دار العلوم من الحقوق ما يناله خريجو المدارس العالية فى العراق ، ولهم حق الرجحان على غيرهم فى وظائف الاوقاف العلمية والادارية ، والوعظ والارشاد ، ووظائف المحاكم الشرعية ، وتدريس العلوم الدينية والعربية فى مدارس المعارف .

واضيفت مخصصات تأسيسية للمكتبة ، والمختبر ، ومتحف التاريخ الطبيعي ، وتنظيم المطعم والمنام ، وانشاء مرافق تسد الحاجة بالنظر الى التشكيلات العلمية المضافة .

وقد عني النظام بلغة القرآن الكريم ، وتعليم لغة أوربية تمكن الطالب من التوسع فى المعلومات وتساعد خريجي دار العلوم على فهم المباحث التى لها مساس بالدين الاسلامى .

ولا يسعني أن أبدى اكثر من ذلك قبل ان يقترن النظام بالتصديق أما عناية الاساتذة الأجلاء بتعويض الطلاب ما فاتهم فمما يقرب الى هذه المؤسسة بلوغ الغاية المقصودة ويحمل العارفين بالواجب العلمي على الشكر والاطراء .

ولسعادة الاستاذ الأجل السيد مظهر سعيد الخبير الفني فى وزارة المعارف ومدير دار المعلمين العالية فضل واسع على (دار العلوم) بالقاء المحاضرات القيمة فى علم النفس الحديث على استغراق وقته فى اعمال المنصبين .

والأمل معقود على ان تلاقي دار العلوم تأييداً من لدن فخامة رئيس الوزراء يأخذ بأيدى القائمين باصلاحها على الوجه الذى تتطلبه الثقافة العصرية من علماء الدين وتفتقر اليه البلاد .

(*) جريدة « البلاد » العدد ٧٩٢ الصادر فى ٧ شباط ١٩٣٧ ٢٤ ذى القعدة ١٣٥٥ .

مقدمة ديوان « الثمالة »

للشاعر جميل صدقي الزهاوي

لقد جادت قريحة الاستاذ الكبير شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء المرحوم جميل صدقى الزهاوى فى اواخر أيامه بقصائد رائعة تعبرعن آرائه الفلسفية وعن نظره النافذ فى الحياة وفى الطبيعة نظر الحكيم الخبير •

نشر القسم الأعظم منها فى مجلة «الرسالة» المصرية وهو حي يرزق•

وقد حتم الواجب الأدبى أن يجمع شتاتها وأن تقوم ارملة المرحوم بطبعها تحت عنوان (الثمالة) الذى اختاره للديوان فيما لو ساعدته الأقدار على طبعه ، بالاضافة الى دواوينه : الكلم المنظوم ، الديوان ، الرباعيات ، اللباب ، الأوشال ، خدمة للأدب العربي ، وتخليدا لذكرى ناظمها وهو فى سن شيخوخته عندما كان يلفظ انفاسه الأخيرة •

ولما كان الزهاوي شائع الصيت وشعره فى جميع أدوار حياته مما نال اعجاب الأدباء واكبارهم فى بلاد العرب خاصة والشرق عامة ، لا نرى حاجة الى الوصف والتعريف •

غير ان الذى يهمنا بيانه فى هذا المقام هو ان الزهاوى لم يكن فى أواخر عمره بأقل نشاطاً فى الاجادة والتفكير من أوائله على ما به من آلام جسمانية لازمته بضع سنين الى ان وافاه الأجل ، و (الثمالة) أصدق شاهد ••

وهذه احدى المواهب الفطرية التى امتاز بها بين معاصريه ، كما انه كان فى وسعه ان ينظم ما يزيد على مائة بيت فى يوم أو يومين بلا تكلف، لقوة ذاكرته التى تملي عليه القوافي كالسيل المنحدر ، مع ابتكاره المعانى

والتزامه رقة الألفاظ . وقد كان شعره يتمشى مع التطـــورات العلميـــة والفنية ، وكثيرا ما نبّه الأفكار الى الاوهام التى كانت مستحوذة على كثير من الاذهان قبل نصف قرن عن طريق النكت والطرائف ، وهـى احدى طرق الاصلاح .. فالزهاوى شاعر عصرى مجيد ، ومصـــلح مجـــدد وفيلسوف .

فهمي المدرس

(*) مقدمة ديوان « الشمالة » ، مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد ١٩٣٩.

كلمة في الشعر واللغة

مهما تفنن علماء الادب فى تعريف الشعر لم يخرجوا عن كونه اندفاعاً نفسيا ينبعث من بين العاطفة والشعور بدافع من الطبيعة ، أو الدين أو الحب ، أو الألم ، أو السرور ، او غير ذلك من احوال النفس.

يبدأ بالجمل القصيرة وينمو مع الزمن حتى لا تكاد تسعه الاوزان والقوافي . ولا يتأتى من طريق التكلف والتقليد . ولا فرق فى ذلك بين أمم الشرق والغرب خواصها وعوامها .

يلازم البشر فى جميع تطوراته ويعبر عن الحياة فى جميع صفحاتها ويبارى اللغة فى جميع اطوارها .

واللغة العربية كغيرها من اللغات تطورت على مرور القرون تطورا قسمها الى قسمين لغة القاموس ولغة العامة . الا ان الفرق بينهما وبين غيرها هو ان اللغات الاخرى جمعت شملها حكوماتها المستقلة وافادها التطور . ومن العوامل فى جمع شملها مكافحة الامية وتهذيب القواعد صرفها ونحوها وبلاغتها ، واستعمال المألوف من الالفاظ وترك المهجور منها ، والجمع بين رقة اللفظ وجزالة المعنى والسير فى اساليب البيان مع التطور الاجتماعى المستمر بحيث اصبح لكل سنة قاموس خاص بها يختلف عن الذى قبلها بزيادة الالفاظ الحديثة .

وبهذه العوامل استطاعت ان تؤلف بين لغة الخواص ولغة العوام الا فيما له علاقة بالعلوم العالية . وان تعاقب الحكم الاجنبى على البلاد العربية كان من نتائجه العناية بلغة الحكم واهمال لغة البلاد وانتشار الامية الى اقصى حد .

فتشعبت اللغة واختلفت اللهجات ، حتى اصبحت لهجة المدن غير لهجة البادية ، ولهجة البادية مختلفة باختلاف العشائر والقبائل ، وباختلاف

الاصقاع ، وعز التآلف والتفاهم بين البدو والحضـــر وبين طبقات البدو انفسهم وابتعدت الاكثرية الساحقة عن الحضارة ابتعادا جعلها تحاكـــى الانسان الاول فى مناحي الحياة .

ولولا ان العربية هى لغة الدين لتناكرت حتى طبقات الخواص مـن اقاليم الناطقين بالضاد . لان التطور اللغوى تمشى فى كل قطر مع الحالـة الاجتماعية والسياسية فى ذلك القطر وهى تختلف عن الحالة فى القطـر الآخر ولا تختلف امة من امم الغرب فى طبقاتها وامصارها واريافها مـن هذه الناحية ، واذا ما وجد شيء من التفاوت فى لغة من لغاتها فانه منحصر فى كلمات معدودة هى بقايا عهد الانقسام وقد تناولتها القواميس ، وفـى نبرات حروف معلومة لا يتغير بها وضـــع الالفاظ فضـــلا عن الالتباس فى المعـانى .

ولا يتسنى للامة العربية السير على قدم الامم التى سبقتها فى طريق الاصلاح مالم تتحرر ارادتها وسياستها من كل سلطة اجنبية .

اما فى موقفها الحاضر فقد تفيدها المعالجة من ناحية التلقين باللغة التى يفهمها القوم . والشعراء خير واسطة لهذه المعالجة اذا كانت لهم جـرأة ادبية يستمدون منها القوة والثبات مهما اصابهم من ارهاق لان الســـلطة الاجنبية من شأنها ان تحطم كل عمل يبعث اليقظة والانتباه .

ولعل ذلك هو الذى دفع الاستاذ (الكرخى)[1] الى ان يثور ثورة أدبية ويصدر (الكرخ) ويضمنه نبذامن المواضيع الاجتماعية وبعض الوقائع نظما ونثرا وينبه الى حقائق مجهولة لدى العوام من طريق الجد والهـزل

---

(١) عبود الكرخى : ولد سنة ١٨٦١م . ينتسب الى عشيرة البـــو سلطان من قبيلة زبيد ، شاعر شعبى مشهور عرفته الاوساط الادبيـــة والشعبية بشعره الوطنى والسياسى والاجتماعى وقد مارس الصـــحافة الشعبية ومن جرائده التى اصدرها : الكرخ ، صدى الكرخ ، صـــدى التعاون ، المزمار ، الكرخى ، الملا . وكانت له مطبعة مجاورة لداره فـــى محلة الصالحية اسمها مطبعة الكرخ. توفى الى رحمة الله فى٩/١١/١٩٤٦.

تتخللها النكت المستظرفة وضروب الامثال العامية الموقعة احسن توقيع .

جمع فى اسلوبه بين لغة العوام وما يقارب اللغة الفصحى تدريبا للعوام على الفصيح من القول وهو اسلوب حديث فى الادب العربى ، والادب العامي فى بلاد تتغلب عليها الامية لايقل شأنا عن ادب الخواص .

تناول فى نظمه ونثره الوصف والمدح والرثاء والنقد والتفنيد والمزاح ولم يترك فرصة الا انتهزها للتنبيه الى ماشذ عنه القوم ، واحسن واجاد لولا الشطحات التى قلما سلم منها شاعر طرق باب المجون .

ومن خصائص شعره انه تتناقله الالسن وتتطلع اليه الاسماع . اما ديوانه فلم يدون فيه الكثير مما هو محفوظ فى الصدور وربما طوى رعاية للظروف . فاذا ما ساعدت الاقدار على نشر ما طوي منه فعندئذ يقدر شعر الكرخي حق قدره .. ولكل مقام مقال .

فهمي المدرس *

بغداد ـ ٢٣ حزيران ١٩٣٣ .

(*) مقدمة ديوان الكرخى الجزء الاول الطبعة الثانية ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٦ .

رأي الأستاذ فهمي المدرس

في كتاب « رسائل التعليقات » لمعروف الرصافي

(عندما أصدر الشاعر الكبير معروف الرصافي كتابه « رسائل التعليقات » وثارت حوله ضجة اتهامه بالكفر ، أوعزت السلطات المسؤولة يومذاك الى مدير الاوقاف العام ليستطلع رأى نخبة من علماء الدين ورجال الفكر فى الكتاب ، كان الاستاذ المدرس فى طليعتهم ، وهذا جوابه) .

بغداد فى ١٩٤٤/٣/٦

صاحب السعادة حضرة مدير الأوقاف العام المحترم

جواب كتابكم المؤرخ ١٩٤٤/٢/٢٦ والمرقم بعدد ٢٢٧٨

يحتوي كتاب الرصافي على ثلاثة فصول . الفصل الاول فى (وحدة الوجود) التى هي اساس التصوف ، اي الفلسفة الاسلامية ، فند الرصافي فى هذا الفصل مزاعم زكي مبارك حول مصطلحات السعادة الصوفية وشرحها شرحا يزيل الشك والابهام ، ويزيد القارىء ايمانا بعظمة هذا المذهب . وهذا البحث الدقيق الفلسفى انما يفهمه أهله ، لا الذين يقتصر اشتغالهم على كتب الجادة ولم يطرقوا باب الفلسفة . على ان مبادىء التصوف كانت مثار النزاع بين علماء الظاهر (اي الفقهاء) وبين علماء الباطن (أي الصوفية) منذ ان انتشر مذهبهم على أثر تعريب الفلسفة اليونانية فى عهد المأمون ، حتى ادى النزاع الى تكفير بعض المشايخ الصوفية واهانتهم ، فلا غرابة فيما لو كانت تعليقات الرصافي فى هذا الباب مبعث التحامل والانتقاد ولاسيما فى هذا العصر الذى اندرست فيه معالم التصوف وعز نصيره .

ويلى هذه التعليقات البحث عن الحق والباطل والخير والشر والبعث بعد الموت والثواب والعقاب والجنة والنار ، فى معرض مناقشته الدكتور الموما اليه (الدكتور زكى مبارك) ، ومن المعلوم ان علماء الدين ذهبوا فى المسائل مذاهب شتى ، ومنهم المعتزلة والصوفية ، والرصافي اخذ بمذهب الصوفية .

والفصل الثانى : رد على ادعاء زكى مبارك بعدم وجود النثر الفنى فى العصر الجاهلى ، وهو بحث ادبي لا علاقة له بالدين .

والفصل الثالث : تعليقات على كتاب « التأريخ الاسلامي » لمؤلفه السنيور كايتانى حول بياناته المخالفة للحقيقة والواقع ، لفقها هذا المستشرق اما جهلا منه ، واما اراد بها الحط من كرامة الرسول (ص) وقد كان الرصافي فى تعليقاته عليها موفقا ، واما استشهاد الرصافي ببيت المعرى (صفحة ١٧٥) فانما استشهد به لتحليل غريزة الانسان لا لغرض شائن كما يزعم البعض من حملة العلم الناقص ، والعلم الناقص قد يوقع صاحبه فى الضلال .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

اذ لا يعقل ان رجلا يدافع عن الاسلام والمسلمين وعن شخصية سيد الاولين والآخرين ، دفاعامجيدا ، ثم ينقض دفاعه المجيد بهفوة لاتغتفر .

وبالاجمال لم يظهر لنا فى تعليقات الرصافي ما يمس كرامة الدين ، بل ظهر لنا انه قوى الايمان بالله ورسوله ، راسخ الاعتقاد بماجاء به القرآن . ومن يكفر مسلما فقد كفر .. وقد اعدنا فى طيه النسخة الاصلية ولا ارغب في نشر جوابي هذا .. وتفضلوا بقبول الاحترام .. سيدي[1] .

فهمي المدرس

---

(١) تفضل الاستاذ محمد ناجى القشطينى فزودنا بالنص الكامل لجواب الاستاذ فهمي المدرس .

نص استقالة الأستاذ فهمي المدرس

من عضوية الهيئة الادارية المركزية

للحزب الوطني العراقي

•• حضرة مدير الاخاء الوطني

أرجو ان تنشروا فى صحيفتكم انسحابى من عضوية الهيئة الادارية المركزية للحزب الوطني ولكم مزيد الاحترام •

فهمـي المدرس *

(*) جريدة الاخاء الوطنى العدد ٦٥٤ السنة الثالثة ١٢ شباط ١٩٣٤ ٢٧ شوال ١٣٥٢ •

نص استقالة الأستاذ فهمي المدرس
من مديرية المعارف العامة

صاحب المعالي حضرة وزير المعارف المحترم

أرجو ان تقبلوا استقالتي من مديرية المعارف العامة ولكم التفضل والمنة سيدي ٠

فهمي المدرس *

٣٥/٨/٢٨

(*) عن الملفة الشخصية المحفوظة في المجمع العلمي العراقي ٠

جامعـة آل البيـت
دائـرة الأمانة
رقـم ١

صاحب المعالي حضرة وزير الأوقاف المحترم

سـيدى المحترم

اقدم لمعاليكم طيه ورقة بامضاء ساطع بك الحصرى مدير المعـارف العام تحتوى على بعض ملاحظات تخص نظام جامعة آل البيت لم افهم منهـا شيئا ، غير أني اظـن ان حضرة المومـا اليه بعد اظهاره الموافقة في حضور الهيئة المجتمعة على صورة النظام المعدلة رغب فى ان يبقى وحده مخالفـا وان لم يبق محل لمخالفته • أما النظام ـ كما هو معلوم لدى معاليكم ـ فقد أقرت اللجنة الوزارية في مذاكراتها التي استمرت يومين قبولـه بانضمـام آراء ذوي الاختصاص الذين أحضـرتموهم في المذاكـرات من مدرسي الحقوق وغيرهم ووقع عليه عامة الاعضاء الذين حضروا الجلستين ووافق عليه مدير الصحة العامة ومفتشها لعلاقتهما بشـعبة الطب ، ولم يبـق الا عرضه على مجلس الوزراء للمصادقة عليه • والامر لمعاليكم سيدى •

١ حزيران ١٩٢٤

أمين الجامعة
فهمي المدرس

جامعة آل البيت
دائرة الأمانة
رقم ٢

صاحب الفضيلة حضرة أمجد أفندى الزهاوى وكيل المدير فى مدرسة الحقوق المحترم ٠

قرأت فى احدى صحف العاصمة ان قد تألفت لجنة للنظر فى وضع نظام لمدرسة الحقوق ، وبما أن مدرسة الحقوق اصبحت شعبة عالية من شعب جامعة آل البيت ، وقد وضع بالارادة السنية نظام عام للجامعة اقرته اللجنة الوزارية المحترمة المؤلفة بقرار مجلس الوزراء من حضرات اصحاب المعالى وزير العدلية ، وزير الاوقاف ، وزير الاشغال ، وزير المعارف بانضمام آراء اساتذة الحقوق الأفاضل كحضرة رؤوف بك الچادرچي وحكمت بك سليمان ويوسف افندى عطاء وحضرة ساطع بك الحصري مدير المعارف العام وحضرة مستر سميث المفتش العام فى المعارف وغيرهم من الاختصاصيين الذين لهم علاقة بشعبة الطب وغيرها من شعب الجامعة ٠ وقد اطلعتم فضيلتكم ايضا عليه عندما تلي فى مجلس شورى الاوقاف ولم يبق سوى حل الخلاف فى تعيين السلطة على الجامعة فعرض بحسب قرار اللجنة الوزارية المحترمة على مجلس الوزراء الموقر للقطع بها ولا اظن انه يتأخر اكثر من بضعة ايام ، فالرجاء من فضيلتكم عرض ذلك على من لم يحط علما بواقع الحال من اعضاء اللجنة المحترمة ٠

٧ حزيران ٩٢٤

أمين الجامعة
فهمي المدرس

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ٣

صاحب المعالي حضرة وزير الأوقاف المفخم

سيدى المفخم

قرأت فى أحدى صحف العاصمة ان قد تألفت لجنة لوضع نظام لمدرسة الحقوق ، وبما ان مدرسة الحقوق كما هو معلوم لدى معاليكم اصبحت شعبة عالية من شعب جامعة آل البيت وهي فيما يتعلق بالمواد العمومية تابعة لنظام آل البيت الذي اودع من قبل معاليكم الى مجلس الوزراء الموقر للمصادقة عليه ، فلذا أرسلت بذلك كتابا الى وكيل مدير مدرسة الحقوق ليطلع اعضاء اللجنة عليه ، قدمت صورته طي عريضتي هذه فالرجاء من معاليكم بيان الكيفية الى وزارة المعارف لئلا يقع أمثال ذلك مما يخل بهذه المشاريع المقررة ، والامر لمعاليكم سيدي ..

٧ حزيران ٩٢٤

أمين الجامعة

فهمي المدرس

جامعـة آل البيـت

دائـرة الأمانة

رقـم ٧

صاحب المعالي حضرة وزير الاوقاف المفخم

من المعلوم لدى معاليكم ان التدريسات فى جامعة آل البيت تبدأ في ١٥ أيلول ١٩٢٤ وقد ضاق الوقت على تهيئة الأسباب المتوقف عليها فتح الجامعة كانتخاب المدرسين ، وتعيين الموظفين ، واعلان شروط القبول للطلاب ، في جميع انحاء القطر العراقي ، وتقرير الميزانية ، والتأثيث ، والتنوير ، وتأمين وسائط النقل وغيرها ، ومعظم ما عرضته متوقف على تصديق النظام المودع للمصادقة عليه الى مجلس الوزراء الموقر ، وانه يتعذر فتح الجامعة في اليوم المذكور اذا تأخر البدء بالعمل ازيد من ذلك. وعلى كل فالأمر لمعاليكم سيدي .

٢٠ تموز ٩٢٤

أمين الجامعة

فهمي المدرس

جامعـة آل البيـت

دائـرة الأمانة

رقـم ٨

صاحب المعالي حضرة وزير الاوقاف المفخم

بعد ان قررت اللجنة الوزارية المنعقدة تحت رياسة معاليكم مـواد النظام العمومية لجامعة آل البيت وقدمته الى مجلس الوزراء للمصادقة عليه قرأت في صحف العاصـمة ان وزارة المعارف ألفت تحت رياسـة مدير المعارف العام حضرة ساطع بك الحصرى لجنة لوضع نظام لمدرسة الحقوق التى هى احدى شعب الجامعة .

فحذار من أن تضع هذه اللجنة موادَ تعارض المواد العمومية التـي قررتها لجنتكم العالية عرضـت الكيفية على وزارة الاوقاف في ٦ حزيران ١٩٢٤ في اخبار وزارة المعارف ، وكتبت الى مديرية المدرسة باعلام اعضاء اللجنة بذلك . والآن بلغني ان هذه اللجنة وضعت من المواد ما يعـارض مقرراتكم العالية ، فالرجاء من معاليكم عندما يعرض هذا النظام على مجلس الوزراء الموقر العناية بتطبيقه مع نظام جامعة آل البيت الذى قررتموه لئـلا يتخذ قراران متعارضان .

وعلى كل فالأمر لمعاليكم سيدي .

٥ آب ١٩٢٤

أمين الجامعة
فهمي المدرس

جامعـة آل البيـت

دائـرة الأمانة

رقـم ٩

صاحب المعالي حضرة وزير الاوقاف المفخم

اقدم لمعاليكم طيه صورة العريضة التى قدمتها فى ٢٠ تموز ١٩٢٤ الى مقامكم العالي مستلفتا انظاركم نحو مندرجاتها لان الوقت لم يبق فيه متسع لاعداد ما يتوقف عليه فتح الجامعة .

والأمر لمعاليكم سيدي

٥ آب ١٩٢٤

أمين الجامعة

فهمي المدرس

جامعـة آل البيـت

دائـرة الأمانة

رقـم ١١

فخامة وزير الأوقاف ورئيس اللجنة الوزارية المفخم

اقدم لفخامتكم طيه جوابا على ملاحظات مدير مدرسةالهندسة ، ومدير المعارف العام ، ومدير الحقوق فيما يخص تشكيل جامعة آل البيت .

وعلى كل فالأمر لفخامتكم سيدى .

١٦ ايلول ١٩٢٤

فهمي المدرس

جواب على ملاحظات مدير الهندسة

١ ـ بيّن حضرة المدير في ملاحظـاته ان من موانع نقـل مدرسة الهندسة الى بناية الجامعة صعوبة انتقال التلاميذ منها كل يوم الى مدرسـة الصنايع من اجل التطبيقات .

قلنا : ان السبب بذاته موجود الآن فى مدرسة الهندسة ، لأن مدرسة الهندسة ليست بالقرب من مدرسة الصنايع ، وانما هى خارج المدينة فـى محطـة بعقوبة البعيدة عن باب المعظـم بمسـافة لا تختلف كثيرا عـن مسافة الجامعة .

٢ ـ وعند بيانه المانع الثانى قال : ليس فى الجامعة من الضياء مايكفي لتخطيط الخرائط .

فنقول : الجامعة مؤسسة فى ساحة تحتوي على اربعماية الف متر مربع ، ولم يكن من ضرورة تضطر المهندس الى ان يجعل غرفها مظلمة ، والمهندس متخرج في مدارس عالية وهو بارع في صنعته ولقد هندس البناء على ان يكون مدرسة وهو من العارفين بدرجة الضياء المحتاج اليها التلميذ ، وان الغرف فى الجامعة تنقسم الى قسمين : قسم تدخله الشمس من الصبح الى الظهر ، وقسم تدخله من الظهر الى المساء ، وتنفذ اشعتها فى اعماق الغرف بدرجة زائدة يستحسن تقليلها بواسطة الحجب لئلا تشوش النظر ، وليس فى الجامعة محل قليل الضياء ، سوى الرواقين المتوسطين فى الطبقتين التحتانية والفوقانية وهما ليسا من اماكن الدرس ، وانما هما من مواقع القيلولة ، وان باقي الاروقة ايضا لاتفارقها الشمس ، ومن الممكن تعيين درجة الضياء فى مدرسة الهندسة الحالية وفى غرف الجامعة بواسطة الفنيين الاختصاصيين والمقايسة بينهما • ولم يتوصل الفن الى ان يكشف قوة من الضياء اقوى واوسع من ضياء الشمس ، ولا الضياء الكهربائى يساويه فى القوة والاتساع ، ومن المحتمل ان حضرة المدير زار الجامعة فى وقت لم يتمكن فيه من تعيين درجة الضياء ، ومع هذا فانارة الجامعة بالضياء الكهربائي من الامور المقررة ••

٣ – والمانع الثالث فى نظره هو انه عقد مقاولة مع مدرسة الصنايع لاطعام التلاميذ ، وعلى تقدير نقل المدرسة يجب فسخ المقاولة •

فنقول : ان المقاولات التى تكون من هذا القبيل تنفسخ بذاتها اذ لم يبق لها لزوم فكيف والضرورة الموجبة لفسخها من الضرورات المشروعة، واية ضرورة اقوى حجة من ارادة الحكومة تشكيل امر عام نفعه•ومدرسة الصنايع هي من مدارس الحكومة ، ولم يأكل التلاميذ ذلك الطعام الذى عقدت المقاولة من اجله ، وان كانوا قد اكلوا منه شيئا فمن الممكن تأدية ثمن ما اكلوه ، ولا يترتب على فسخ المقاولة ضرر ، ولا تبعة ،وان جامعة

آل البيت تتعهد بطعام التلاميذ بأحد امرين : اما ان يأكلوا مع تلامذة كلية الامام الاعظم ، واما ان يأكلوا من مطبخ الجامعة ، وهو مطبخ عامر .

٤ ـ والمانع الرابع عنده هو انه لم يجد فى الجامعة محلا صالحا لمنام التلاميـــذ .

فنقول : ان فى الجامعة ٢٨ غرفة واسعة كل واحدة منها تصلح لان تكون محلا لمنامهم والتلاميذ ـ على ما نظن ـ لا يتجاوز عددهم ١٧ تلميذا هذا فى الشتاء ، واما فى الصيف ففى الجامعة سطح مرتفع واسـع يسـع المئات من السرر .

٥ ـ والمانع الخامس عنده هو الوسائط النقلية .

فنقول : ان الوسائط هى عين الوسائط التى يستعملهاالطلاب والمعلمون فى الحال الحاضرة من الذهاب الى مدرسة الهندســة الحالية ، والاياب منها ، لان بناية مدرسة الهندسة ، كما عرضنا بعيدة عن المدينة ايضا ، على ان طريق الجامعة اسهل من طريق مدرسة الهندسة ، والكشف والاختبار يبينان ذلك .

٦ ـ بقي هناك سبب واحد يستحق الذكر والبحث ، وهو كـــون المدرسة ابتدائية لا تصلح لان تلحق بالجامعة .

فنجيب على هذا : بان الجامعات ـ كما لا يخفى على حضرة المدير ـ لا تخلو من صفوف تجهيزية تؤهل الطـلاب الى الشـعب العـالية ، ومن الضرورى عندنا ان يكون لكل شعبة من الشعب العالية مدرسة اسـتعدادية خاصة بها لان ما تحتاج اليه الشعبة الدينية من ملكة التلاميذ غير ما تحتاج اليه شعبة الهندسة ، وكذلك الامر فى باقي الشعب ، ونقلها الى الجامعـة لا يخل بتشكيلات الجامعة ، ولا يؤثر عليها شيئا ، ففى الجامعة من الشعب ما يكفى لاطلاق اسم الجامعة عليها وهما شعبة الحقوق ، وشـعبة العلوم الدينية ، ومتى ما اجتمع شعبتان تألفت الجامعة ، هذه هى الاصول المتبعة

فى جميع جامعات العالم ، ولم يخبرنا تاريخ الجامعات بأن جامعة تألفت شعبها أجمع فى يوم واحد ، أو فى سنة واحدة ، وانما ذلك من الامور التابعة لقانون التدرج .. فان الجامعة الاميركية مضى عليها خمسون عاما ولم يكن فيها سوى شعبة واحدة وهى شعبة الطب ، ولذلك لم يطلقوا عليها اسم الجامعة الا فى العام الماضى بعد ان الفوا فيها شعبة الآداب والعلوم، وباقي معاهدها لم تتجاوز درجة الصفوف الاستعدادية ، وفيها القسم الابتدائى ايضا ، وكان اطلاق اسم الكلية عليها من باب التوسع ، والتغليب، ولا يمكن تشكيل الجامعة الا بهذه الصورة .

٧ – واما قوله : ان مدرسة الهندسة مؤسسة لمقصد خاص وهو تخريج موظفين الى دائرتى الري والاشغال .. فذلك لايمنع نقل المدرسة الى الجامعة ، ولا يمنع تشكيل الصفوف العالية فيها ، ولا يخل بالمقصد المنوه عنه . فان الصفوف الثلاثة الحالية لا تتغير حالتها ، اي يستخدم متخرجوها فى عين المقصد ان شاءت وزارة الاشغال ، والمتخرجون من الصفوف العالية يستخدمون فى وظائف اسمى واعلا ..

هذا جوابنا على ملاحظات مدير الهندسة المحترم

واما ما جاء فى جوابي مدير المعارف العام ، ومدير كلية الحقوق فانه ينجر الى الوسائط النقلية .. ولا نظن ان حكومة تؤسس مؤسسة عظيمة لها علاقة بحياة البلاد ، وتنفق عليها المبالغ الوفيرة ، وعندما يتم العمل تظهر العجز فى امر متوفرة فيه الوسائط فتترك مجالا لان يقال : فلماذا لم تفكر الحكومة فى الامر قبل التأسيس ، وقبل انفاق المبالغ الكثيرة ، والحكومة هى عين الحكومة المؤسسة وان اختلفت فيها رجال وزارتها ؟!

على انه لا يصح انشاء الجامعة داخل المدينة لما تحتاج اليه من الشروط التى لا توجد فى المدينة ، منها السكون ، والبعد عن الضوضاء ، وجودة الهواء ، وسعة المحل ، وبهاء المنظر وغير ذلك .

ومن المستحيل تأسيس جامعة فى محل يكون قريبا من محل الحكومة، ومن دور المدرسين ، ومن منازل الطلاب ، ومن مساكن المستمعين ، فانهـــا اينما تؤسس لابد وان تكون بعيدة عن قسم وقريبة الى غيره .. ولا تبقى المدينة على حالة واحدة بل هى تتوسع فتختلف الابعاد فيها ، ولا تعـــد الوسائط النقلية مع توفرها من اهم الموانع ، بل هى من اخفها ، فالاولى ان يعهد بها الى لجنة من الخبراء تنظر فى صورة حل لها .. والامر لمـــن له الامـــر .

فهمي المدرس

١٦ أيلول ١٩٢٤

جامعة آل البيت
دائرة الأمانة
رقم ٤٧٩

صاحب المعالى حضرة وزير الاوقاف المحترم

جواب كتاب معاليكم المؤرخ ٢٣ كانون الثانى ١٩٢٨ والمرقم بعدد ٩٨٣٥[1] جاء انذاركم وكان غير منتظر من حيث المادة ومن حيث الاسلوب. فالنظام لا يحتم على امين الجامعة الممثل للحكومة فيها ارسال كشف طبى ولاسيما لمرض يوم او يومين ، والجامعة لم تبلغ من قبل قرارا وزاريا بذلك، ولو ان مجيئكم سبقه الاعلام بـ (المسرة) ـحسب عادتكم المستحسنةـ لعرض المراقب على معاليكم عذرى الشرعى اذا كان الغرض من الزيارة مقابلتى . اما الاسراع الى الانذار عقب رجوعكم من الجامعة بدون فاصلة، وبدون ان يكون فى الوقت متسع للتثبت من الامر ، وبتلك اللهجة الشديدة فى حين ان النظام الاداري ـ كما شاهدتم ـ كان سائرا فى الجامعة سيرا مرضيا على الوجه الاتم فلم ار له موجبا قانونيا يحملني على قبوله ، ودمتم باحترام سيدي .

٣٠ كانون الثانى ١٩٢٨

أمين جامعة آل البيت

فهمي المدرس

---

(١) كان نص الانذار الموجه الى المدرس ما صورته: (الى أمانة جامعة آل البيت.
انني جئت الجامعة اليوم فلم أجدكم ولم أجد الكاتب أيضا وبما ان الموظف ملزم بان يحضر فى محل وظيفته طول مدة الدوام وانه مكلف بأن يخبر مرجعه فيما اذا حصل له مانع وان يعزز الاخبار بكشف طبي اذا كان التأخر ناشئا عن مرض فيجب أن لا يتكرر الحال بعد الآن) .

أحمد الداود
وزير الأوقاف

مديرية الاوقاف العامة

الموضوع : ترفيع طلاب

بالاشارة الى كتابكم المرقم بـ ٢٥٨٣/٧٩٤٣ والمؤرخ بـ ٢٨ تموز ١٩٣٧ ان النظام المبحوث عنه غير معمول به لدى دائرة الاوقاف بدليل المخلفات الآتية :

(١) نصت المادة الثانية نفسها على ان :ـ (تنقسم دار العلوم الدينية والعربية الى دورتين تتألف الاولى من ثلاثة صفوف وتتألف الثانية من ثلاثة صفوف أيضا على ان يتخصص طلابها باللغة العربية والدين وأصول التربية والتعليم) وفى العام الماضى ألغت دائرة الاوقاف الصف الرابع رعاية للاقتصاد • وجعلت الدورة الثانية منحصرة فى الصف الخامس فقط فتعذر التخصص المذكور •

(٢) ونصت المادة الثامنة عشرة على ان :ـ (السنة التدريسية تسعة أشهر) وفى العام الماضى أخرت فتح المدرسة حتى نزلت هذه المدة الى ستة أشهر وتعذر اشتراك طلاب الصف الثالث فى امتحان البكالوريا •

(٣) واشترطت الفقرة السادسة من المادة التاسعة (أن يتعهد الطالب باكتساء الكسوة العلمية داخل المدرسة وخارجها) ولم تنفذ هذا الشرط وهي المتعهدة في المادة العاشرة باكسائهم لان ذلك يتطلب زيادة في النفقات•

(٤) ونصت المادة العاشرة على ان :ـ تقوم مديرية الاوقاف العامة باعاشة واكساء ما لا يقل عن (٩٠) طالباً وقد وضعت فى ميزانيتي عام ١٩٣٦–١٩٣٧ وعام ١٩٣٧–١٩٣٨ نفقة لسبعين طالباً رعاية للاقتصاد •

(٥) واشترطت الفقرة الثانية من المادة العاشرة على ان :ـ (يتعهد كل طالب قامت المديرية باعاشته واكسائه بضمان ما يصرف عليه مدة

بقائه فى المدرسة ، فيما اذا خرج قبل أن يتم الدراسة فيها) ولم تنفذ هذا الشرط وهى التى كانت تقبل الطلاب وتأمر ادارة دار العلوم بتسجيلهم فصار كل طالب حراً فى البقاء وعدمه لا مانع يمنعه من ترك المدرسة متى شاء ، ومن هذه الناحية أيضا تعذر التخصص المنصوص عليه فى المادة الثانية .

فبالنظر الى ما عرضناه من المخالفة للمواد الاساسية لم يبق للنظام حكم حتى يتقيد الطلاب بما جاء فى المادة الثانية منه حول ترفيعهم الى الصف الرابع ، ودائرة الاوقاف نفسها لم تعمل بهذه المادة .

وبما ان الصف الرابع سيفتح فى السنة الدراسية القادمة طبقاً لأحكام النظام الجديد الذي لم يقيد طلاب الصف الثالث بامتحان البكالوريا لم يبق مانع لترفيعهم .

والأمل معقود على أن يصدر النظام الجديد - بمساعيكم المشكورة - قبل حلول السنة الدراسية ليذاع فى الصحف ويجرى قبول الطلاب بموجبه وتقوم التشكيلات العلمية على أساس صحيح يحقق الغاية المقصودة من تأسيس هذه المؤسسة التي مرّ عليها (٢٥) عاما تقلبت فى خلالها بين مختلف الانظمة والمناهج والعناوين ولم تبلغ الغاية المنشودة ، حتى هبطت ميزانيتها من ثمانين ألف روبية الى (٢٨١٣) دينارا وأصبحت - لمجرد الاقتصاد من مخصصاتها - لا هى عربية ولا دينية ولا ثانوية على حدة ، مجردة من جميع لوازم التعليم ليس فيها مكتبة ، ولا مختبر ، ولا متحف للتاريخ الطبيعي ، ولا مرافق تسد الحاجة ، ولا نظام معمول به ، ولا منهج ثابت للتدريس ، سوى مطعم ذليل ومنام أذل وطلاب بؤساء يترقبون العطف من أولياء الأمور .

وعسى أن تنال فى أيامكم وفى عهد الوزارة الحاضرة القائمة على أساس الاصلاح العام أقصى ما يمكن من المساعدات المادية والمعنوية وتكون بحق (دار العلوم الدينية والعربية) المفتقرة اليها البلاد أشد الافتقار .

فهمي المدرس
مدير دار العلوم

نماذج من شعره

نهضة الشرق

(نظم الشاعر هذه القصيدة وهو ملتفت الى ماضى الشرق الزاهر وحاضره وكيف تكون نهضته موقناً بان لا حياة للشرقيين بغير العلم والقوة وقد رنا بطرفه نحو (جامعة آل البيت) التى علقت عليها الآمال لدى تأسيسها) .

« البلاد »

ماذا يحاول من يعادى (المعهدا) ... والشرق أصبح ثائراً متجددا
فى كل قطر منه قام مجدد ... دكت عزائمه الجبال الركدا
يطوي السنين بلمحة فيريك من ... عهد التجدد كل يوم مشهدا
للمصلحين الثائرين بأرضه ... عزم أبى الا المجرة مقعدا
لا يهجع الشرق الجديد ولا يني ... فى عزمه حتى يعيد السؤددا
من نام عن كيد الأعادي أحقباً ... فتكت به أنى له أن يرقدا
يا غافلاً عما يراد به أفق ... من غمرة السكرات فالحادي حدا
ساروا كأسراب القطا بين النجو ... م ، وأنت بالعرجاء تختبط المدى
ياشرق جدد ما استطعت عسى الذى ... ضاق الخناق عليه ان يتنهدا
ودع الغبي يخوض في غمراته ... فلقد أراد الله ألا يرشدا
أقم الصروح على الجماجم مثلما ... ملك العراق أقام هذا المعهدا
« ما المجد للملك الهمام بخالد ... الا اذا رفع الصروح وخلدا »

* * *

يا صرح آل البيت فيك قد انطوى ... للمجد دهر ، ثم دهر للردى
مجد عناصره اذا حللتها ... تجد المهند ، والنهى والعسجدا
كالنسر حلق في الفضاء وما له ... وكر سوى التيجان راح أو اغتدى
والشمس ما طلعت على عرصاته ... الا اكتست ثوب الفخار مجددا
سهرت عليه للاسود نواظر ... رصدت عيونا للعدى لن ترقدا

مجد أبى الا الحسام معاهداً ... وأبى بغير الحق أن يتعهدا
مجد اذا صورته للناظري ... ن ملأت هذا الكون منه سوددا
واذا رسمت السعد في تمثاله ... فأقم على فرق الثريا فرقدا
كشفت له الأقدار أمراً خارقاً ... فصغت اليه قبل أن يتولدا
مجد بذرات الأثير تلألأت ... صفحاته ، وسنا علاه توقدا
لو كن للانسان علم كامل ... لرآه في طبقاته متجسدا
ولشاهد التاريخ في ادواره ... من كل ما يحويه يعرض مشهدا
جمعت مناظره تفاصيل العلا ... عمن بنى الحسب الرفيع وأخلدا
عن كل قرم لم يناوىء ملكه ... أحد ، وما عرف الغرور وما اعتدى
عمن اذا نفروا سمعت زئيرهم ... يدوي بأقصى المشرقين له صدى
عن تبع ، عن حمير ، عن يعرب ... عن عاد ، عن قوم تساووا محتدا
عن عهد قرطبة، عن الحمراء عن ال ... وادي الكبير ، عن المكارم والندى
عن عرش هرون الرشيد عن الألى ... رصفوا المقاعد لؤلؤاً وزبرجدا
قادوا الملوك أذلة ، وبنوا على ... هام الملوك الى الثريا سؤددا
رفعوا منار العلم فى أعلا الذرى ... والغرب من ذاك المنار استوقدا
فى أمرهم لله سر غامض ... ما حام دون حماه عقل واهتدى
كف على (أورال) تبني معقلاً ... ويد على (أفريق) ترفع مرصدا
قدم بأرض الصين أحكم أمرها ... وعلى أديم الغرب أخرى وطدا
فالشرق ان نادى له بسياسة ... خفقت بقلب الغرب أعلام الهدى
واذا دوى فى الأرض صوت مجاهد ... ردت عليه الشمس انى رددا

* * *

ليس القريض معبراً عن وصفه ... ولو انه كالورق ناح وغردا
ولو انني صغت النجوم معانياً ... ونحت من حد الصوارم مذودا
لكن دمعي جاد بالمعنى الذي ... أعيا القريض ، فكان منه أجودا
ما الشعر الا دمعة رقراقة ... كادت من الزفرات أن تتوقدا

لو كان للدمع الخلود مقـــدراً ... لأقمت منـــه نائحـاً ومعـــددا
ونعيت أطلالاً ونحت على العـــلا ... وندبت ذاك المجد حتى الحـــدا
مجد طواه الدهـــر طوداً شامخاً ... لله طود صـــار يوماً فدفـــدا
يا أرض بيدي فالحيـــاة ذميمـة ... ويا سماء اقلعي طـــال المـــدى

* * *

مـرت قرون الحادثات كأنهـــا ... ليل تطـــاول عهده فتلبـــدا
ليل أعد من النجـــوم رواميـاً ... ومن الشعاع لها سهاماً صـــردا
زحف البلاء بما لديه وكلمـــا ... كر الجديدان استوى متجـــددا
زحف البلاء بأرضـه وسمائـــه ... وسطا عليه بجمعـــه فتلـــددا

* * *

أمحمد ان الـــذى خلفتـــه ... للعرب قد هتكت حماه يد العـدى
أمحمـــد أدرك بطانتك التـــى ... لولاك ما بسطت على الدنيا يـــدا
خان الزمان وما وعـوا فتفرقـــوا ... شيعاً ، فعاد عليهـــم ، فاستعبدا
لم يبق للعـــربي مأوى آمـــن ... يأوى اليـــه متهماً أو منجـــدا
وبنو الغطارفة الأباة أولى الندى ... ذلوا لزاد من عـــدو يجتـــدى

* * *

يا صرح آل البيت تلك مفاخـــر ... ولواعج أجملتهـــا مســـتطردا
فمـــن المروءة ان تكون مواسياً ... ومن الشهامة أن أراك مجـــددا
رثت حياة القـــوم فابعث منهـــم ... خلقـاً جديـداً فالزمان تجـددا
حسب العراق من القـديم عصابة ... شهدت عواقبها القرون على مـدى
ما للحياة ســـوى ربوعك منهل ... طابت ربوعـــك للمعالي مـوردا
ان الذي ألف القـــديم مقـــلد ... والحـر يأبى ان يعيش مقلـــدا
والعلم يسنقصي الحيـاة ولم يزل ... يجتث منهـا ما أضر وأفســـدا

والعلم يفتح للعقول مغالقاً ... وقف التطور عندها مترددا
والعقل مفلوج اذا أهملته ... والعقل فعال اذا ما زودا
(والعلم يرحل عن ديار أهلها ... تركوا العقول رهينة بيد العدى)

* * *

كل الشعوب تحررت من رقها ... الا ابن يعرب لا يزال مقيدا
ما كان حقاً يا ابن خير أرومة ... في عقر دارك أن تكون مصفدا
ولقد ورثت وأنت أول وارث ... مجداً أقام الخافقين وأقعدا
ثلت عروش دونه وأسرة ... والناس حول العرش خروا سجدا

* * *

لا يستقل الشعب حتى يرتقي ... أفق السماء محلقاً ومهددا
فالأرض تأبى أن تقي عرصاتها ... غير الذي بين النجوم استوصدا
وطوى السماء بأخمصيه كأنما ... يطوي طريقاً في السهول معبدا
ورمى بنيران الجحيم محرقاً ... ومهدما ، ومقتلاً ، ومبددا
ان الحقوق تمردت الا على ... من جرد العضب الصقيل وجندا
لا تدل الا بالسيوف أدلة ... فالحق من حد السيوف تولدا
واذا اعتمدت على العهود فكن لها ... يا عاقداً بالمرهفات مؤيدا
واربأ بنفسك ان تلين لحادث ... فلكم وميض في الرماد توقدا
والمجد لا يبلى وان عبثت به ... أيدى الطغاة فقد يعود كما بدا
ان الحياة وديعة فاختر لها ... إما السها وطناً ، وإما المرقدا

* * *

يا صرح آل البيت كل رزية ... لابد يوماً أن تلاقي مسعدا
لك نسبة للهاشمي وآله ... أكرم بها من نسبة لن تجحدا
فاسلم وعش يا صرح انك خالد ... ومن ارتقى للعرش عاش مخلدا

واعذر اذا خبط الجهـول برأيه ... ان الذى فقد الحجى حرم الهدى
جهلوا مقامك فاصطبرت ولم تهن ... ولو انهم علموا لكنت المفتـــدى
بثـوا حبائل حـول ربعك ضـلة ... كي لا تجدد للعروبة ســـؤددا
والشرق جرد للحياة صـــوارماً ... من عزمـــه لكنها لن تغمـــــدا
لا يخدعن الحلم غـــراً شـــامتاً ... فالحزم يكظم تـــارة مترصـــدا
ولكل ذي عمل جـــزاء عـــادل ... يا صرح آل البيت يلقاه غـــدا

(حـــارث*)

(*) جريدة «البلاد» البغدادية العدد ٢٠ الاثنين ٢ كانون الاول ١٩٢٩ ٣٠ جمادى الثانية ١٣٤٨ .

في رثاء سامي سليمان

هو الموت لا يبقي من الناس باقيا ... وما ان ارى حيا له الله واقيا
قضى الموت ان لا يتقى بتميمة ... ولا هارب يلفى من الموت ناجيا
فذاك سليمان ، ونوح ، وآدم ... واحمد كل جاءه الموت داعيا
وافنى ملوكا ، ثم بأسا وقوة ... فلم يبق ذا أمر ، ولم يبق ناهيا
ولم يبق ذا علم ، ولم يبق ذا غنى ... ولم يبق جبارا ، ولم يبق طاغيا
وصال علينا حاملا كل غيظه ... فهد من الاطواد ما كان راسيا
دهانا فلم يترك لنا بعد ما دها ... امانا ، ولا للشامتين امانيا
بدا ناشبا بالشعر فابتز (فكرة) ... وعاد على الاخلاق فاستل (ساميا)
عظيمين لاتحوي الصدور سواهما ... اذا عقد الاقوام للبحث ناديا
فهذا الذى قد كان للحق ناصرا ... وذاك الذي قد كان للعلم حاميا
فلولا يراع الشهم (توفيق فكرة) ... لما جاء بيت الشعر للشعر حاويا
ولولا (ابو الخيرات) ماعاش بائس ... ولا بات ذوهم عن الهم ساليا
فمن ذا الذى ابقيته بديارنا ... ـاذا ضلت الآراء ياموت كافيا؟!

* * *

فيا (ساميا) ابكيت كل نجيبة ... وكل ابن انثى لا يعين البواكيا
فقدنا بك الاخلاق والعلم والحجى ... جميعا ، كما انا فقدنا المعاليا
لقد كنت يا (سامي) اماما وحجة ... وقد كنت مهديا ، وقد كنت هاديا
وقد كنت برا باليتامى وراحما ... مجيبا الى الخيرات فينا ، وداعيا
وقد كنت بالبأساء خير مجاهد ... ترد به البلوى غنيا وعافيا
يهمك شأن الناس طرا كأنما ... ولدت جميع الناس برا ، وجافيا
رؤفا ، رحيما ما اصابت مصيبة ... اخا شجن الا وكنت المواسيا
وللنكر ، والخلق الذميم ، وللخنا ... أبى الله الا ان تكون معاديا
اوكانت تلبيك العُلا فى سمائها ... وتجثو احتراما حيثما كنت جاثيا

فلما نعتك الناعيات تحجبت ... ولم تبد الا أو تعين النواعيا
فطورا اعزيها واعلم ما بها ... وطورا تعزيني وتعلم ما بيا
وصبّرت نفسي خيفة وتجلدا ... ولولا عقاب الله اصبحت عاصيا

* * *

علمت بامراض القلوب مشخصاً ... لها كل تشخيص فكنت المداويا
وحاربت بالاقلام كل رزية ... فأصبحت بالعقبى شهيدا وغازيا
وحللت اسرار الطبيعة كاشفا ... دقايق كانت قبل ذاك خوافيا
وعدت على الآداب ، والشعر ناهجا ... مناهج غرا بلغتنا المراقيا
وكانت تناغيك البدايع حيثما ... خطوت بهذا الكون سهلا ووواديا
فتوحي اليك الشعر حسنا مجسما ... فتلبسه ثوبا من الدر ضافيا
فلم آر الفاظا تميس كواعبا ... ولم ار حسنا قسموه معانيا
لذلك ان بادرت وصف حقيقة ... سبقت بذاك الوصف من كان رائيا
تصور للعينين ـ ان شئت ـ لوعة ... وان شئت دمعا ، او يتيما ، وعانيا
فتنجذب نحو الشعر من كان معرضا ... عن الشعر لايهدى، ومن كان واعيا
ارى الناس صرعى حول شعرك سجدا ... ينوحون مرثيا لديهم ، وراثيا
ومثلت فى تلك المعانى خلائقا ... طلعن شموسا ، وانتظمن درايا
خلائق لو ان المعالي تهتدي ... اليها لكانت للمعالي معاليا
خلائق جاء الدين فيها مبشرا ... وناهيك بالدين الحنيفي هاديا
ولو كنت تهجو كان هجوك حكمة ... ولكن من الاخلاق ما كنت هاجيا
فوا حزني والشعر بعدك نجمه ... بآفاقنا ـ ويلاه ـ اصبح هاويا

* * *

ولما رأيت الناس ضلت عقولهم ... وكلا بهذا القرن اصبح باغيا
وان دماء الناس شرقا ، ومغربا ... تراق بلا اثم ، ولم تر ناهيا
ولم تر من تلك العلوم زواجرا ... ولا من دعاة الحق للحق داعيا
ولا الموت يثنيهم ، ولاالدين حاجز ... ولا صارم عضب يرد الدواهيا

وضاق على المرء الفضاء فلم يجد ... له مهربا كيما يعيش مصافيا
وفي الجو ، اوقعر البحار، وفي الثرى ... اذا ماالحتمى لاقى الردى ،والروامیا
وما ابقت الايام – يا ويحها – لنا ... كهولا ، ولا ابقت لدينا ذراريا
سئمت من الدنيا جميعا ، واهلها ... وغدرت هذا العيش لله غاديا
ولو كان عقل الناس للناس هاديا ... لما كان بعض الناس للناس ماحيا
وانت الذي اعرضت عن كل منكر ... فاصبحت للموت المفرق داعيا
رضيت من الدنيا بثوب ولقمة ... وغيرك مهما نال لم يك راضيا
خرجت من الدنيا نقيا ، مطهرا ... تحف بك البشرى كما كنت جائيا
تساوى لدينا بعد دفنك في الثرى ... من الناس من ينعى رخيصا وغاليا

* * *

تخيرك التاريخ من نسل آدم ... – لصدقك بالاخبار – شيخا وراويا
فكانت تباريك الحقيقة دائما ... فهل كنت في حجر الحقيقة رابيا؟
تنزهت عن سمع الخنا ، ولك الهنا ... نجوت وما ان كان غيرك ناجيا
تصيب اذا ما كنت ترمي لحاجة ... ولست الى غير المكارم راميا
تطأطىء عند الحق رأسك مثلما ... تغذمر ان شاهدت امرا منافيا
يهابك من يلقاك كهلا ، ويافعا ... وشيخا ، وذا حلم ، وغرا ، وغاويا
تنازعت الاقوام فيك كأنما ... لكل من الاقوام قد كنت حاميا
لك الترك،والاعجام،والعرب،والورى ... جميعا لقد اضحوا خليلا مواليا
يحق – يمينا – عند فقدك انني ... اشق فؤادى لا اشق ردائيا
بكيتك ملهوفا وحق لي البكا ... ولست على ميت من الناس باكيا
بكيتك استاذا خبيرا ، وصاحبا ... غيورا ، وشهما في الملمات وافيا
اقلب طرفي في الانام فلم اجد ... لشخصك في تلك المناقب ثانيا
رجحت بنى الدنيا وفاء وعفة ، ... وعزما ، واقداما يدك الرواسيا
فلو اننا قسنا بشخصك ذا الورى ... لكنت لذاك الكل فردا مساويا

ولو كنت تفدى بالنفوس ، وبالغنى ... افدينك يا (سامي) بنفسي وماليا
ولكن قضى ذو العرش انك ميت ... ولا دافع يلفى لما كان قاضيا

* * *

انسى لك الفضل العظيم ولم نجد ... سوى فضلك السامي على الناس باقيا؟
كأنى ارى فى كل شخص نظرته ... بعيني شخصا من معاليك ناعيا
فأطرق اجلالا ، وارسل ادمعا ... واشكو من البلوى ، واملى المراثيا
وسودت فيك الصحف، والعيد شاهد ... على انني سودت فيك نهاريا
وما ان ارى للعيد ـ ما عشت ـ عودة ... تعيد زمان اللهو بعدك ثانيا
لقد كنت مصباحا بكل مضلة ... وكنت على الباغي حساما يمانيا
فقدناك فقد الراضعات من الحيا ... سوارى وبل تارة ، وغواديا
وريا تروي العود كنت بارضنا ... فلما استوى امسى بفقدك ذاويا
وما ان فقدنا يا (نسيب) اخا علًى ... ولكن فقدنا امة ، واعاليا
فتلك ديار العلم بعدك اقفرت ... وتلك ربوع المجد امست خواليا
وكيف اسلي النفس بعدك والاسى ... يلاحقني من حيثما كنت ماضيا
فيا ناعيا رفقا بنا : ان نعيه ... يهدم ركنا للمعارف عاليا
ولم ادر هل ابكي المعاهد، والتقى ؟ ... ام الخير ؟ ام ابكي العلى والمساعيا ؟
ام الشعب ؟ ام ـ ياعين ـ ابكي شقيقة ... به فقدت ـ ويلي ـ وليا ووالياً

* * *

ويا بانيا للقوم بيتا مصمدا ... تداعت اواسيه فديتك بانيا !
ايجمعنا يوما ـ وهيهات ـ جامع ؟ ... فألثم كفا علمتنى المعاليا
وفى الحشر هل القاك؟ ـ ياخل ـ اننى ... احاذر يوم الحشر ان لا تلاقيا
وهل عالم الارواح يجمع بيننا ؟ ... فتخبرنا : ان الحقايق ماهيا ؟
فقد ضاق صدري عن احاديث لم اجد ... سواك اليها فى البرية صاغيا
احاديث أيام خلقن بلا ضحى ... فمرت طوالا كلهن لياليا
احاديث تمليها علي من الدما ... جنايات اقوام ملأن الفيافيا

احاديث شتى عن جرائم سودت ... وجوه بني الدنيا خبيثا وزاكيا
احاديث عن عصر التمدن ذكرت ... بتاريخ اعصار التوحش ناسيا
احاديث دهر كلهن مصائب ... نشرن فلم يخلق لها الله طاويا
احاديث اوطاني ، واهلي ، وعترتي ... وابناء نوعي ، ثم نفسي ، ومالياً
احاديث ارض ما رضيت بغيرها ... مقيلا ، ولا عن اهلها كنت ساليا
عرفت الهوى فيها ، وعانقت ظلها ... وقضيت اوطاري بها ، وشبابيا
احاديث عن وادي الفرات ودجلة ... ومن ذا رآى ـ قل لي ـ كدجلة واديا
نسيم الصبا ما هب فى جنباته ... رأيت نعيما فى الجوانب جاريا
ومن ذا الذي ينسى الرصافة والمها؟ ... وينسى شذا جناتها ، والمغانيا
فلي كبد حرى اذا ما ذكرتها ... وطرف متى تبهته كان داميا
بلادي اراها فى البلاد عزيزة ... ولا ارتضي فى العيش الا بلاديا
فهل انت مصغ للحديث وللندا ؟ ... كما كنت تصغي ، او تجيب ندائيا ؟
ام استاء ذاك القلب منا فلم ترم ... لقاء بني الدنيا بعيدا ودانيا
وهل انت سال اخوة ما تركتهم ... ولا عشت يوما عنهم قط ساليا ؟
اجبني ! فاني قد عهدتك دائما ... تجيب اخا البلوى قريبا ونائيا

* * *

يعز على الاخوان تحشى بأغبر ... فتصبح فى خط من الارض باليا
فيا قبره بالله رفقا بنعشه ... فقد كان هذا النعش للحق هاديا
ايبلى الثرى كفا عهدت بنانها ... اذا استنجدت احيت عظاما بواليا ؟
وصدرا حوى علما ، وفضلا ، وحكمة ... ونفسا ابت فى المجد الا التناهيا
نعم ، هذه الدنيا حياة معارة ... ولابد يوما ان ترد العواريا
فلا تبعدن ان المكارم خلدت ... لك الذكر فى التاريخ ما كان باقيا
وما مات من ابقى المحامد بعده ... يذكرن ايامًا به ولياليا
اعزي بك الاقلام ، والصحف ، والنهى ... وارجع مكروبا اعزي القوافيا

فصبرا جميلا ايها الشعب : ان ذا ... مصاب به قد خاب ما كنت راجيا
هلم بنا يا شعب ! نجمع شتاتنا ... ونأسو قروحا في الضمير دواميا
فآلامنا شتى ، ووقتك ضيق ... وما ضل من ـ ياشعب ـ شمر ساعيا
عليك سلام الله يا قبر ! كلما ... علا الغصن قمري وغرد باكيا

شيشلي ١٢ صفر ٣٣٦

فهمي المدرس *

(*) نقلا عن كتاب (سليمان باشا زادة سامي بك) المطبوع فى (أوقاف اسلامية ـ مطبعة سى) ١٣٣٦هـ ـ ١٩١٨م المتضمن مجموعة المراثي التى قيلت فى مدير دار الفنون المرحوم سامى سليمان .

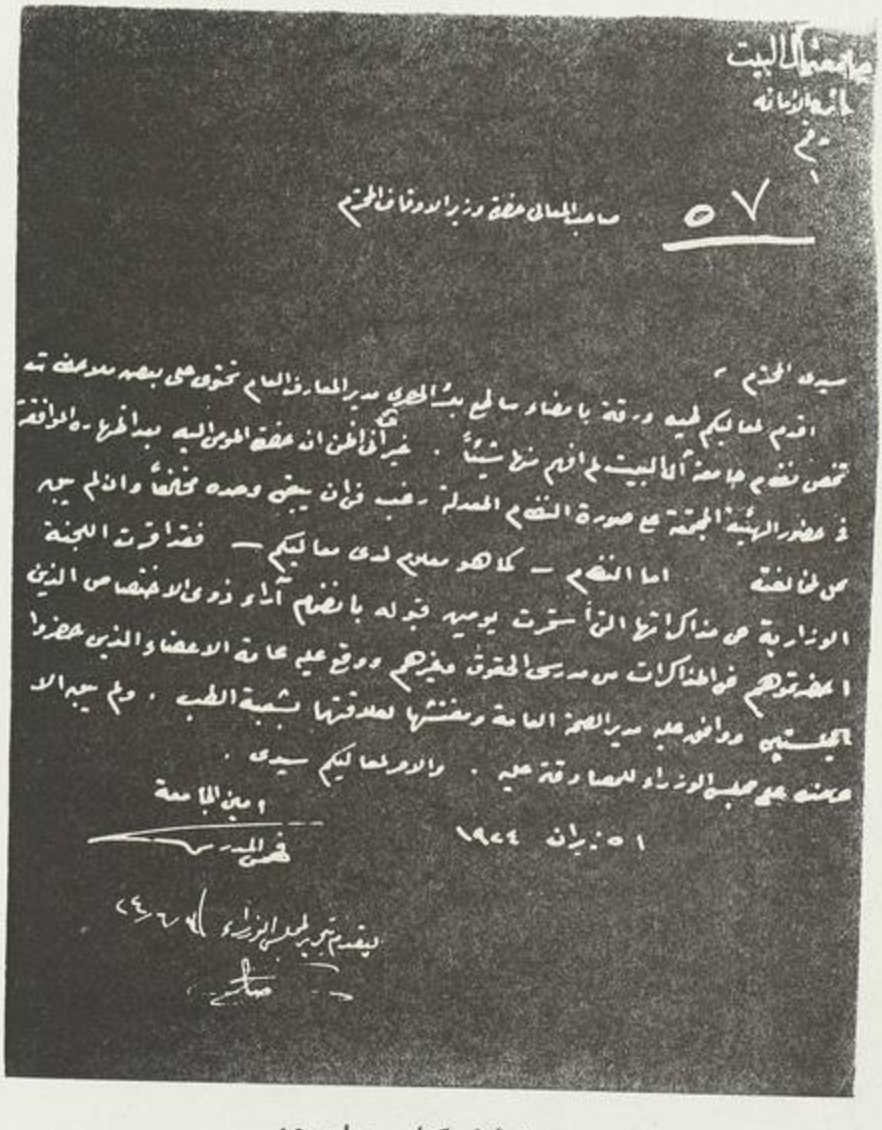

جامعة آل البيت
أمانة الأمانة
رقم ٥٧
صاحب المعالي معتمد وزير الدولة لشؤون الحزم

سيدي الحزم ،
اقدم لمعاليكم طيه ورقة بامضاء سالم عبد الحي مدير المعارف العام تحتوي على بعض ملاحظاته
تخص نظام جامعة آل البيت لم افهم منها شيئاً . غير اني اظن ان عطفة الموجه اليه بعد الفراغ من الموافقة
في مقدور الهيئة المختصة مع صورة النظام المعدلة . فعسى فرصة يتيسر وجوده لمخابرته واعلامه بما
جرى في الجلسة الاخيرة . اما النظام — كما هو معلوم لدى معاليكم — فقد وافقت اللجنة
الوزارية في مذاكرتها التي سترفع توصيتها قبوله بانتظام آراء ذوي الاختصاص الذين
حضروا المذاكرات من مديري الحقوق وغيرهم ووقع عليه عامة الاعضاء والذين حضروا
الجلستين وواقف عليه مدير الصحة العامة ونشرها لعلاقتها بشعبة الطب . ولم يبق الا
عرضه على مجلس الوزراء للمصادقة عليه . والامر لمعاليكم سيدي .

امين الجامعة

فهمي المدرس

١٥ نيسان ١٩٤٤

يقدم تقرير لمجلس الوزراء ١٩٤٤/٤/٢٦

صالح

صورة أول كتاب صادر عن
جامعة آل البيت ـ دائرة الأمانة بخط أمين الجامعة المرحوم فهمي المدرس

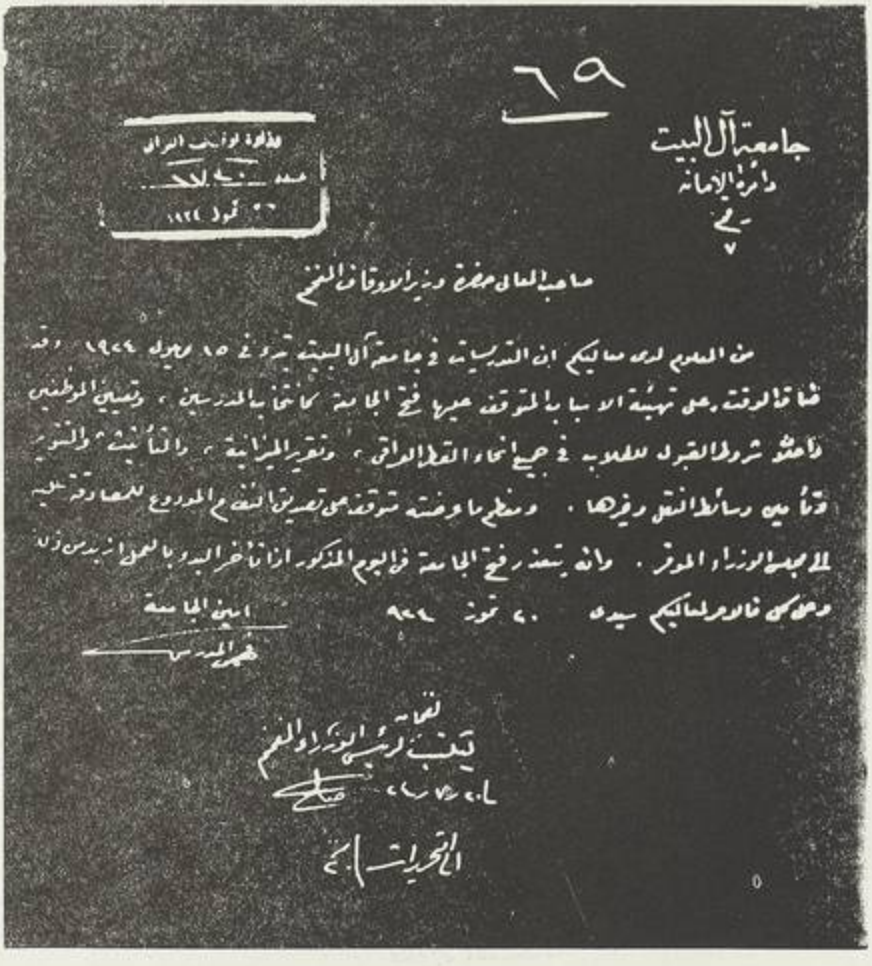

جامعة آل البيت
دائرة الأمانة
٦٩

صاحب المعالي محترم وزير الاوقاف الفخي

من المعلوم لدى معاليكم ان التدريس في جامعة آل البيت بدأ في ١٥ رجب ١٤٠٤ وقد
فما تأخر وقت على تهيئة الاسباب للتوقف عليها فتح الجامعة كما تخابر بالمدرسين ، وتعيين الموظفين
واحضار شروط القبول للطلاب في جميع انحاء القطر العراقي ، وتقرير الميزانية ، والتأثيث والتنوير
وتأمين وسائط النقل وغيرها . ومطلع ما وصلته توقف على تصديق المشروع المذكور للمصادقة عليه
من مجلس الوزراء الموقر . وانه يتعذر فتح الجامعة في اليوم المذكور اذا تأخر البدء بالعمل اكثر من ذلك
ودمتم ذخرا ومعاليكم سيدي

امين الجامعة
فهمي المدرس

نقابة الموظفين
فرع الوزارات
الاتحادات

صورة كتاب آخر صادر عن

جامعة آل البيت ـ دائرة الأمانة بخط أمين الجامعة المرحوم فهمي المدرس

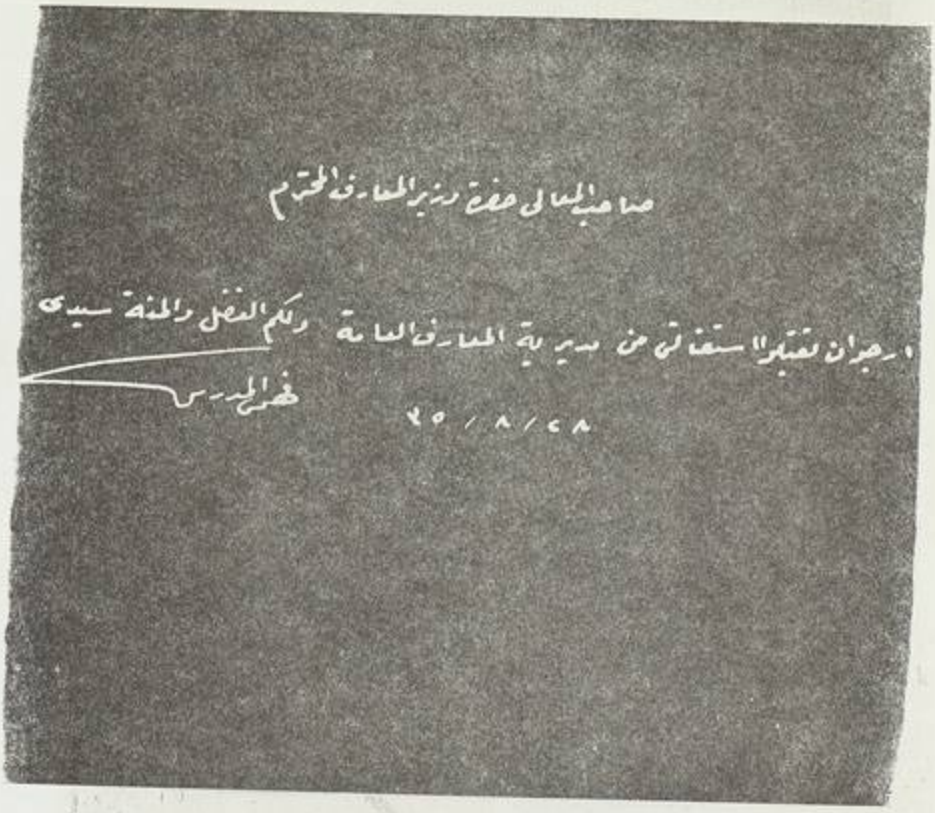
صاحب المعالي حضرة وزير المعارف المحترم

أرجو ان تعتبروا استقالتي من مديرية المعارف العامة ولكم الفضل والمنة سيدي

فهمي المدرس

٢٥ / ٨ / ٤٨

صورة استقالة

المرحوم فهمي المدرس من مديرية المعارف العامة بخطه

الفهارس

١ ـ فهرس آيات القرآن الكريم

٢ ـ فهرس أعلام الأشخاص

٣ ـ فهرس أسماء الكتب والمجلات والجرائد

٤ ـ فهرس موضوعات الكتاب

الفهرس الأول

آيات القرآن الكريم حسب ورودها في الكتاب

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة	الصفحة
الحج	١١	ذلك هو الخسران المبين ·	٣٧
الرعد	١١	ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفســـهم ·	٤٢
الروم	٣٠	فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ·	٥٠
الفتح	٢٣	سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ·	٥٦
النحل	١١٨	وما ظلمناهم ولكن كانوا انفســـهم يظلمـــون ·	٦١
الجاثية	٢٢	ولتجزى كل نفس بما كســـبت وهم لا يظلمون ·	٦٢
الحجر	٤٦	ادخلوها بسلام آمنين ·	٦٧
الحاقة	٣٠ـ٣١	خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ·	٧٢
الزخرف	٢٣	انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتـــدون ·	٧٣
الانفال	٤٠	نعم المولى ونعم النصير	٧٤
البقرة	٢٢١	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ·	٧٥
الرعد	١٧	فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ·	٧٧
التكوير	٨	واذا الموؤدة سئلت ·	٧٨
المائدة	٥	اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهـــن محصنين غـــير مسافحين ولا متخذى اخـــدانٍ ومـــن	٧٩

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة	الصفحة
		يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين .	
النساء	١١	ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن لهولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصـــية يوصى بها او دين .	٨١
الاسراء	٢٣ـ٢٤	وقضى ربـك الا تعبدوا الا ايـــاه وبالوالدين احسانا إمّا يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمها كما ربياني صغيرا.	٨٣
النساء	١١	للذكر مثل حظ الانثيين .	٨٣
النساء	١١	فان كان له اخوة فلأمه السـدس .	٨٤
الروم	٢١	ومن آياته انه خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة	٨٥
الفرقان	٥٤	وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا .	٨٥
الاسراء	٣٦	ولا تقفُ ماليس لك به علم إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ اولئـك كان عنه مسـؤولا .	٩٠
التوبة	٥٨	فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطـوا اذا هم يسخطون .	٩٨
الأعراف	١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلـين .	٩٩
يوسف	٦٦	الله على ما نقول وكيل	١١٢
فاطر	١٤	ولا ينبؤك مثل خبير	١١٢
الاسراء	٣٦	ولا تقف ماليس لك به علم ..	١٢٧
فاطر	٤٣	ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .	١٢٨

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة	الصفحة
الاسراء	٨١	ان الباطل كان زهوقا	١٣٧
الاعلى	٩	فذكر ان نفعت الذكرى	١٤٣
هود	٦	وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها	١٤٤
هود	٤٦	قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ٠	١٤٤
آل عمران	١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون٠	١٤٥
البقرة	٢٧٥	لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ٠	١٤٧
الاعراف	٢٠٠	وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ٠	١٤٧
الصافات	٦١	لمثل هذا فليعمل العاملون	١٥٢
طه	٤٧	والسلام على من اتبع الهدى ٠	١٦٠
الكهف	١٨	باسط ذراعيه بالوصيد	١٦١
المنافقون	٤	كأنهم خشب مسنّدة	١٦٦
ص	٣	ولاتَ حينَ مناصٍ	١٦٦
التوبة	١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم	١٧٤
التوبة	٥٨	فان اعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا اذا هم يسخطون ٠	١٧٥
الشعراء	٨٨	يوم لا ينفع مال ولا بنون	١٧٩
الاعراف	٤٠	حتى يلجَ الجملُ فى سَمِّ الخياط	١٨٩
الاحزاب	٢٣	فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر	١٩١
الكهف	١٠٩	قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا	٢٠١
الاسراء	٨٥	وما اوتيتم من العلم الا قليلا	٢٠١
الانعام	١٢٤	الله اعلم حيث يجعل رسالته	٢٠٢
الحج	١٨	الم ترَ أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض ٠	٢٠٣
الانبياء	١٠٧	وما ارسلناك الا رحمة للعالمين	٢٠٤

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة	الصفحة
آل عمران	٨٥	ومن يبتغ غير الاســـلام دينا فلن يقبل منه ·	٢٠٤
الروم	٤٧	وكان حقا علينا نصر المؤمنين ·	٢٠٤
الاحزاب	٤٥ـ٤٧	يا ايها النبى إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا · وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ·	٢٢٠
النحل	٩٠	ان الله يأمر بالعدل والاحسان	٢٢٠
المائدة	٣٣	انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ·	٢٢٤
الطلاق	١	لعل الله يحدث بعد ذلك امرا	٢٢٧
الكهف	١٠٩	قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ·	٢٢٨
المائدة	٣	اليوم اكملت لكم دينكم	٢٢٩
النمل	٨٨	وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرُّ مرَّ السحاب ·	٢٣٢
الرعد	٤١	او لم يروا أنا نأتى الارض ننقصـها من اطرافها ·	٢٣٢
الشورى	٢٩	ومن آياته خلق السموات والارض وما بثَّ فيها من دابة ·	٢٣٣
يس	٤٠	لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فـــى فلك يسبحون ·	٢٣٣
نوح	١٧	والله انبتكم من الارض نباتا ·	٢٣٣
المؤمنون	١٢	ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين	٢٣٣
الدهر	١	هل اتى على الانسان حين من الدهـر لم يكن شيئاً مذكورا ·	٢٣٣

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة	الصفحة
نوح	١٩ـ٢٠	والله جعل لكم الارض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا .	٢٣٣
الذاريات	٥٥	وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين	٢٣٤
العلق	١	اقرأ باسم ربك	٢٣٧
المائدة	٥٦	فان حزب الله هم الغالبون	٢٤٠
الرعد	١١	ان الله لا يغير ما بقـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .	٢٤٠
يوسف	٥٣	ان النفس لأمارة بالسوء	٢٤١
الزلزلة	٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره	٢٤٣
الصافات	٦١	لمثال هذا فليعمل العاملون	٢٤٨
النور	٣٩	كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً .	٢٥٤
المائدة	٦٠	وجعل منهم القردة والخنازير وعبدَ الطاغـــوت .	٢٥٦
التوبة	١٠٩	على شَفَا جرفٍ هارٍ	٢٥٧
آل عمران	١٢٦	وما النصر الا من عند الله	٢٦٥
المائدة	٢	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .	٢٦٦
الصف	٤	يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصـــوص .	٢٦٧
الحشر	٩	ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهـم خصاصـة .	٢٦٧
فاطر	٤٣	ولا يحيق المكر السيء الا بأهله	٢٦٨
البقرة	٦	سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنـــون .	٢٦٨
القصص	٦٠	وما عند الله خير وابقى	٢٧٢
البقرة	٦١	وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله .	٢٨٧
آل عمران	٥٤	ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	٢٨٨
البقرة	٢٢٣	وبشر المؤمنين .	٢٨٩

اسم السورة	رقم الآية	الآيـــة	الصفحة
آل عمران	١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ·	٢٩٠
البقرة	١٩	يجعلون اصابعهـــم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت	٢٩١
الحج	٢	يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ·	٢٩٢
النور	٣٩	كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً	٢٩٢
البقرة	٢٧٥	لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ·	٢٩٢
البقرة	٢٦٩	ومن يؤتَ الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً	٢٩٣
النور	٣٥	الله نور السـموات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكـب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ·	٢٩٤
ص	٨٨	ولتعلمن نبأه بعد حين	٢٩٤
الجمعة	٢	هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهـم الكتاب والحكمة ·	٢٩٤
المائدة	٣٣	انما جزاء الذيـن يحاربـــون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهـم فى الآخرة عذاب عظيم ·	٢٩٥
فصلت	٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ·	٢٩٦

الفهرس الثاني

اعـــلام الأشـــخاص

- أ -

ابراهيم الدروبى ٢٤
احمد أقايەف (استاذالتاريخ) ١٠١
احمد الحافـــظ (مـــدرس السليمانية) ٦
احمد حامد الصراف ٢٩
احمد الداود ٣٢٢
احمد رفيق (المؤرخ) ٩٥
احمد عزة الاعظمى ٢٨
اسماعيل الراشد ٢٩
اسماعيل الموصلى ٦
اصفر ٢٦١
اغراتيم ٨٧
امجد الزهاوى ٣١٢
امر الله (ناظر المعارف) ١٠١
انور فهمى المدرس ٢٣

- ب -

بتول فهمى المـدرس ١٥ ، ٢٣
ابو البقاء صالح بن شـــريف الرندى ١٤٠ ، ١٤١
بلفـــور ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤
بهجت زينل ١٢٩
بيرسى كوكس ١٥

- ت -

الترمذى (المحدث) ١٩٥ ، ٢٤٢
تشرشل ٢٨٣، ٢٨٧
توفيق ابو الهدى ٢٦٣
توفيق السمعانى ٢٧٣
توفيق فكرة ٣٣٢

- ث -

ابو الثناء الآلوسى ٧

- ج -

جانين بيرسى ١٧ ، ١٨
جبران ملكون ٢١
جبلة بن الايهم ٢٣١
ابو جعفر المستنصر(الخليفة)٩٥
جمال الدين الافغانى ٦٧
جمال الدين الجميل ٢٨١
جمال باشا السفاح ٢٠٥
جميل صدقى الزهاوى ٣٠٢، ٣٠٣
جورج بيكو ٢٠٦
جون ويليام دريبر ٢٣٦

- ح -

حازم بك (الوالى) ٩
حبيب هداية ٢٧٤
حسن باشا (الوالى) ٨
حسن ابو السعود ســـيف (الدكتور) ٢٥٠
حسن الدجيلى ١٩
حسون ابو الجبن ١٦

حسين بن على (الملك) ٢٠٦،١١
حسين فوزى (مفوض الشرطة) ١٧
حمورابى ١٣٣

- خ -

خالد محسن اسماعيل ٣٠
خيرى العمرى ٢١،١٨،٥

- د -

أبو داود (المحدث) ٢٤٢،١٩٥
داود مصطفى البياتى ٢٥٠
دونالد مكنزى ٢٥٣
ديانول (الجنرال) ٢٨٥

- ر -

الرازى (فخر الدين) ٨٣
رؤوف الجادرجى ٣١٢،١٠٠
رزوق عيسى ٩
رزوق غنام ٩٨
رستم حيدر ١٨،١٧
ابن رشد ١٤٠
الرشيد (هارون) ١٣٣
رشيد عالى الكيلانى ٢٨٧،٢٨٤،٢٣
رضا شاه بهلوى ١٥٦
رفائيل بطى ١٣١،٢٦،٢١،٢٠،٥
ريتشارد (القنصل الالمانى) ٧

- ز -

زغلول = سعد زغلول
زكى مبارك (الدكتور) ٣٠٨،٣٠٧
زيد بن عمرو بن نفيل العذرى ٨٨

- س -

ساطع الحصرى ٣١١،٢٨،١٩،
٣١٥
سالم محمد آغا ١٢١
سامى سليمان (مدير دار
الفنون) ٣٣٧،٣٣٥،٣٣٢،١٠١
سعد زغلول ٦٧
سفورزا (الكونت) ٢١٨
سليمان (جد المدرس) ٦
سليمان البستانى ١٠١
سميث (المستر) ٣١٢
سيف الاسلام (الامير) ٢٦٣

- ش -

شاكر النعمة ٢٧٣

- ص -

صادق البصام ١٧٧
صالح باش اعيان ١٥
صالح زكى (المستشار) ١٠١
صلاح الدين الايوبى ١٥٨

- ض -

ضياء الدين احمد بن عبد العزيز ٩٥

- ط -

طارق بن زياد ١٣٩
طه الهاشمى ٢٧

- ع -

عباس العزاوى ٢٦،٨،٦
العباس بن مرداس ٨٨

عبدالاله حافظ ٢٨
عبدالباقى العانى ٢٨٠
عبدالحميد الرشودى ٣٠
عبدالحميد عبدالمجيد (السلطان) ١٠، ١١، ١١٦
عبدالرحمن الثالث ١٤٢
عبدالرحمن الداخل ١٣٩
عبدالرحمن سليم (المدرس) ٥
عبدالرحمن شرف (مؤرخ الدولة العثمانية) ٩٥
عبدالرحمن القرەداغى ٦
عبدالرحيم آصف ٢٧٤
عبدالرزاق الحسنى ٩، ١٧، ٢٠، ٩٧، ١٢٩
عبدالرزاق الحصان ١٢٩
عبدالسلام الشواف ٦
عبدالعزيز (خازن كتب المستنصر بالله) ٩٥
عبدالعزيز السعود (الملك) ٢٦٣، ٢٦٤
عبدالعزيز شاويش ١٠١
عبدالغفور البدرى ٢٦، ٢٨٠
عبدالقادر حمزة ٢٧٠
عبدالقادر الزهاوى ٢٦
عبدالكريم مراد ٢٥٣
عبداللطيف المدلل ١٤
عبدالله بن جحش الازدى ٨٨
عبدالله بن الحسين(الملك) ٢٦٣
عبدالمحسن السعدون ١٥، ٩٧
عبدالمنعم الغلامى ٦ ، ٢٤
عبدالهادى الاعظمى ٢٢
عبود الكرخى ٣٠٥، ٣٠٦
عثمان بن حويرث الأمدى ٨٨
عصمت بن اونونو ٢٤٥
على بن ابى طالب ٢٣١
على ظريف الاعظمى ٢٦
عمر بن الخطاب ١٥٨، ١٩٧، ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٢
عمرو بن العاص ٢٣١

- غ -

الغازى = مصطفى كمال
غاليليو ٢٩٣
غاندى (المهاتما) ٢١٣، ٢٧١

- ف -

الفاروق = عمر بن الخطاب
فاضل الجمالى (الدكتور) ١٩
فاطمة ابراهيم ٢٣
فخرى النشاشيبى ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢
ابو فراس الحمدانى ٧١
فرانسوا سبلوستز (البابا) ١٣٨، ٢٣٠
فيصل بن الحسين (الملك) ١٤، ١٥، ١٧، ٢٠
فيصل السعود (الملك) ٢٦٣

- ق -

قسطنطين (الملك) ٨٧

- ك -

كايتانى (السنيور) ٣٠٨
كمال ابراهيم ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨
كمال اتاتورك = مصطفى كمال

كلو (الملك) ٨٧
كورن واليس ٢٨٤،٢٨٦،٢٨٧
كنت مكنزى ٢٥٣

- م -

ابن ماجه (المحدث) ١٩٥،٢٤٢
المأمون (الخليفة) ٣٠٧
مارك سايكس ٢٠٦
مؤيد فهمى المدرس ٢٣
محمد أمين الجرجفجى ١٦
محمد بهجة الاثرى ٧،٨،١٦
محمد جعفر ابو التمن ١٦،
٢٠،٢٢
محمد حسن كبه ١٦
محمد حسين هيكل (الدكتور)
١٨٧
محمد الخضير ١٤
محمد سعيد النقشبندى ٧
محمد صالح السهروردى ٦
محمد طاهر ١١٧،١١٨
محمد عبدالله البسام ١٤
محمد فهمى (مفتى استانبول)
١١٥،١١٦
محمد مهدى البصير (الدكتور) ١٦
محمد ناجى القشطينى ٥،
١٣،١٨،٢٦،٣٠٨
محمود شكرى الألوسى ٧،٨
محمود عزمى (الدكتور) ٢٥٠
محمود فهمى درويش ٥
مدحت باشا ٨،٩
مراد الداغستانى (المؤرخ) ٩٥
مراد سليمان ٢٦
مصطفى أفندى (محـــرر
الزوراء) ٩
مصطفى فهمى (ناظـــر
الديون) ١٠٠
مصطفى كمال ٦٧،١٥٠،١٥٣،
١٥٤،٢٤٣،٢٤٤،٢٤٥،
٢٤٦،٢٤٧،٢٤٨
المطلع ومطلع (توقيع مستعار
للسيد احمد عبدالغنى الراوى)
٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٠٢، ١٠٤، ١٠٥ ، ١٠٦،
١٠٧، ١٠٩، ١١٠ ، ١١١،
١١٢، ١١٣، ١١٤ ، ١٢١،
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧
مظهر سعيد ٣٠١
معروف الرصافى ١٣،٢٤،
١٠٠،٣٠٧،٣٠٨
معروف الكرخى ٦
المعرى (ابو العلاء) ٣٠٨
المفتى (أمين الحسينى) ٢٥٩
المقوقس ٢٣٢
مكدونالد ٢١٥
ملكولم ماكدونالد ٢٦٤
مهدى الرحال ٧
موسى ميرزا هادى ٧
موسى بن نصير ١٣٩
موسوليني (السنيور) ٢١٨
موصلى (توقيع مستعار ؟) ٢٧٣

- ن -

نابليون ١٣١

ناجى الاصيل (الدكتور) ١١،١٢،٢٣
ناصرالدين الكيلانى ٧،١٣
ناظم باشا ١٢٢
ناظم حسن تحسين ١١٨،١١٩
نعمان الاعظمي (الواعظ) ٢٢
نعمان الالوسى ٧
نعيم بابان(استاذ الفلسفة) ١٠١
النسائى (المحدث) ١٩٥،٢٤٢
نوح (عليه السلام) ١٤٤
نورى السعيد ١٩،٢٠،٢٣، ١٢٩،٢٦٣،٢٦٤

- هـ -

هاشم الاعظمى ٥،٢٢،٢٤
هتلر (أدولف) ٢٠٩
أبو الهدى الصيادى ١١

- و -

ورقة بن نوفل ٨٨
ويليام (المستشرق) ٢٢٩
ويلهلم الثاني ١٥٨

- ى -

ياسين الهاشمى ١٤
يحيى (حميد الدين) ٢٥٩،٢٦٣
يوسف عزالدين (الدكتور) ١٠،٢٨
يوسف عطاء ٣١٢
يوسف غنيمة ٢٨
يونس بحرى ٢٧٣

الفهرس الثالث

أسماء الكتب والمجلات والجرائد*

- أ -

الاتحاد (م) ٢٨١
الاخاء الوطنى (ج) ١٣٧،٢٠،
٣٠٩،١٥٧،١٥٢
الاستقلال (ج) ٢٨٠
اقدام (ج تركية) ١٣
أعلام العراق (ك) ٧
الاقلام (م لصاحبها علي ظريف
الاعظمى) ٨٠،٧٧،٢٦،
٩٨،٨٧،٨٤
الاقلام (م) ٢١،١٨
الانساب والاسر (ك) ٢٤،٦
الاوشال (ديوان) ٣٠٢
الايام (ج صاحبها عبدالقادر
البراك) ٢٩،٢٣

- ب -

بغداد (ج) ٢٦
البغداديون (ك) ٢٤
البلاد (ج) ٥، ٢٠، ٢١،
٣٠١،٢٩٩،٢٩٠،١٦٠
البلاد (ج صاحبها عبدالقادر
البراك) ٢٤،٢٣
البلاغ (ج مصرية) ٢٧٠
بيان موجز عن جامعة آل البيت
(ك) ٢٠،١٥

- ت -

تاريخ الادب العربى الحديث
(ك) ٦
تاريخ أدبيات عربية (ك) ٢٥
تاريخ تكامل العقل (ك) ٢٣٦
تاريخ جامع الامام الاعظم (ك)
٢٤،٢٢،٥
تاريخ الصحافة العراقية (ك) ٩
تاريخ العـــراق بين احتلالين
(ك) ٢٦
تاريخ مساجد بغداد (ك) ٨
التقدم (ج) ١٠٩،٩٧،
١١٤،١١٠

- ث -

الثغر (ج) ٢٧٣
الثمالة (ديوان) ٣٠٢
ثروت فنون (م تركية) ٢٦،١٤

- ح -

الحرية (م) ٩
حكمت حقوق اسلامية (ك) ٢٥
الحياد (ج) ١٧٧

- د -

الدفاع (ج) ١٧٧
الدليل العراقى الرسمى (ك) ٥
ديوان الزهاوى ٣٠٢
ديوان الكرخى ٣٠٦،٣٠٤

- ذ -

ذكرى أبى الثناء (ك) ٦

* ك = كتاب ، م = مجلة ، ج = جريدة .

ذكرى فهمى المدرس (ك) ٥
الذكرى المحمدية (م) ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٤٢

- ر -

الرابطة الاسلامية (م دمشقية) ١٤١، ١٤٥، ١٤٩
الرباعيات (ديوان) ٣٠٢
رسائل التعليقات (ك) ٣٠٧
الرسالة (م مصرية) ٣٠٢

- ز -

الزمان (ج مديرها رفائيل بطي) ١٣١
الزمان (ج صاحبها توفيق السمعانى) ٥، ٢٧٣
الزوراء (ج) ٨، ٩

- ش -

شهبال (م تركية) ١٤، ٢٥

- ص -

صدى الاخبار (ج) ٥
صدى التعاون (ج) ٣٠٥
صدى العهد (ج) ١٢٩
صدى الكرخ (ج) ٣٠٥

- ط -

الطان (ج تركية) ٢٤٧

- ع -

العالم الاسلامى (م رئيس تحريرها محمد بهجة الأثرى) ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٩
العالم العربى (ج صاحبها سليم حسون) ١٩، ٣٧، ٤٢، ٤٩، ٥٥، ٦١، ٦٨، ٧٤، ٩٦
العراق (ج) ٩٨، ١١٢، ١١٤، ١٢٨، ١٣٥
العراق فى دورى الاحتلال والانتداب (ك) ١٧
العقاب (ج) ٢٤٨، ٢٧٣

- ف -

فهمى المدرس - من رواد الفكر الحديث (ك) ١٠، ٢٨

- ق -

القضية العربية (ك) ٢٨

- ك -

الكرخ (ج) ٣٠٥
الكرخى (ج) ٣٠٥
الكفاح (م رئيس تحريرها كمال الدين الطائى) ١٦٦، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٦

- ل -

لب الالباب (ك) ٦، ٧
اللباب (ديوان) ٣٠٢
اللسان (م) ٢٨
لسان العرب (المعجم) ١٢٦
لسان العرب (م) ٢٩

- م -

المجـــــلة (مجـــلة الاحكام العدلية) ١٢٦

مرآت المجلة (ك بالتركية) ١٢٦

المزمار (ج) ٣٠٥

مسند الامـــام أحمـــد (ك) ١٤٧،٧٧

المعرض (م) ٢٨

مقالات فهمـــى المدرس (ك) ٢٦،١٢

الملأ (ج) ٣٠٥

الملل والنحل (ك) ١٢٦،١٠٧

المنار (ج) ١٥

مه تود برليج(ك بالتركية) ١٠١

- ن -

الناشئة الاسلامية (م) ٢٨٠

نجمة الهند (ج هندية) ٢١٤

نداء الشعب (ج) ١٣٢

النظام (ج دمشقية) ١٣٥

- ى -

اليوم (ج) ٢٨١

الفهرس الرابع

موضوعات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
صورة المرحوم فهمى المدرس	٣
مقدمة الكتاب (فهمى المدرس)	٥
دراسته	٦
وظائفه	٧
مكانته فى الاستانة	١٣
الى الشام	١٤
عودته الى الوطن	١٥
المدرس وجامعة آل البيت	١٨
المدرس والحزب الوطنى	٢٠
اثنا عشر يوما فى المعارف	٢٢
فى دار العلوم	٢٢
المدرس فى اعوامه الاخيرة	٢٢
وفاته	٢٤
مؤلفاته	٢٥
تواقيعه	٢٨
مجلـــه	٢٩
ـ المقـالات ـ	
التجنس العراقى والتوظيف	٣٣
الوحدة والحكم المطلق	٣٨
التربية الابتدائية والوحدة العراقية	٤٣
النهضة فى الشرق وروح الاجتماع	٥٠
النهضة فى الشرق وروح الاجتماع ـ ٢ ـ	٥٦
النهضة فى الشرق وروح	٦٢

الموضوع	رقم الصفحة
الاجتماع ـ ٣ ـ	
النهضة فى الشرق وروح الاجتماع ـ ٤ ـ	٦٩
الحكمة فى تحريم نكـاح المشركة	٧٥
حكمـــة تحليل الكتابية للمسلم وعـدم تحليل المسلمة للكتابى	٧٨
حكمة التشريع	٨١
فلسفة التشريع	٨٥
الادب الجاهلى	٨٨
المكتبة العامة	٩٠
حول الصيد فى الماء العكر	٩٧
حرية النشر ومقال (المطلع)	١١٣
متى سار المعارضون وراء العواطف	١٢٩
الشعب ناضج والشعب غير ناضج	١٣٣
الاخـــلاق بين العرب والغرب ـ ١ ـ	١٣٨
الاخـــلاق بين العرب والغرب ـ ٢ ـ	١٤٢
الاخـــلاق بين العرب والغرب ـ ٤ ـ	١٤٦
الجمهورية التركية فى عامها العاشر	١٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
الجمهورية الكمالية فى عامها الحادى عشر	١٥٣
فلسطين بضعة من العراق	١٥٨
الشرق واساليب الاستعمار	١٦١
يجب ان تبنى التربية على اسس التعاليم الاسلامية	١٦٧
الامية وآفاتها وواجب المعارف	١٧٥
حول التعليم القروى والتخصص	١٨١
المعارف بعد ثمانية عشر عاما	١٨٨
فلسطين بين الوعد والوعيد	١٩٦
عظمة محمد (ص)	٢٠١
فلسطين بين التقسيم والامبراطورية العربية	٢٠٥
فلسطين بين المشانق والمآدب	٢١١
اليوم الثانى عشر من ربيع الاول وروعة دين الاسلام والوضع الحاضر	٢٢٠
الاسلام ومدارك البشر ورأى الاجانب فيه	٢٢٨
الاسلام بين الشرق والغرب ورأى الاجانب فيه	٢٣٥
الغازى (اتاتورك) والمثل الاعلى	٢٤٣
المعارف بعد ثمانية عشر عاما	٢٤٩
فلسطين بين المؤتمرات والدماء المسفوحة	٢٥٨
فلسطين بين الجهاد المقدس وشذوذ النشاشيبى	٢٦٦
المعارف وكلمتنا الاخيرة	٢٧٣
المعارف والاصلاحات المنتظرة	٢٧٥
العراق بين الموت والحياة الحرة	٢٨٣
المدنية ودين الاسلام	٢٩١
ـ اشتات متفرقة ـ	
دار العلوم الدينية والعربية ـ هدفها الثقافى السامى	٢٩٩
مقدمة ديوان الشمالة للشاعر جميل صدقى الزهاوى	٣٠٢
كلمة فى الشعر واللغة	٣٠٤
رأى الاستاذ فهمى المدرس فى كتاب «رسائل التعليقات» للرصافى	٣٠٧
نص استقالة الاستاذ فهمى المدرس من الحزب الوطنى العراقى	٣٠٩
نص استقالة الاستاذ فهمى المدرس من مديرية المعارف العامة	٣١٠
نص اول كتاب صادر عن جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة	٣١١
نص ثانى كتاب صادر عن جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة	٣١٢
نص ثالث كتاب صادر عن جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة	٣١٣

الموضوع	رقم الصفحة
نص سابع كتاب صادر عن جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة	٣١٤
نص ثامن كتاب صادر عن جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة	٣١٥
نص تاسع كتاب صادر عن جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة	٣١٦
نص حادى عشر كتاب صادر جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة	٣١٦
نص كتاب صادر عن جامعة آل البيت ـ دائرة الامانة برقم ٤٧٩	٣٢٢
نص كتاب صادر عن دار العلوم برقم ٥٠٣	٣٢٣
ـ نماذج من شعره ـ	
نهضة الشرق	٣٢٧
فى رثاء سامى سليمان	٣٣٢
صورة زنكغرافية لاول كتاب صادر عن جامعة آل البيت	٣٣٨
صورة زنكغرافية لثانى كتاب صادر عن جامعة آل البيت	٣٣٩
صورة زنكغرافية لاستقالة الاستاذ فهمى المدرس من مديرية المعارف العامة	٣٤٠
ـ الفهارس ـ	
١ ـ فهرس آيات القرآن الكريم	٣٤٣
٢ ـ فهرس اعلام الاشخاص	٣٤٩
١ ـ فهرس اسماء الكتب والمجلات والجرائد	٣٥٤
٤ ـ فهرس موضوعات الكتاب	٣٥٧

جـدول الغلط وصوابه

الغلط	الصواب	سطر	صفحة
علىايدى سبأ	ايدى سبا	١٩	١٤
١٩٤	١٩٢٤	٢١	١٩
الحكولة	الحكومة	٤	٢١
ولكل	لكل	١٨	٤١
ادراتنا	ادارتنا	٢١	٤٨
ظاهر	ظاهرة	٧	٥٠
ذى	ذو	٢١	٥٢
لامة	بامة	٢١	٦٠
ينبذ	وينبذ	٢٠	٦٣
تهذيب	تهذبت	١٨	٦٦
يحضرون	يحضرن	٤	٦٨
آدب	**آداب**	٩	٦٩
تغطيها	تغبطها	٢	٧٤
النشىء	النشء	١٢	٧٦
الضرائر	الغرائز	١٢	٧٨
لها	**لهذا**	٢٤	١١٦
بالرجل	بالرجال	٦	١٢١
ليضمك	ليضحك	١٤	١٢١
احراز	احرار	٨	١٣٧
الغرب	العرب	٧	١٣٩
الاحتلال	الاختلال	٣	١٤٠
العظة	العظمة	٥	١٤٢
اردتم	رأيتم	٢١	١٤٤
تحيى	تحيا	١٤	١٤٩
ستكفى	ستكتفى	١٩	١٥٥
النبأ	للنبأ	٢٢	١٥٨
ساءت	وساءت	١٣	١٦١
وحدودا	وحددوا	١٤	١٦٧
القراءةالجميلة	والقراءةالجملية	٢٥	١٦٩
وهم	هم	١٤	١٧٧
بالعلم	بالعمل	٢٤	١٨٤
اقترف	اقتراف	١٣	١٨٧
التحدد	التجدد	١٩	١٩٣
الحضارة	للحضارة	٦	١٩٤
لايقل	لايفل	٤	٢٠٣
الم تر ان الله له	الم تر ان الله يسجد له	٢١	٢٠٣
اكتوربر	اكتوبر	٢١	٢٠٦
الموثب	المتوثب	١٠	٢١٨
ويتماج	ويتمازج	١١	٢٢٠
يقتوا	يقتلوا	١	٢٢٥
خاصة به	خاصا به	٢٠	٢٣٢
للآية	الآتية	٢٢	٢٣٢
النحل	النمل	٢٥	٢٣٢
تصدر	تصور	٧	٢٤١
التعيلم	التعليم	١٣	٢٥٢
الطاغوث	الطاغوت	٢٠	٢٥٦
كتاه	كتاب	٢٤	٢٥٩
احداثها	اجداثها	١٨	٢٦٧
ابتعلت	ابتلعت	٤	٢٨٢
فردت	فرددت	١٥	٢٨٩
لجج	فى لجج	١٣	٢٩١
بالوصيط	بالوصيد	٨	٢٩٢
بينهما	بينها	١٢	٣٠٤
فحذار	فحذرا	١٠	٣١٥
الحمراء	الحمرا	١٢	٣٢٨
الا أو	الا أن	١	٣٣٣

ملاحظة : تحذف السطور ١٤–٢٣ من الصفحة ١٩٢

19

ثمـن النسخة (٧٠٠) فلس

مطبعة أسعد ـ بغـداد

٢/١٠٠٠ ـ ١/٣/١٩٧١

GENERAL BOOKBINDING CO.
87WB 310
73 4 P 6777
QUALITY CONTROL MARK

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0066472423

AC
106
.F28

MAY 9 1973